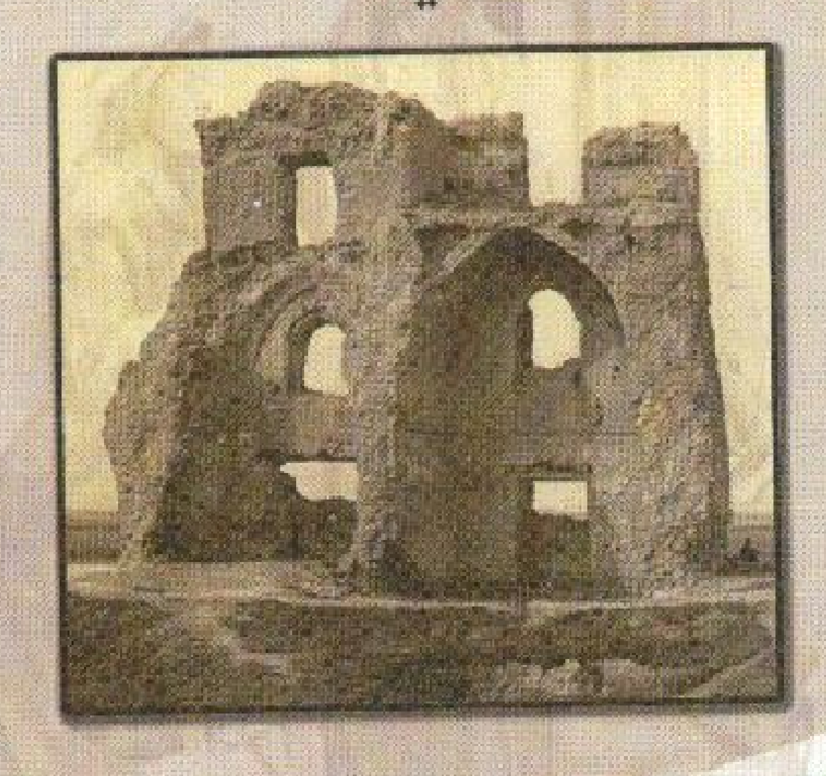
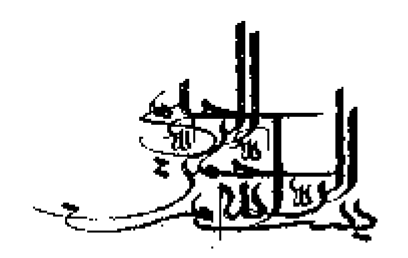
الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الايلخانية

الأستاذ الدكتور
علاء محمود قداوي







الموصل والجزيرة الفراتية

في عهد دولة المغول الايلخانية

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية (2014/6/2687)

قداوي، علاء محمود

الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الإيلخانية/ علاء محمود قداوي

. - عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2014

( ) ص

ر.إ.: (2014/6/2687).

الواصفات: /تاريخ العراق// التاريخ العربي / الموصل/

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN 978-9957-96-019-3



دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله | مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
تلفاكس: +962 6 5353402 | خلوي: +962 7 95667143
ص.ب: 520946 عمان 11152 الأردن | E-mail: darghidaa@gmail.com

الموصل والجزيرة الفراتية

في عهد دولة المغول الايلخانية

656هـ – 735هـ

1258هـ – 1335م

(دراسة تحليلية عن الاحتلال والمقاومة والجوانب الحضارية)

أستاذ الدكتور

علاء محمود قداوي

الطبعة الأولى

2015 م – 1436 هـ

الفهرس

الفصل الأول

الموصل والجزيرة الفراتية قبل الاحتلال المغولي

الفصل الثاني

الاحتلال والمقاومة

الفصل الثالث

الإدارة المغولية في الموصل والجزيرة الفراتية

الفصل الرابع

الحياة الاقتصادية والحركة الأدبية والعلمية في الموصل والجزيرة الفراتية

المقدمة

حظيت بلاد الجزيرة الفراتية وخاصة الموصل باهتمام عدد من الباحثين الذين تنبهوا الى أهمية دراسة تاريخ هذا الإقليم ودوره في مجرى التاريخ العربي الإسلامي، ويرجع هذا الاهتمام الى الدور البارز الذي لعبته الموصل والجزيرة على مسرح الأحداث في التاريخ الإسلامي العام، خاصة منذ مطلع القرن الأول الهجري نظراً لأهمية المنطقة من الناحية السياسية والاقتصادية، وازدادت هذه الأهمية بعد ضعف الدولة السلجوقية، وقيام دويلات عديدة فيها تمثلت باتابكيات الجزيرة الفراتية والشام.

وقد حازت هذه الاتابكيات والإمارات التي سبقتها كالإمارة الحمدانية والعقيلية والمروانية وغيرها على اهتمام الباحثين، في حين اغفل الباحثون دراسة الفترة التي حكم فيها المغول منطقة الموصل والجزيرة الفراتية بين سنة (656-736هـ/ 1258-1335م) سوى بعض البحوث التي تناولت جوانب معينة من تاريخ هذه المنطقة، على الرغم من أهمية هذه الفترة ليس بالنسبة لتاريخ الموصل والجزيرة الفراتية فحسب بل بالنسبة للتاريخ الإسلامي العام، باعتبار ان منطقة الجزيرة غدت مسرح للصراع السياسي بين المغول والمماليك الذي استمر لعهود طويلة.

ويبدو ان سبب تجنب الباحثين الخوض في دراسة تاريخ هذه المنطقة في هذه الفترة، راجع الى اكتناف غموض بعض جوانبها بالإضافة الى قلة المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ هذه المنطقة، والتي لا تكفي معلوماتها للقيام بدراسة مفصلة للجوانب السياسية الاحتلال والمقاومة فضلاً عن الجوانب والإدارية والاقتصادية والثقافية، وعليه لا يجد الباحث إلا معلومات متناثرة ومتداخلة قاصرة عن تقديم صورة واضحة للأوضاع في هذه المنطقة ضمن الفترة التي تناولها البحث.

وقد قسمت البحث أربعة فصول، تناول الفصل الأول دراسة الأوضاع السياسية للموصل والجزيرة الفراتية قبل الاحتلال المغولي، مستعرضاً نشوء إمارة بدر الدين لؤلؤ والاراتقة والأيوبيين، والصراع السياسي بين هذه الإمارات الذي أدى الى إضعاف قوتها

وعجزها عن مواجهة الغزو المغولي، كما تناول الفصل الأوضاع الاقتصادية للجزيرة وما تعرضت له من نكبات شاركت في إضعاف قدراتها وإمكانياتها في التصدي للمغول، وتناول كيفية ظهور المغول مع توضيح الفرق بين كلمة المغول والتتر، والإشارة من خلال ذلك الى حالة القتال التي نشبت بين المغول والخوارزميين وانتهت بهزيمة الخوارزميين ومقتل سلطانهم، ومدى تأثير ذلك على مستقبل الجزيرة الفراتية. كما تناول موقف كل من بدر الدين لؤلؤ والأيوبيين والاراتقة من الغزو المغولي.

اما الفصل الثاني فقد تناول بالدراسة الاحتلال المغولي للموصل والجزيرة الفراتية والمقاومة. مبيناً علاقة المغول مع الصليبيين وما نتج عنها من تحالف بين المغول ومملكة أرمينية المسيحية من اجل الاستحواذ على الجزيرة والشام. ثم تناول الاحتلال المغولي لأربل ومقاومة أهلها وثورة الملك الكامل الأيوبي وأبناء بدر الدين لؤلؤ ، وثورة الملك السعيد الارتقي على المغول ومقاومة أهل الجزيرة للمحتلين، واختتم الفصل بدراسة موقف المماليك من الاحتلال المغولي للموصل والجزيرة الفراتية.

اما الفصل الثالث، فقد اهتم بدراسة الإدارة المغولية في الموصل والجزيرة، وتبيان الحدود الجغرافية للإقليم وتوضيح مكانته من التقسيمات الإدارية المغولية، الى جانب دراسة إدارة هذا الإقليم وفي ذلك استعراض لمن تولى من نواب المغول على ديار بكر والجزيرة، وحكام المدن، إضافة الى الوظائف الإدارية.

اما الفصل الرابع، فقد تضمن دراسة الحياة الاقتصادية في الموصل والجزيرة الفراتية في العهد المغولي من حيث الزراعة والصناعة والتجارة وطرق المواصلات والضرائب والنقود كما تضمن دراسة الحركة الأدبية والعلمية، وخصص قسم من هذا الفصل لدراسة المدارس الموجودة في هذا الإقليم على العهد المغولي.

تحليل مصادر الدراسة :

اعتمدت هذه الدراسة على مصادر اولية بشقيها مخطوطة ومنشورة، تاريخية وجغرافية وأدبية ومعجمات لغة، ومقالات عديدة عن دائرة المعارف الإسلامية ودوريات وغيرها.

أ- المخطوطات:

تضمنت بعض المخطوطات مادة أساسية ومعلومات مهمة لموضوع الدراسة، وأهمها كتاب (تاريخ الواصلين في أخبار الخلفاء والملوك والسلاطين) المسمى ((مفرج الكروب في اخبار بني أيوب)) لأبن واصل (ت 697هـ/ 1218م) ويتكون من مجلدين ويكمل القسم المطبوع. ويغطي المجلد الثاني الفترة من (629-660هـ/ 1231-1262م) وقدم تفاصيل عن العلاقات السياسية بين بدر الدين لؤلؤ والأيوبيين والاراتقة فضلاً عن تقديم معلومات جيدة عن علاقة بدر الدين لؤلؤ مع هولاكو وعن علاقة أولاد بدر الدين لؤلؤ مع الظاهر بيبرس صاحب مصر وعن ظروف احتلال المغول لميافارقين وموقف الملك الناصر يوسف الأيوبي صاحب حلب منها.

وقدم الذهبي (ت 748هـ/ 1347م) في كتابه ((تاريخ الإسلام)) (الموجود في مكتبة الدراسات العليا - كلية الآداب – جامعة بغداد برقم 1803) أخباراً مهمة عن العلاقات والأحوال السياسية والعسكرية التي سادت منطقة الجزيرة قبل الاحتلال المغولي لها وبعده.

ولأبن ابي عذيبة (ت 856هـ/ 1452م) مخطوطتان الأولى ((مختصر التاريخ الكبير)) وتبدأ من السنة الأولى للهجرة وحتى سنة ست وثمانمائة للهجرة، حيث نجد معلومات مختصرة عن الأوضاع السياسية للأيوبيين في الجزيرة، وعن موقف هؤلاء من المغول. اما المخطوطة الثانية والموسومة ((إنسان العيون في مشاهير سادس القرون)) (الموجودة في مكتبة الدراسات العليا – كلية الآداب – جامعة بغداد برقم 248) فقد

تضمنت معلومات عن سيرة بعض ممن لعبوا دوراً في الحياة السياسية والثقافية للجزيرة الفراتية.

وهناك مخطوطات أخرى أفادت البحث ببعض المعلومات منها ((حضرة النديم من تاريخ ابن النديم)) لأبن حبيب (ت 708هـ/ 1208م) وكتاب ((تاريخ الدولة الأيوبية وغيرها)) لمؤلف مجهول وكتاب ((تواريخ كافة الجداثة للسمعاني)) (ت 1783م).

ب- المصادر المطبوعة:

وتشمل كتب التاريخ العام، وتواريخ الدول والإمارات والمدن وكتب السير والتراجم وتاريخ الإدارة الإسلامية وكتب الجغرافية والرحلات.

كتب التواريخ العامة:

يعد كتاب ابن الأثير (ت 630هـ/ 1232م) ((الكامل في التاريخ)) في مقدمة الكتب التي تناولت الأوضاع السياسية للموصل والجزيرة قبل الاحتلال المغولي لها، وذلك لأن ابن الأثير كان على صلة وثيقة بأتابكة الموصل وله المام بأحوال الاراتقة والأيوبيين، وقد ضم كتابه هذا معلومات مفصلة وأساسية عن علاقة بدر الدين لؤلؤ بأتابكية اربل والأيوبيين والاراتقة والخلافة العباسية والخوارزميين، ومن موقف هؤلاء من الغزو المغولي، فضلاً عن احتوائه على وصف دقيق للأوضاع الاقتصادية للجزيرة، ولهذا اعتبرت مادته التاريخية مصدراً للدراسات التي قام بها المؤرخون الذين عاشوا بعده.

وينفرد ابن العبري (ت685هـ/ 1286م) في كتابيه ((تاريخ الدول السرياني)) و ((تاريخ مختصر الدول)) بذكر كثير من المعلومات التفصيلية عن الجوانب السياسية والعسكرية، خاصة ما يتعلق منها بموقف الملك الصالح ركن الدين من المغول وحوادث الاحتلال المغولي للموصل والجزيرة، فضلاً عن إعطاء معلومات عن حكام وموظفي الإدارة المغولية للجزيرة. ومما يعزز قيمة هذه المعلومات هو ان ابن العبري كان معاصراً لهذه الأحداث وشاهداً على بعضها.

واعتمدت الرسالة ايضا على مصادر متعددة وأساسية، منها الكتاب الموسوم بـ ((الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة)) المنسوب خطأ لأبن الفوطي، وكتاب ((مرآة الزمان في تاريخ الأعيان)) لسبط بن الجوزي (ت654هـ/ 1256م) وكتاب ((ذيل مرآة الزمان)) لليونيني (ت726هـ/ 1315م) وكتاب ((الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية)) لأبن الطقطقا (ت709هـ/ 1309م) وكتاب ((المختصر في أخبار البشر)) لأبي الفداء (ت732هـ/ 1331م) وكتاب ((تاريخ ابن الوردي)) لأبن الوردي (ت749هـ/ 1348م) وكتاب ((دول الإسلام)) للذهبي (ت748هـ/ 1347م) وكتاب ((البداية والنهاية)) لأبن كثير (ت 774هـ/ 1332م) وكتاب ((العسجد المسبوك والجوهر المحكوك)) للملك الاشرف الغساني (ت 803هـ/ 1400م) وكتاب ((النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة)) لأبن تغري بردي (ت874هـ/ 1469م) فقد شتملت هذه الكتب على معلومات مفصلة عن الأحوال السياسية والعسكرية والاقتصادية والإدارية والثقافية للموصل والجزيرة قبل الاحتلال المغولي لها وبعده، ومما يجدر ذكره ان بعض هذه المصادر كان يكمل المعلومات التي جاءت بها المصادر الأخرى، مما أغنت الدراسة في جوانبها المختلفة.

تواريخ الدول والإمارات والمدن :

ويأتي في طليعة هذه التواريخ كتاب ((الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة)) – قسم الجزيرة – لمؤلفه عز الدين محمد بن شداد (ت684هـ/ 1285م) ولهذا الكتاب أهمية خاصة في البحث ذلك ان مؤلفه كان يشغل منصباً إدارياً مرموقاً لدى الملك الناصر يوسف الأيوبي صاحب حلب، فأتاح له هذا المنصب فرصة الوقوف على كثير من الشؤون السياسية والاقتصادية والإدارية في عهده، اذ كان احد كبار سفراء الناصر الى المغول والأمراء المحليين في الجزيرة، ولعب دوراً مباشراً في مفاوضة المغول لفك الحصار عن مدينة ميافارقين وحاول جاهداً تقريب وجهات نظر الملوك المحليين وتوحيد

كلمتهم الموقوف بوجه الغزاة. وبذلك جاءت مشاهداته ومشاركته في الأحداث التي دونها في كتابه هذا سجلاً حافلاً بالأحداث أغنت معلوماته البحث.

وقد أفاد البحث كتاب ((مفرج الكروب في أخبار بني أيوب)) لأبن واصل (ت697هـ/ 1268م) وخاصة الجزء الرابع منه لاحتوائه على مادة غزيرة منها علاقة ملوك بني أيوب مع السلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي.

اما كتاب ((كنز الدرر وجامع الغرر)) لمؤلفه ابن أيبك (ت حوالي عام 736هـ/ 1335م) فانه كتاب قيم في مادته وأفاد البحث إفادة مباشرة لكثرة معلوماته التي تزداد أهميتها في الفترة التي عاصر المؤلف أحداثها واطلع على خفاياها إذ كان يشغل منصباً رسمياً لدى احد ملوك المماليك المعاصرين لفترة البحث. وما يقال عن ابن أيبك يمكن ان يقال عن ابن عبد الظاهر (ت692هـ/ 1293م) في كتابيه ((تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور)) وكتاب ((الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر)).

اما كتاب ((السلوك لمعرفة دول الملوك)) للمقريزي (ت845هـ/ 1442م) فقد احتوى على معلومات في غاية الفائدة عن أحوال الجزيرة السياسية والعسكرية والإدارية والاقتصادية، وقد غطى تاريخه فترة البحث.

كما اطلعت على المعلومات التاريخية الموجودة في كتاب التواريخ التالية: ((الباهر في الدولة الاتابكية في الموصل)) لأبن الأثير وكتاب ((التاريخ المنصوري)) للحموي (ت644هـ/ 1246م) وكتاب ((زبدة الحلب في تاريخ حلب)) لأبن العديم (ت660هـ/ 1262م) وكتاب ((الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية)) لأبو شامة (ت665هـ/ 1266م) وكتاب ((تاريخ ابن الفرات)) لأبن الفرات (ت807هـ/ 1404م) وكتاب ((النهج السديد والدرر الفريد)) لأبن أبي الفضائل (ت بعد 759هـ/ 1358م).

كتب السير:

اعتمد البحث على كتابين من هذا النوع، رصداً الأحداث التاريخية وأرخا لها وهما: كتاب ((سيرة جلال الدين منكبرتي)) للمؤرخ محمد بن احمد النسوي (ت639هـ/ 1241م) الذي شغل منصب كاتب الإنشاء لدى جلال الدين منكبرتي. وينفرد كتابه هذا بتقديم معلومات أساسية وتفصيلية عن علاقة ملوك الجزيرة بالخوارزميين، وموقف كل طرف منهم بالمغول. وكتاب ((سيرة صلاح الدين او النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية)) لبهاء الدين بن شداد (ت632هـ/ 1234م) وقد حوى معلومات قليلة تتعلق بالجوانب السياسية للموصل والجزيرة قبل الغزو المغولي لها

كتب التراجم والطبقات:

ترجع أهمية هذه الكتب الى كونها تلقي ضوءاً على الأوضاع الثقافية والإدارية الى جانب دراسة الأوضاع السياسية والاقتصادية. واهم هذه الكتب التي أغنت بحثنا هي:

كتاب ((تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب)) الجزء الرابع بأقسامه الأربعة والجزء الخامس بقسميه لأبن الفوطي (ت723هـ/ 1323م) الذي يذكر فيه تراجم لبعض ملوك الجزيرة الفراتية، ولعدد كبير من علماء وأدباء وموظفي هذه البلاد مع ذكر أهم نتاجاتهم الفكرية، مقدماً بذلك صورة واضحة عن هذا الإقليم في مجال الفكر والعلم. وكذلك كتاب ((الدرر الكامنة في أعلام المائة الثامنة)) لأبن حجر العسقلاني (ت852هـ/ 1448م) وكتاب ((فوات الوفيات والذيل عليها)) لأبن شاكر الكتبي وكتاب ((طبقات الشافعية الكبرى)) للسبكي (ت771هـ/ 1369م).

كما تقدم المصادر الآتية أخباراً مهمة عن عدد من مشاهير الملوك والأمراء والأدباء والعلماء في الموصل والجزيرة وهي: كتاب ((وفيات الأعيان وأنباء الزمان)) لأبن خلكان (ت681هـ/ 1282م) وكتاب ((نهج البلاغة)) لأبن ابي حديد (ت 656هـ/ 1258م) الذي تضمن معلومات عن الغزو المغولي للجزيرة، وكتاب ((الوافي بالوفيات)) وكتاب ((نكت الهميان في نكت العميان)) للصفدي (ت764هـ/ 1363م) وكتاب ((بغية الوعاة

في طبقات اللغويين والنحاة)) للسيوطي (ت911هـ/ 1505م) وكتاب ((العبر في خبر من غبر)) للذهبي وكتاب ((الذيل على طبقات الحنابلة)) لأبن رجب (ت795هـ/ 1392م) وكتاب ((تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار)) للسلامي (ت 774هـ/ 1372م) وكتاب ((طبقات الشافعية)) للاسنوي (ت 772هـ/ 1370م).

أما أهم الكتب التي احتوت على معلومات تتعلق بالجانب الإداري فهي: كتاب ((صبح الأعشى في صناعة الانشا)) للقلقشندي (ت820هـ/ 1418م) الذي تضمن كذلك معلومات اقتصادية، وكتاب ((نهاية الارب في فنون الأدب)) للنويري (ت733هـ/ 1332م) وكتاب ((الأحكام السلطانية والولايات الدينية)) للماوردي (ت450هـ/ 1058م).

كتب الجغرافية والرحلات:

قدمت هذه الكتب معلومات مهمة عن مناحي الحياة الاقتصادية كالزراعة والتجارة والصناعة في الجزيرة وعن جغرافية الإقليم فضلاً عن المعلومات التاريخية، ومن بينها ما قدمه الحموي (ت 626هـ/ 1228م) في كتابه ((معجم البلدان)) من معلومات تفصيلية دقيقة عن جغرافية واقتصاد مدن الجزيرة، وما قدمه ابن سعيد المغربي (ت685هـ/ 1286م) الذي زار المنطقة وقدم عنها معلومات أساسية خدمت كثيراً البحث في كتابيه ((بسط الأرض في الطول والعرض)) وكتاب ((الجغرافيا))، وقدم ابن بطوطة (ت779هـ/ 1377م) في كتابه ((رحلة ابن بطوطة)) معلومات واضحة عن مشاهداته لبعض مدن الجزيرة عند زيارته لها سنة (728هـ/ 1337م). وقد أفاد البحث كتاب ((الأعلاق النفيسة)) لأبن رسته (ت بعد 290هـ/ 902م) وكتاب ((المسالك والممالك)) للاسطخري (ت341هـ/ 953م) وكتاب ((صورة الأرض)) لأبن حوقل (ت367هـ/ 977م) وكتاب ((أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)) للمقدسي (ت 387هـ/ 997م) وكتاب ((تقويم البلدان)) لأبو الفداء، وكتاب ((مراصد الاطلاع على

أسماء الأمكنة والبقاع)) لأبن عبد الحق (ت739هـ/ 1338م)، وكتاب ((مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)) لأبن فضل الله العمري (ت749هـ/ 1348م).

وأخيراً يجب الإشارة الى ما أفدته من بعض المصادر التي ألفت باللغة الفارسية والتي يأتي في مقدمتها كتاب ((جامع التواريخ)) لمؤلفه رشيد الدين فضل الله الهمداني (ت718هـ/ 1318م) وقد ترجم منه ثلاث أجزاء من أصل أربعة الى اللغة العربية. وقد خدم هذا المؤلف أسرة ايلخانات المغول غازان واوجايتو. ويعد هذا المؤلف خير من كتب عن تاريخ المغول حتى وفاة غازان. وقد انفرد بذكر كثير من المعلومات التفصيلية التي لم ترد في مصادر أخرى وبخاصة عن نشاط المغول العسكري في الجزيرة، وعن أحوالها السياسية والإدارية خلال فترة الاحتلال المغولي.

وحقق كتاب ((نزهة القلوب)) للمستوفي القزويني (ت750هـ/ 1349م) والمترجم الى اللغة الانكليزية فائدة للبحث في الجانب الاقتصادي، فقد قدم حقائق مدعمة بالأرقام عن مقدار الموارد المالية لكل مدينة من مدن الجزيرة فضلاً عن معلومات زراعية وصناعية، كما قدم كتابه الثاني ((تاريخ كزيدة)) معلومات خدمت البحث، واحتوى كتاب ((جهانكشاي)) للجويني (ت681هـ/ 1282م) على معلومات مهمة عن تاريخ المغول وعن علاقة جلال الدين منكبرتي. وهناك مؤلفات فارسية أخرى خدمت البحث منها: كتاب ((تاريخ روضة الصفا)) لميرخوند (ت903هـ/ 1497م) وكتاب ((حبيب السير في أخبار أفراد البشر)) لخواندمير (ت942هـ/ 1535م) وكتاب ((ذيل جامع التواريخ)) لحافظ ابرو (ت838هـ/ 1434م)) وكتاب ((تاريخ وصاف الحضرة وأحوال سلاطين مغول)) للشيرازي.

الفصل الأول

الموصل والجزيرة الفراتية قبل الاحتلال المغولي

الفصل الأول

أولاً : الحدود الجغرافية لإقليم الجزيرة الفراتية :

امتدت السيطرة المغولية على بلاد واسعة النطاق وكان من بين أقاليمها بلاد الجزيرة الفراتية[1]، وان الأراضي الخاضعة لنفوذهم ضمن هذا الإقليم لم تكن حدودها ثابتة، بسبب الحروب المستمرة التي كانت تحدث على أرضها بين المغول والمماليك. لذلك يصعب علينا ضبط حدودها السياسية[2] الخاضعة للتوسع والانكماش تبعاً للأحداث السياسية.

غير ان عدم ثبات الحدود السياسية لا يعني عدم وجود حدود جغرافية متفق عليها. وقد رسم لنا الجغرافيون العرب صورة واضحة لحدود هذا الإقليم الذي يقع بين دجلة والفرات، اذ اعتبروا خط سير مجرى نهر الفرات الحد الفاصل بشكل عام بين الجزيرة وإقليم الشام غرباً وبلاد الروم من الشمال والشمال الغربي، وأرمينيا من الشمال والشمال الشرقي، والخط الوهمي الذي يمتد من الانبار على نهر الفرات غرباً الى تكريت على دجلة شرقاً الحد الفاصل بين الجزيرة شمالاً والعراق جنوباً، ويكون بمثابة الحد الجنوبي للجزيرة[3].

---

(1) يتألف اقليم الجزيرة من ثلاث ديارات هي: ديار بكر، وربيعة، ومضر. ابن رسته، ابو علي احمد بن عمر: الأعلاق النفيسة: م7/ 107، طبع بريل، ليدن، 1891م. المقدسي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابي بكر المعروف بالبشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: 137، ط2، طبع بريل، 1904م، تحقيق دي غويه.

(2) الحدود السياسية: يقصد بها النقاط التي تنتهي عندها سيادة الدولة.

(3) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق/ 1/ 40 من المقدمة. ابو الفداء تقويم البلدان: 273؛ القلقشندي: صبح الأعشى: 4/ 314-315.

وهناك من يذكر عن حدود الجزيرة ان في غرب الفرات مدناً وقرى خارجة عن إقليم الجزيرة وان كانت تنسب اليها لقربها منها[1].

اما المناطق التي تعد نهايات لإقليم الجزيرة فتتمثل بالحدود التي تتماشى مع المدن التي سنذكرها ابتداءاً من الجهة الشمالية الغربية وهي: ملطية - سيمساط - قلعة الروم - البيره - منبج - بالس - الرقة - قرقيسيا - الرحبة - هيت - الى الانبار، ثم تتجه شرقاً الى تكريت على دجلة ثم شمالاً الى السن الى حديثة على دجلة الى الموصل والى جزيرة ابن عمر، ثم يتجه الخط الى شمال آمد، ثم ينحرف باتجاه الجنوب الغربي الى الفرات عند ملطية ملتقياً مع خط البداية[2].

ثانياً: الأوضاع السياسية والاقتصادية في الموصل والجزيرة الفراتية:

أ- الأوضاع السياسية في الموصل

في أواخر القرن الثالث الهجري انفصلت الموصل عن الدولة العباسية، بعد أن تمكن الحمدانيون من تأسيس إمارة مستقلة فيها، وعندما تمكن البويهيون من السيطرة على العراق خضعت الموصل لحكمهم، ثم لحكم السلاجقة من بعدهم. وفي مطلع القرن السادس الهجري، وبسبب ضعف السلطة السلجوقية توفرت الفرصة لبعض مماليك السلاجقة وأمرائهم في الاستقلال بولاياتهم ومنها الموصل.

---

(1) الاصطخري، ابو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي: مسالك الممالك: 72 طبع بريل، ليدن، 1927م. ابو الفداء تقويم البلدان: 273.

(2) الاصطخري: مسالك الممالك: 71-72. ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي: صورة الأرض: 189، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، ابو الفداء: تقويم البلدان: 273.

يعود الفضل في تأسيس إمارة الموصل الى عماد الدين زنكي بن آق سنقر، بعد تعيينه أميراً على الموصل والجزيرة من قبل السلطان السلجوقي محمود بن محمد بن ملكشاه، بموجب منشور أصدره في رمضان سنة (521هـ/ 112م) [1].

وقد شرع عماد الدين زنكي في توسيع رقعة إمارته، وتمكن بعد فترة قصيرة من حكمه ان يستولي على حلب وحماه بعد ان ضم لملكه عدداً من الكيانات الضعيفة في الجزيرة كالخابور ونصيبين[2]، وبهذا تمكن من تشكيل دولته التي تعد نواة للجبهة الإسلامية والتي أصبح بمقدورها مواجهة التحديات الصليبية التي تزايدت في تلك الفترة[3].

وانقسمت إمارته بعد ان لقي مصرعه على يد خادمه المسمى برنقش في ربيع الآخر سنة (541هـ/ 1146م)[4] بين ولديه سيف الدين غازي الذي حكم الموصل، ونور الدين محمود الذي حكم حلب[5] وكان لهذا الانقسام أثره في انهيار دولة الاتابكة في الموصل التي أقامها عماد الدين زنكي.

---

(1) ابن الأثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني الجزري: الكامل في التاريخ:8/ 323-324، دار الفكر، بيروت، 1978م.

(2) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية: 36-38، دار الكتب الحديثة بالقاهرة، ومكتبة المثنى ببغداد، تحقيق عبد القادر احمد طليمات ؛ ابن العديم، كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله: زبدة الحلب من تاريخ حلب: 2/ 241-244، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، دمشق 1951م، تحقيق سامي الدهان.

(3) عن هذه التحديات: انظر: رانسيمان، ستيفن: تاريخ الحروب الصليبية: 2/ 343-344، ترجمة الباز العريني، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1968م.

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ 9/ 13 ابن القلانسي، ابو يعلي حمزة: ذيل تاريخ دمشق: 284، مطبعة الاباء اليسوعيين، بيروت، 1908م؛ البنداري، الفتح بن علي الأصفهاني: تاريخ دولة آل سلجوق: 189-190، مطبعة الموسوعات، القاهرة، 1900م.

(5) ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: 5/ 184، دار الثقافة، بيروت، تحقيق إحسان عباس.

ولم تتوقف حركة الانقسامات في إمارة الموصل، ففي سنة 544هـ/ 1149م انفصلت إمارة اربل عنها[1] وتبعتها إمارة سنجار سنة 566هـ/ 1170م، ثم إمارة جزيرة ابن عمر سنة 576هـ/ 1180م[2]. وكان الملك نور الدين ارسلان شاه بن عز الدين مسعود 589-607هـ/ 1193-1210م آخر الملوك الأقوياء من سلالة زنكي – قد عهد بالحكم لابنه القاهر عز الدين مسعود الثاني، على ان يقوم بتدبير دولته مملوكه بدر الدين لؤلؤ، ولم يكن القاهر قد تجاوز العشر سنوات[3].

كسب بدر الدين لؤلؤ بأعماله ود الملك القاهر عز الدين 607-615هـ/ 1210-1218م[4] لذلك عندما شعر القاهر بقرب اجله عندما تعرض الى الحمى التي أودت بحياته فأوصى بالملك لأبنه الأكبر نور الدين وجعل بدر الدين لؤلؤ وصياً عليه ومدبراً لملكه[5].

توفي القاهر سنة 615هـ/ 1218م فاستغل بدر الدين لؤلؤ فرصة تجديد وصايته بأن طلب من ملوك الأطراف تجديد العهد لنور الدين على القاعدة التي كانت بينهم فأجابوه[6]، كما اقره الخليفة العباسي الناصر لدين الله 575-622هـ/ 1181-1225م على حكم الموصل نيابة عن الاتابك[7] الصغير بناءاً على طلبه[8].

---

(1) زامباور: معجم الانساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي: 344، أخرجه زكي محمد حسن بك وآخرين، مطبعة جامعة فؤاد الأول، 1951م.

(2) ابن الأثير: الكامل: 9/ 109، 150. زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة: 341-342.

(3) ابن الأثير: الكامل: 9/ 303-304.

(4) ابن الأثير: التاريخ الباهر: 203-204.

(5) ابن الأثير: الكامل: 9/ 319-320. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب: 3/ 263، دار القلم القاهرة، تحقيق جمال الدين الشيال.

(6) ابن الأثير: الكامل: 9/ 320.

(7) اتابك: لفظ تركي مركب من اتا بمعنى أب وبك بمعنى أمير، وقد ظهر في العهد السلجوقي، وكان يطلق على من يتولى تربية أولاد ملوك السلاجقة. القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الانشا: 4/ 18، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية. باشا، حسن: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية: 1/ 3، دار النهضة العربية، القاهرة، 1965م.

(8) ابن العبري، غريغوريوس الملطي. تاريخ مختصر الدول: 232، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1958م، الغساني، الملك الاشرف عماد الدين ابو العباس: العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك: 336، دار البيان، بغداد، 1975، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم.

عمل بدر الدين لؤلؤ على استغلال صغر سن الملك نور الدين ارسلان ليستبد بحكم البلاد، وليبعد المنافسين له عن إمارته، خاصة بعد ان وجد بأن الوضع السياسي للمنطقة غير مستقر بسبب ازدياد حدة الصراع والمنافسة بين حكام الإمارات المجاورة من اجل السيطرة وبسط النفوذ، اذ كانت تسيرهم بهذا الاتجاه أطماعهم الشخصية ونزعاتهم الفردية[1].

كان عماد الدين زنكي[2] صاحب عقر الحميدية[3] يحدث نفسه في حكم الموصل – باعتباره كبير البيت الاتابكي – وانه احق بالملك من ابن أخيه الصغير، وكان بدر الدين لؤلؤ يدرك ان ليس من مصلحته ان يتولى الحكم اتابك قوي يجمع بيده أمور البلاد، فقرر عند ذلك طرد عماد الدين زنكي من الموصل[4].

أثار هذا الطرد حفيظة مظفر الدين كوكبري صاحب اربيل الذي اخذ يتوجس خيفة من انفراد بدر الدين لؤلؤ بالحكم والقضاء بشكل نهائي على أسرة زنكي، وبناءً على ذلك غير مظفر الدين كوكبري موقفه من بدر الدين لؤلؤ، بعد ان كان قد وافق على تولية الأخير مهمة تدبير حكم ابن أخته نور الدين ارسلان شاه[5] فأيد صاحب

---

(1) انظر: ابن الأثير: الكامل: 9/ 320. الديوه جي، سعيد: تاريخ الموصل: 1/ 311، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1982م.

(2) عماد الدين زنكي: هو ابن نور الدين ارسلان شاه تولى حكم العقر بعد وفاة والده سنة 607هـ. انظر: ابن الأثير: الكامل: 9/ 304.

(3) عقر الحميدية: قلعة حصينة في جبال شرق الموصل أهلها أكراد. ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله الرومي البغدادي: معجم البلدان: م4/ 136، دار صادر، بيروت، 1957م، وتعرف العقر الان بمدينة عقرة.

(4) ابو شامة، شهاب الدين ابي محمد عبد الرحمن: تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين: 114، ط2، دار الجيل، بيروت، 1974م. القساني: المسجد المبروك: 136.

(5) حسين، محسن محمد: اربيل في العهد الاتابكي: 106–107، مطبعة اسعد، بغداد / 1976م.

اربل عماد الدين زنكي في احتلال قلعة العمادية والأطراف المجاورة لها، والتي كانت تابعة حينذاك لإمارة الموصل[1].

عجز بدر الدين لؤلؤ عن استرداد قلعة العمادية من عماد الدين زنكي بسبب المساعدات التي حصل عليها الأخير من مظفر الدين كوكبري[2] وحينذاك لجأ الى الاشرف موسى بن العادل صاحب الجزيرة، طالباً مساعدته وحمايته من أطماع مظفر الدين كوكبري، مقابل طاعته وانتماء اليه[3] فوافق الملك الاشرف على هذا الطلب[4] بعد ان وجد بان المصلحة تقتضي عدم السماح بتنامي قوة صاحب اربل التي تهدد أملاكه في الجزيرة.

لم يقف مظفر الدين كوكبري مكتوف اليدين إزاء تحرك بدر الدين لؤلؤ، فقام بمراسلة ملوك الأطراف يحثهم على الوقوف الى جانبه في وجه تحالف صاحبي الموصل والجزيرة، ولقيت دعوته القبول لدى عز الدين كيكاوس صاحب بلاد الروم مقابل تعهد مظفر الدين بالخطبة له، وانضم اليهم ناصر الدين محمود الارتقي صاحب حصن كيفا وآمد[5] غير ان مظفر الدين لم يحقق مكاسب تذكر من هذا التحالف بسبب موت عز الدين وتفكك الحلف سنة 616هـ/ 1219م[6].

وعلى الرغم من تفكك الحلف واصل مظفر الدين كوكبري جهوده للقضاء على بدر الدين لؤلؤ، ففي سنة 616هـ/ 1216م تمكن مظفر الدين من محاصرة الموصل من

---

(1) ابن الأثير: الكامل: 9/ 320. الغساني: العسجد المسبوك: 362.

(2) طليمات، عبد القادر احمد: مظفر الدين كوكبري: 113، سلسلة اعلام العرب، طبعة مصر.

(3) ابن الأثير: الكامل: 9/ 321. وأكد محمد باقر الحسيني هذه التبعية من خلال الدينار الاتابكي في الموصل في عهد نور الدين ارسلان شاه، فقد ضرب عليه اسم الملك الاشرف الأيوبي سنة 615هـ. العملة الإسلامية في عهد الاتابكة: 53- 54، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، 1966م.

(4) ابن الأثير: الكامل: 9/ 321.

(5) ابن الأثير: الكامل: 9/ 327.

(6) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 233. الغساني: العسجد المسبوك: 365-366.

الجانب الشرقي لمدة ثلاثة أيام، ثم انسحب بعسكره بعد ان وصلته الأخبار عن اجتماع عساكر بدر الدين للعبور اليه ليلاً وكبس عسكره[1].

وبعد هذا التاريخ بدأ مظفر الدين كوكبري يخفف من حدة صراعه مع بدر الدين لؤلؤ، بعد ان أدرك بأن مصلحة بلاده العامة تحتاج الى ذلك، حيث أصبح بحاجة الى مساعدة بدر الدين لؤلؤ العسكرية لمواجهة عساكر المغول الذين اجتاحوا بلاد المشرق الإسلامي بما فيها بلاد خوارزم حتى وصلوا الى أطراف إربل سنة 618هـ/ 1221م، فاستغاث مظفر الدين كوكبري ببدر الدين لؤلؤ، فأجابه طلبه وأرسل اليه (00 جمعاً صالحاً من عسكره ...)[2].

إلا ان هذا التحسن في علاقة الطرفين لم يستمر طويلاً، اذ تجدد الصراع بينهما ثانية[3] بسبب انفراد بدر الدين لؤلؤ بحكم الموصل، بعد قتل اتابكها ناصر الدين محمود بن القاهر سنة 621هـ/ 1224م[4].

وإزاء الظروف التي كانت تحيط بالمنطقة، والتي تقتضي من الطرفين تناسي مشاكلهم، والعمل على اتخاذ مواقف موحدة لمواجهة الأخطار الخارجية التي تحدق بالمنطقة، ومنها الغزو المغولي، وبدلاً من ذلك عقد مظفر الدين كوكبري حلفاً مع كل من المعظم عيسى بن العادل صاحب دمشق وناصر الدين ارتق صاحب ماردين والمسعود

---

(1) ابن الأثير: الكامل: 9/ 322، 328. ابن الفرات: ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم: تاريخ ابن الفرات: م5 / 258 – 259، دار الطباعة الحديثة، بصرة، 1970م، تحقيق حسن محمد الشماع.

(2) ابن الأثير: الكامل: 9/ 6337. ابن واصل: مفرج الكروب: 4/ 48، 49 ، مطبعة دار الكتب، 1972م، تحقيق حسن محمد ربيع.

(3) انظر: ابن الأثير: الكامل: 9/ 354.

(4) سبط بن الجوزي، شمس الدين ابي المظفر يوسف بن قزوغلي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان: م8/ 2/ 633، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، الدكن – الهند، 1952م.

الذهبي: تاريخ الإسلام: 308، مخطوطة ميكروفلم في مكتبة الدراسات العليا – كلية الآداب، بغداد برقم 1803.

وكن الدولة صاحب آمد وحصن كيفا لغرض الاستيلاء على الموصل، وانضم اليهم جلال الدين منكبرتي سلطان الخوارزمية[1] – الذين كانوا قد دخلوا المنطقة قوة جديدة – ، وقد نجح مظفر الدين في استمالة جلال الدين منكبرتي الى جانبه ضد بدر الدين لؤلؤ بتحريض من عماد الدين زنكي صاحب شهرزور[2] ويبدو ان جلال الدين منكبرتي أراد استغلال فرصة دخوله هذا الحلف للبحث عن عمق إستراتيجي لبلاده في صراعه مع المغول ولغرض الانتقام من

بدر الدين لؤلؤ، لوقوف الأخير الى جانب الخليفة العباسي الناصر لدين الله في نزاعه مع والد السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه[3].

ولاستغلال هذه الفرصة بادر مظفر الدين الى محاصرة الموصل سنة 623هـ/ 1226م، ولكنه لم يستطع ان يحقق أية مكاسب تذكر، فاضطر الى رفع الحصار، بعد ما يئس من الحصول على مساعدات من حلفائه، وذلك لانهماك جلال الدين منكبرتي في

---

(1) ابن الأثير: الكامل: 9/ 357. ابو شامة: الذيل على الروضتين: 342. الغساني: العسجد المسبوك: 418.

(2) الحموي، ابو الفضائل محمد بن علي: التاريخ المنصوري، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان: 306–307، عني بنشره بطرزغرياز نيويج، موسكو، 1963م.

وشهرزور: كورة واسعة في الجبال بين اربل وهمدان. ياقوت: معجم البلدان: م3/ 375 وتسمى حالياً بالسليمانية.

(3) يفهم ذلك من الرسالة التي ارسلها بدر الدين للخليفة الناصر يحثه فيها على الوقوف بجانبه ويتهم كوكبري بالاتفاق مع عدوه علاء الدين خوارزمشاه، وجاء فيها (000 ولا ينسى له انه – أي مظفر الدين – سعى في إعادة دولة الأعاجم حتى باح بإعلانه، وسمح لها 000 – عندما قال – 000 وانهض اليها – أي الى الدولة العباسية – عظيم خوارزم من خوارزمه). ابن الأثير، ضياء الدين بن محمد بن عبد الكريم: رسائل ابن الأثير: 71 بيروت، 1959 م، تحقيق أنيس المقدسي.

قمع عصيان نائبه في كرمان، ووقوع بعض مدن حلفائه تحت قبضة الملك الاشرف موسى[1].

لقد أدرك بدر الدين لؤلؤ ان الخطر الحقيقي لن يأتي هذه المرة من مظفر الدين كوكبري، وانما من جلال الدين منكبرتي الذي اظهر منتهى الشدة مع منافسيه، مما دفعه الى الاستنجاد بالخليفة العباسي المستنصر بالله 623-640هـ/ 1226-1242م طالباً إبداء المساعدة لماله من هيمنة روحية على جلال الدين لغرض الحد من أطماع الأخير في إمارته، فأرسل الخليفة في سنة 626هـ/ 1228م وغداً الى جلال الدين منكبرتي يطلب منه ان (... لا يحكم على بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل (000) بل يعده من أولياء الديوان وأتباعه وأشياعه)[2].

يبدو ان جلال الدين منكبرتي لم يستجب لهذا الطلب، اذ تشير الى ذلك مكاتبته لبدر الدين لؤلؤ التي كانت تحتوي على شيء من الاستهزاء والتصغير. ويكشف النص التالي ما يؤيد ذلك ((000 ولم يكتب شيئاً مما جرت به العادة من خادمه أو محبه أو أخيه، وكانت علاماته على تواقيعه (النصر من الله وحده)، فاذا كاتب بدر الدين صاحب الموصل واشباهه، يعلم بهذه العلامة عليه بأحسن خط، وكان يشق قلم العلامة شقين لتجيء غليظة))[3].

استمرت العلاقة متوترة بين بدر الدين لؤلؤ وجلال الدين منكبرتي، ففي سنة 627هـ/ 1229م اشترك بدر الدين لؤلؤ في الحلف الذي عقده الملك الاشرف موسى مع ملوك الأطراف، لغرض إضعاف الخوارزمية وانتزاع ما كان بأيديهم من بلاد الجزيرة، فتمكنوا في أواخر سنة 627هـ/ 1229م من إنزال هزيمة ساحقة بهم في موقعة ياسي جمار

---

(1) ابن الأثير: الكامل: 9/ 367. النسوي، محمد بن احمد: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي: 213، مطبعة الاعتماد، القاهرة: 1953م، تحقيق حافظ احمد حمدي.

(2) النسوي: سيرة السلطان: 304. ابن الفوطي، ابي الفضل عبد الرزاق: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة: 14، مطبعة الفرات، بغداد، 1351هـ تحقيق مصطفى جواد.

(3) النسوي: سيرة السلطان: 384-385.

من ارض ارزنجان، ففر سلطانهم الى أذربيجان، واستعاد الاشرف خلاط[1] من أيديهم[2]، وكان لهذه الواقعة أثرها في تصدع دولة جلال الدين منكبرتي وذلك بسبب الخسائر الكبيرة التي لحقت بقواته، مما ساعد المغول على اجتياح أملاكه وإضعاف قدراته العسكرية[3].

لم يغفر الخوارزمية لبدر الدين لؤلؤ هذا الموقف، حيث قيل أن طائفة منهم قد اغارت على الموصل، بعد مقتل سلطانهم جلال الدين منكبرتي سنة 628هـ/ 1230م[4].

وتوالت غاراتهم على الموصل وكانت أخطرها تلك الغارة التي شنوها على جيش بدر الدين لؤلؤ أثناء الحصار الأخير لسنجار سنة 635هـ/ 1237م، حيث أوقعوا به هزيمة ساحقة ونهبوا خزائنه وأثقاله وجميع ما كان في معسكره[5].

وعلى أية حال لم يتخذ الملك الاشرف موسى موقفاً واضحاً من استمرار تهديد الخوارزميين للموصل، خاصة بعد ان تخلص بدر الدين لؤلؤ من منافسه مظفر الدين كوكبري الذي توفي سنة 630هـ/ 1232م[6].

---

(1) خلاط: بلدة عامرة ومشهورة بكثرة خيراتها، وهي قصبة أرمينية الوسطى. ياقوت: معجم البلدان: م2/ 83-381.

(2) ابن الأثير: الكامل: 9/ 381. سبط بن الجوزي: مرآة الزمان: م8/ 2/ 662 التكريتي، محمود ياسين: الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة: 158، دار الرشيد للنشر بغداد، 1981م.

(3) ابن واصل: مفرج الكروب: 4/ 320-321، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1972م، تحقيق حسنين محمد ربيع وسعيد عاشور.

(4) ابن الأثير: الكامل 9/ 384.

(5) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان: م8/ 2/ 704. ابن خلدون. عبد الرحمن بن محمد: تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر: 5/ 355 مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، 1971م.

(6) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 44.

وعلى الرغم من ذلك بقي بدر الدين لؤلؤ تابعاً للملك الاشرف موسى، ومما يؤكد هذه التبعية استمرار ذكر اسمه على النقود والخطبة في الموصل حتى وفاة الاشرف سنة 635هـ/ 1237م[1].

ويبدو ان بدر الدين لؤلؤ قد استبشر بوفاة الملك الاشرف موسى، فقطع الخطبة عنه، وانفرد بضرب النقود باسمه دون ان يشاركه احد من الملوك[2]، غير ان هذا الاستقلال لم يدم طويلاً اذ دخل بدر الدين لؤلؤ في طاعة غياث الدين كيخسرو صاحب الروم سنة 637هـ/ 1239م[3]، واستمرت هذه التبعية حتى وفاة صاحب الروم سنة 641هـ/ 1243م[4].

وبعد هذا التاريخ بقي بدر الدين لؤلؤ في حكم الموصل مستقلاً الى سنة 643هـ/ 1244م عندما أدان بالولاء والتبعية للمغول إذ شرع في جمع الضرائب من أهل الشام وحصلها للمغول بناء على أمرهم[5]، وعليه فان دخول الموصل في طاعة وتبعية المغول يمثل مرحلة جديدة تميزت بتجميد قوة الموصل العسكرية وتعطيل إمكانياتها الاقتصادية، ومنع ذلك من تأدية دورها الايجابي بالوقوف الى جانب القوى السياسية العربية الإسلامية، تلك القوى التي أخذت على عاتقها مسؤولية الدفاع عن ممتلكات العرب والمسلمين التي أخذت تجتاحها قوة المغول.

---

(1) الصائغ، سليمان: تاريخ الموصل: 1/ 223، المطبعة السلفية بمصر، 1923م.

(2) الصائغ: تاريخ الموصل: 2231، الحسيني: العملة الإسلامية في العهد الاتابكي: 61.

(3) الحسيني: العملة الإسلامية في العهد الاتابكي: 61058.

(4) الصائغ: تاريخ الموصل: 2241.

(5) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان: م8/ 2/ 745. المقريزي، احمد بن علي: السلوك لمعرفة دولة الملوك: 1/ ق2/ 315، 320، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1957م، تحقيق محمد مصطفى زيادة.

ب- الأوضاع السياسية للأيوبيين في الجزيرة

يعود الفضل في تأسيس الدولة الأيوبية إلى الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي إذ تمكن خلال فترة حكمه الممتدة من سنة 564-589هـ/ 1168-1196م[1] أن يكون جبهة عربية موحدة تمتد من برقة غرباً الى الفرات شرقاً، ومن الموصل وحلب شمالاً إلى النوبة واليمن جنوباً[2].

وخلال فترة حكمه هذه حقق الكثير من الانتصارات العسكرية على الصليبيين، كان أهمها انتصاره في موقعة حطين سنة 583هـ/ 1187م، وتوج هذا النصر بتحريره بيت المقدس ومعظم المدن والممتلكات العربية التي كانت خاضعة لهم في بلاد الشام[3].

وكان لوفاته اثر كبير في انفراط عقد الوحدة لدولته، إذ قسمت بين أولاده وأخيه الملك العادل سيف الدين[4] الذي استطاع أخيراً الاستئثار بالحكم، مستخدماً في ذلك الأساليب السياسية المشروعة وغير المشروعة، ويكشف ذلك حديثه الذي برر فيه لأمرائه أسباب خلع الملك المنصور بن العزيز بن صلاح الدين، وتنصيب نفسه بدلاً منه في حكم مصر، بقوله (... قبيح بي ان أكون اتابك صبي، مع الشيخوخة والتقدم، والملك ليس هو بالإرث، وإنما هو لمن غلب ....)[5].

عمل العادل بعد أن استقر في حكم مصر على توزيع الأقاليم التابعة له بين أولاده، إذ تولى الملك الاشرف موسى بموجب ذلك إقليم الجزيرة، والملك الأوحد نجم

---

(1) ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع: سيرة صلاح الدين أو النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية : 40، 246، ط1، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1962، تحقيق جمال الدين الشيال.

(2) العبادي، أحمد مختار: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام: 85، دار النهضة العربية، بيروت، 1961م.

(3) ابن الأثير: الكامل: 9/ 176-186، 190- 191. ابن شداد: سيرة صلاح الدين: 75-106.

(4) من هذا التقسيم انظر جب، هاملتون. أ.ر: صلاح الدين الأيوبي: 202-203، ترجمة يوسف ايبش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1973م.

(5) المقريزي: السلوك: 1/ ق1 / 152.

الدين ميافارقين وتوابعها، والتي انضمت فيما بعد الى أملاك الاشرف بعد وفاة الأوحد نجم الدين سنة 609هـ/ 1112م[1].

ويمكن القول ان الملك العادل سيف الدين استطاع ان يحافظ على وحدة البيت الأيوبي حتى وفاته سنة 615هـ/ 1218م[2] لتنفجر بموته النزاعات بين ملوك بني أيوب، بحيث لم يتوان بعضهم عن الاستعانة بقوة خارجية لتعزز موقفهم في السلطة، أو لتحقيق مكاسب إقليمية على حساب وحدة الأمة، ففي سنة 615هـ/ 1218م استعان الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي صاحب سميساط[3] بعز الدين كيكاوس صاحب الروم، وبمرافقة صاحب آمد الارتقي على مهاجمة أملاك الاشرف موسى في الجزيرة وانتزاعها منه[4] وعلى الرغم من تمكن الاشرف من إفشال هذا المخطط[5] إلا ان الوضع ازداد سوءاً حينما اختلف الملك المعظم عيسى صاحب دمشق مع الملك الاشرف موسى والملك الكامل صاحب مصر، فقد حدث أن سار الملك الاشرف الى أخيه الكامل بمصر دون ان يصطحب المعظم معه، فشعر المعظم ان هدف هذه الزيارة التحالف ضده[6] فما كان منه إلا ان اخذ يؤلب ملوك الجزيرة ضد الاشرف، ومنها مساندته لشهاب الدين غازي صاحب ميافارقين الذي كان قد تمرد على الاشرف عندما رفض تسليمه خلاط التي كان

---

(1) ابن الأثير: الكامل: 327. ابو شامة: الذيل على الروضتين: 81-82 الذهبي: دول الإسلام: 2/ 114، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم.

(2) عاشور، سعيد عبد الفتاح: الحركة الصليبية: 2/ 926، ط2، مكتبة الانجلو المصرية، 1971م.

(3) سميساط: مدينة على الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات. ياقوت: معجم البلدان: م3/ 258.

(4) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 436-437، مجلة المشرق، بإدارة آباء جماعة القدس، بيروت، العدد 48 للسنة 1954م. المقريزي: السلوك: 1/ ق1/ 189- 190.

(5) الحسناني: المسجد المسبوك: 366.

(6) ابن الأثير: الكامل: 9/ 371.

قد استتابه الاشرف عليها أثناء غيابه في مصر[1] كما شرع في مراسلة السلطان جلال الدين منكبرتي .. الذي ظهر على المسرح السياسي للمنطقة – وعرض عليه الدخول معه في تحالف بالاتفاق مع مظفر كوكبري صاحب اربل ضد الملك الاشرف[2] فرحب جلال الدين منكبرتي بطلبه، ومن اجل توطيد التحالف تزوج جلال الدين من ابنة الملك المعظم[3].

وقام جلال الدين بدوره بإرسال الخلع التي اخذ المعظم يلبسها مفاخراً بها ومثيراً الملك الاشرف، حتى بلغ به الحال حداً أصبح معه لا يحلف إلا برأس جلال الدين[4].

استغل جلال الدين هذه الفرصة – التي أتاحت له إيجاد موطئ قدم في بلاد الجزيرة – ففي سنة 623هـ/ 1226م توجه جلال الدين الى خلاط لانتزاعها من الملك الاشرف[5] مستفيداً بذلك من تحريض الملك المعظم، وقد تنبه الملك الاشرف الى خطورة أطماع جلال الدين التوسعية في بلاده، على الرغم من فشل الأخير في احتلال خلاط،

---

(1) ابو شامة: الذيل على الروضتين: 133-134. ابن الوردي زين الدين عمر: تاريخ ابن الوردي: 2/ 201، ط2: المطبعة الحيدرية، النجف، 1969م. ابن ابي عذيبة: مختصر التاريخ الكبير: 173-274، مخطوطة في مكتب أوقاف الموصل تحت رقم 10/ 15 خزانة حسين بك.

(2) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: م8/ 2/ 632. ابن واصل: مفرج الكروب: 4/ 146 اليافعي، عبد الله بن اسعد اليمني المكي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان: 4/ 48، دائرة المعارف النظامية حيدر آباد - الدكن، 1339هـ.

(3) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: م2/ 708. اليونيني، قطب الدين ابو الفتح موسى: ذيل مرآة الزمان: م1/ 140، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، الهند، 1954م.

(4) الحموي: التاريخ المنصوري: 314-315. ابو شامة: الذيل على الروضتين: 148. الذهبي: تاريخ الإسلام: 323 (مخطوط).

(5) ابن الأثير: الكامل: 9/ 370. ابن واصل: مفرج الكروب: 4/ 190.

كما أدرك بان تمادي الملك المعظم في مخاصمته سيزيد من تردي الأوضاع، عند ذلك توجه الاشرف بنفسه إلى أخيه المعظم، وتمكن من مصالحته[1].

وخلال هذه الأحداث توفي المعظم صاحب دمشق وكان ذلك في سنة 624هـ/ 1226م، وكان قد عهد بولايته دمشق لابنه الناصر داؤد[2] فاستغل الاشرف والكامل هذا الحدث، وحاصروا دمشق تمهيداً لانتزاعها من صاحبها، فما كان من الناصر داؤد إلا ان طلب المساعدة من جلال الدين منكبرتي، وأرسل من يعلمه بأن الاشرف والكامل انما قصداه لانتمائه هو وأبوه لجلال الدين، وحثه على مهاجمة خلاط لمشاغلة أعمامه كي يفكوا الحصار عن دمشق[3].

وجدت هذه الدعوة القبول لدى جلال الدين منكبرتي[4] الذي هاجم خلاط سنة 626هـ/ 1228م[5] في الوقت الذي اضطر الناصر داود إلى تسليم دمشق لأعمامه، بعد ان احكموا الحصار عليه، مقابل إعطائه بعض الاقطاعات من بلاد فلسطين[6].

وترتب على ذلك إعادة توزيع الأملاك، فتنازل الاشرف عن حران[7] والرقة[1] والرها[2] وسروج[3] ورأس العين[4] لأخيه الكامل، مقابل سيادته على دمشق واحتفاظه بخلاط وديار بكر[5].

(1) ابن الأثير: الكامل: 9/ 371. ابن ابي هذيبة: مختصر التاريخ الكبير: 275 (مخطوطة). لعبود، نافع توفيق: الدولة الخوارزمية 160/ 161، مطبعة الجامعة، بغداد، 1978م.

(2) ابن الأثير: الكامل: 9/ 374-375.

(3) ابن واصل: مفرج الكروب: 4/ 236-240.

(4) ابن واصل: مفرج الكروب: 4/ 244.

(5) الذهبي: العبر في خبر من غبر: 5/ 105، الكويت، 1966م. تحقيق صلاح الدين منجد، الغساني: العسجد المسبوك: 437.

(6) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: م8/ 2/ 657. الحصني، محمد أديب آل تقي: منتخبات التواريخ لدمشق: 1/ 1/ ط، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 9/ 19م.

(7) حران: مدينة مشهورة من إقليم الجزيرة. ياقوت: معجم البلدان: م2 / 235.

وبعد ان تم هذا التوزيع، وردت الأخبار بفتح جلال الدين خلاط، بعد حصار طويل دام أكثر من عشرة أشهر (... وعملوا – فيها – ما لا تعمله التتار ...) [6] من أساليب القتل والنهب والدمار.

أثار هذا العمل مخاوف الأيوبيين من تمادي الخوارزمية في اجتياح البلاد وتدميرها، فاقتضت مصلحة الملك الاشرف التحالف مع علاء الدين كيقباذ صاحب الروم ضد جلال الدين منكبرتي، وقد نجح هذا التحالف في إيقاع الهزيمة بالخوارزمية، وهرب سلطانهم جلال الدين الى أذربيجان، بعد ان خسر غالبية عسكره[7].

سعى الأيوبيون – بعد مقتل جلال الدين منكبرتي سنة 628هـ/ 1230م وزوال الخطر الخوارزمي مؤقتاً عن البلاد – الى تثبيت دعائم سلطانهم على الجزيرة، فتم للكامل والاشرف السيطرة على حصني آمد وكيفا سنة 630هـ/ 1232م[8]، فولى الكامل نيابتها ولده الصالح نجم الدين أيوب[9].

---

(1) الرقة: مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران مسيرة ثلاثة أيام. ياقوت: معجم البلدان: م3/ 58.

(2) الرها: مدينة الجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ. ياقوت معجم البلدان: م3/ 106 وحالياً تسمى بمدينة اورفة وتقع في تركيا.

(3) سروج بلدة قريبة من حران. ياقوت: معجم البلدان: م3/ 216.

(4) رأس العين: مدينة بالجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر. ياقوت: معجم البلدان: م3/ 13–14.

(5) ابن الأثير: الكامل: 9/ 379. جب: صلاح الدين الأيوبي: 217.

(6) الذهبي: دول الإسلام: 2/ 133.

(7) ابن الأثير: الكامل: 9/ 381. ابن واصل: مفرج الكروب:4/ 297–299.

(8) سبط بن الجوزي: م8/ 2/ 675–676. ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء إسماعيل: البداية والنهاية: 13/ 135، مطبعة السعادة بمصر.

(9) الذهبي: دول الإسلام: 2/ 135.

لم يعد الأشرف موسى بعد هذا التاريخ يهتم بإمارته في الجزيرة، بسبب انشغاله في الخلاف الذي نشب بين ملوك بني أيوب[1] الذين بدأوا يتوجسون خيفة من أطماع الكامل[2] حيث اتفق الأشرف موسى مع أسد الدين شيركوه صاحب حمص ضد الملك الكامل، وراسلا علاء الدين كيقباذ صاحب الروم يخبرانه باتفاقهما ضد الكامل، ويطلبان منه أن يكون معهما[3] وأخذ يخططان لإنهاء حكم الملك الكامل، بعد أن انضم إليهما الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب، وبعض ملوك الأيوبيين في الجزيرة[4] ولكن وفاة كلا من الملكين الأشرف موسى والكامل سنة 635هـ/ 1237م حالت دون تطبيق ما اتفق عليه[5].

أدت وفاة الأشرف موسى والكامل إلى انفجار حدة الصراعات والانقسامات بين ملوك بني أيوب حول تقسيم أملاك الدولة بينهم[6] فضلاً عن استفحال أمر الخوارزمية الذين استعان بهم بعض ملوك الجزيرة، بعد موت جلال الدين منكبرتي لتحقيق

---

(1) العريني، السيد الباز: المغول: 105، دار النهضة العربية، بيروت، 1967م.

(2) المقريزي: السلوك: م1/ ق1/ 248–249. رانسيمان: تاريخ الحروب الصليبية: 3/ 367–368. ويذكر جمال الدين ابي المحاسن يوسف المعروف بابن تغري بردي بأن أسد الدين شيركوه برر للملك الأشرف خوفه من أطماع الكامل بقوله (000إن حكم الكامل على الروم أخذ جميع ما بأيدينا000): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: 6/ 282–283، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.

(3) المقريزي: السلوك: 1/ ق1/ 248–249، 254.

(4) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان: م8/ 2/ 700. ابن العديم: زبدة الحلب: 3/ 227 حب: صلاح الدين الأيوبي: 219–220.

(5) ابن العديم: زبدة الحلب: 3/ 233، 236. علي، محمد كرد: خطط الشام: 2/ 98–99، المطبعة الحديثة بدمشق، 1925م.

(6) عن هذه الصراعات والانقسامات وما اسفرت عنه من تغيير في المراكز السياسية لملوك الأيوبيين. انظر: سبط بن الجوزي: مرآة الزمان: م8/ 2/ 707–709، 716–717. المقريزي: السلوك: 1/ ق1/ 261، 1/ ق2/ 267–273.

اطماعهم الخاصة، فانزلوا الدمار بمدن الجزيرة، في الوقت الذي لم يتمكن المظفر غازي صاحب ميافارقين وتوران شاه بن الصالح أيوب صاحب حصن كيفا من السيطرة عليهم لضعف نفوذهما[1]، وقد استغل كيخسرو الثاني صاحب الروم وبدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل هذه الأوضاع، فتمكنا من انتزاع بعض مدن الأيوبيين في الجزيرة[2].

في وسط هذه الأحداث المضطربة، اجتاح المغول بلاد الروم، وبدأوا يهددون أملاك الأيوبيين في الجزيرة، وعندما فشل الأيوبيون في صدهم دخل بعض ملوكهم في طاعتهم، في حين قتلوا البعض الآخر، بعد ان اجتاحت عساكرهم مناطق حكمهم المتمثلة بميافارقين وآمد سنة 642هـ/ 1244م[3].

ج- الأوضاع السياسية للاراتقة في الجزيرة الفراتية

يعود الفضل في تأسيس إمارة الاراتقة في الجزيرة الى سكمان بن ارتق بن اكسب التركماني. وكان والده ارتق الذي نسبت اليه هذه الإمارة احد مماليك السلاجقة[4]، وقد ولاه تاج الدولة تتش بن الب ارسلان سلطان سلاجقة الشام على مدينة القدس سنة 479هـ/ 1086م[5].

وعند وفاة ارتق سنة 483هـ/ 1090م[6] ترك سكمان واخوه ايلغازي مدينة القدس، وتوجها الى بلاد الجزيرة[7]. وخلال إقامتهما فيها، حدث ان استعان موسى

---

(1) انظر: سبط بن الجوزي: مرآة الزمان: م8/ 2/ 704، 735، 737، 738 والسيمان: تاريخ الحروب الصليبية: 3/ 369.

(2) جب: صلاح الدين الأيوبي: 225.

(3) سأتناول موقف الأيوبيين من الغزو المغولي لاحقاً.

(4) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: 5/ 210.

(5) عماد الدين خليل : إمارة بني ارتق: 37- 38، رسالة دكتوراه مطبوعة على الآلة الكاتبة، جامعة عين شمس، 1968م.

(6) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: 5/ 210.

(7) ابن خلكان: وفيات الأعيان: 1/ 191.

التركماني الذي خلف كربوقا على الموصل، بسكمان لمساعدته ضد جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر الذي حاصر الموصل، فلبى سكمان هذا الطلب، واستطاع إرغام جكرمش على فك الحصار والرحيل عن الموصل مكافأة موسى التركماني لقاء ذلك بأن اعطاه حصن كيفا سنة 495هـ/ 1101م[1].

شرع سكمان بعد هذا التاريخ في توسيع رقعة حكمه، فتمكن من الاستيلاء على ماردين سنة 496هـ/ 1102م[2]، وبعد وفاته في سنة 498هـ/ 1104م رشحا ابن أخيه نجم الدين ايلغازي الذي أسس فيها إمارة مستقلة عن حصن كيفا سنة 500هـ/ 1106م[3].

وفي سنة 581هـ/ 1185م تمكن احد أحفاد سكمان المدعو عماد الدين ابو بكر بن قرا ارسلان من تأسيس إمارة ارتقية ثالثة في خرتبرت[4].

وفي مطلع القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي لم تكن الإمارات الارتقية في حالة وفاق ووئام، بل تتنازعها الخصومات، وتدبير التحالفات مع القوى الخارجية المتمثلة بسلاجقة الروم والأيوبيون واتابكة الموصل من اجل النيل بعضها من البعض الآخر بسبب تشابك الأطماع الشخصية وحب السيطرة لدى ملوكها والتي اضعف من وحدة المسلمين[5].

لذلك فلا غرابة ان نجد ملوك بني ارتق يقفون مكتوفي الأيدي في كثير من الأحيان عندما تتعرض إحدى إماراتهم الى خطر انتزاعها من قبل القوى المجاورة، بل لا يتحرج بعضهم من تأييد القوى الخارجية المهاجمة وتقديم الدعم لها في سبيل إسقاط إحدى الإمارات الارتقية، كما حدث عندما انتزع الكامل صاحب مصر حصني آمد وكيفا من

---

(1) ابن الأثير: الكامل: 8/ 210-211. زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة: 344.

(2) ابن الأثير: الكامل: 8/ 227-228.

(3) زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة: 344-345.

(4) ابن الأثير: الكامل: 9/ 169. زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة: 344 وخرتبرت: حصن يعرف بحصن زياد، في أقصى ديار بكر من بلاد الروم. ياقوت: معجم البلدان: م2/ 355.

(5) حمدي، حافظ احمد: الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي: 107، دار الفكر العربي، مصر، 1950م.

صاحبها الملك المسعود بن مردود الارتقي[1] سنة 630هـ/ 1232[2]، فلم يتخذ ناصر الدين صاحب ماردين أي موقف ايجابي لصالح صاحب آمد في محنته، بل العكس اتسم موقفه بالتخاذل، عندما قدم هدية للملك الكامل بهذه المناسبة، كدليل على الطاعة والخضوع[3].

وعلى الرغم من سقوط حصني آمد وكيفا، لم يوحد صاحبا ماردين وخرتبرت[4] سياستهما لمواجهة التهديدات الخارجية، بل على العكس اتسمت علاقتهما بالتوتر والتنافس، ووصلت الى حد القتال واللجوء الى قوى خارجية، كما حدث سنة 630هـ/ 1232م عندما تحالف ناصر الدين صاحب ماردين مع علاء الدين كيقباذ صاحب الروم، واتفقا على مهاجمة ممتلكات الأيوبيين[5] فتخوف صاحب خرتبرت من ان يستهدف هذا التحالف إمارته، لذلك عرض على الملك الكامل الدخول في طاعته[6]، وتقديم المساعدة العسكرية له عند مهاجمته بلاد الروم من ناحية خرتبرت وخاصة أملاك علاء الدين كيقباذ وناصر الدين اللذين انزلا الخراب في الجزيرة[7].

وبناءاً على ذلك قدم عسكر الكامل باتجاه خرتبرت فالتقى بهم علاء الدين كيقباذ والحق بجيش الكامل الهزيمة، ثم اتجه علاء الدين بعسكره لحصار خرتبرت تمهيداً

---

(1) حكم الملك المسعود من سنة 619هـ/ 630هـ وقد وصف بأنه كان سيء السيرة. انظر: ابو الفداء، عماد الدين إسماعيل: المختصر في أخبار البشر: 3/ 152، ط1، المطبعة الحسينية المصرية.

(2) الذهبي: دول الإسلام: 2/ 135.

(3) المقريزي: السلوك: 1/ ق1 / 243.

(4) لم تذكر المصادر اسم صاحب خرتبرت: انظر: زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة: 344. لين بول، ستانلي: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة: 2/ 352 والحاشية، ترجمة احمد سعيد سليمان، دار المعارف بمصر.

(5) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان: م8/ 2/ 677. ابن كثير: البداية والنهاية: 13/ 135.

(6) ابن العديم: زبدة الحلب: 3/ 218. اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1 / 131.

(7) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان: م8/ 2/ 677. اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1 / 131.

لانتزاعها من صاحبها الذي ألقى بنفسه الى التهلكة بوقوفه الى جانب الملك الكامل، اذ أدى به ذلك الى تسليم إمارته للمحاصرين سنة 631هـ/ 1232م[1].

وهكذا أصبحت خرتبرت ضمن ممتلكات صاحب الروم في الوقت الذي لم يتخذ صاحب ماردين أي موقف ايجابي لإنقاذ خرتبرت من الانتزاع، ويرجع ذلك الى رغبة صاحب ماردين في التخلص من منافسة هذه الإمارة لتتسنى له الفرصة لصرف جهوده في التوسع[2].

وبسقوط هذه الإمارة لم يبق من أملاك بني ارتق في الجزيرة سوى إمارة ماردين التي استمرت في إتباع سياستها التقليدية في تدبير المؤامرات والتحالفات، حتى دخلت في طاعة المغول سنة 642هـ/ 1244م[3].

وبذلك عبرت سياسة الاراتقة في الجزيرة عن تخاذل ملوكها وتقاعسهم عن تأدية واجبهم بصورة واضحة تجاه المسلمين، ويعود السبب في ذلك ان نفوسهم بدأت تحدثهم بالملك، ولم يشغلوا أنفسهم بما كانت الأمة تواجهه من مشاكل خارجية بما فيها الغزو المغولي من الشرق الإسلامي.

د- الأوضاع الاقتصادية في الموصل والجزيرة الفراتية

لاشك ان الاضطرابات السياسية والحروب الداخلية التي لازمت منطقة الجزيرة طوال النصف الأول من القرن السابع الهجري، قد ساهمت في تدهور الوضع الاقتصادي للمنطقة، بسبب فقدان الأمن وضعف الحكومات المحلية التي عجزت عن تأمين طرق المواصلات التجارية، لكثرة حركات التمرد وقطاع الطرق، وتكرار ظاهرة

(1) ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم: تاريخ الواصلين في أخبار الخلفاء والملوك والسلاطين: مج2/ 908-910، مخطوطة في دار الكتب والوثائق المصرية رقم رح/ 1941، اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 131-132.

(2) عمر: إمارة بني ارتق: 138. التكريتي: الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة: 203.

(3) الهمداني، رشيد الدين فضل الله: جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيزخان: 193، ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1983م. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 194.

غزو المدن[1] وما نجم عنه من ضعف واضح في قدرة المدن الدفاعية أمام الأخطار الخارجية.

وقد صاحب هذا الوضع ظروف طبيعية سيئة لادخل للإنسان فيها ولكنها أثرت على موارد الجزيرة الاقتصادية. وقد حوت المصادر التاريخية معلومات عن مثل هذه الظروف، ففي سنة 622هـ/ 1225م حدث زلزال مدمر في الموصل والجزيرة نجم عنه وقوع مجاعات، وترك الفلاحين الأرض، واضطر الناس الى أكل الميتة والكلاب والسنانير،

وانتشر الوباء، واشتد الغلاء فبيع رطل الشيرج[2] بقيراطين[3] بعد ان كان سعره نصف قيراط، ومن العجيب ان تباع كل خمسة أرطال من الجزر والسلق بدرهم وهذا قليلاً ما يحدث وبلغ سعر المكوك وثلث من الحنطة بدينار وقيراط ويكون وزنه خمسة وأربعين رطلاً دقيقاً بالبغدادي، وكان مكوك الأرز باثني عشر درهماً فصار بخمسين درهماً والتمر كل خمسة أرطال بقيراط فصار كل رطلين بقيراط، واستمرت ظاهرة ارتفاع الأسعار حتى بلغ سعر بعض المواد الغذائية كالملح مثلاً عشرة إضعاف سعره الحقيقي[4]. وبذلك تكون المواد الغذائية قد تضاعفت أسعارها ثلاث مرات على الأقل، أي ان القوة

---

(1) ذكر بأن مدينة نصيبين لوحدها قد تعرضت في سنة 649هـ أكثر من سبع عشرة مرة للسلب والنهب من قبل المواصلة والخوارزميين والأيوبيين والاراتقة. سبط بن الجوزي: مرآة الزمان: م8/ 2/ 738.

(2) الشيرج: ويسمى أحياناً بالسيرج وهو دهن السمسم. الجوهري: إسماعيل بن حماد: الصحاح في اللغة والعلوم: م1/ 697.

(3) القيراط والرطل والمكوك: القيراط مقياس للوزن ويختلف وزنه بحسب البلاد وهو قسمان شرعي وصيرفي، فالشرعي هو ثلاث حبات من الشعير وثلاث أسباع الحبة، اما الصيرفي فيعادل اربعة حبات والمثقال الشرعي يعادل عشرين قيراطاً. والرطل العراقي يعادل (91) مثقال شرعياً. المقريزي: النقود الإسلامية: 93، 97-98.

(4) ابن الأثير: الكامل: 9/ 364-365. الحموي: التاريخ المنصوري: 310. الغساني: العسجد المسبوك: 413.

الشرائية للنقود قد انخفضت الى اقل من الثلث تقريباً[1] وأعقب هذا الزلزال زلزال آخر حدث في سنة 623هـ/ 1226م ونتج عنه خراب القرى وارتفاع الأسعار خاصة في منطقة الموصل والجزيرة[2].

وقد صاحب الزلزال عدم انتظام سقوط المطر في مواعيدها وقلتها في بعض المواسم ففي سنة 620هـ/ 1222م و 621هـ/ 1223م حصل تذبذب وشحة في كمية الأمطار ولفترات غير اعتيادية[3] وفي سنة 624هـ/ 1226م اشتد الغلاء في ديار الجزيرة وانقطع المطر حتى منتصف آذار تقريباً[4] وفي سنة 628هـ/ 1230م حدث غلاء شديد في بلاد الشام والجزيرة بسبب قلة مياه الأمطار والعيون التي سببت هلاك المزروعات[5] وكان يصاحب قلة سقوط المطر في بعض السنين برد شديد كما حدث سنة 633هـ/ 1235م حيث يبست أشجار الكروم والفاكهة بسبب البرد الشديد[6] كما ان هجمات الجراد وانتشار الآفات الزراعية والحيوانية تركت اثرا سلبيا على الزراعة كما حدث ذلك في سنة 619هـ/ 1221م حيث ظهر جراد كثير لم تعهد المنطقة مثله من قبل فأكل الزرع والثمر[7].

سببت هذه الأحداث انتشار ظاهرة بطالة الكثير من أصحاب الحرف، خاصة تلك التي تعتمد على المنتوجات النباتية والحيوانية، وقد أشار ابن الأثير لذلك في معرض حديثه عن كساد تجارة الغنم سنة 624هـ/ 1226م فيقول (حكي لي من يتولى بيع الغنم

---

(1) بدر، شاكر احمد: الحروب الصليبية والأسرة الزنكية: 441، منشورات كلية الأداب الجامعة اللبنانية.

(2) الذهبي: دول الإسلام: 2/ 128. الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن: تاريخ الخميس في احوال انفس النفيس: 2-377، مؤسسة شعبان، بيروت.

(3) الحموي: التاريخ المنصوري: 295، 300.

(4) ابن الأثير: الكامل: 9/ 375.

(5) ابن كثير: البداية والنهاية: 13/ 128.

(6) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 741، مجلة المشرق العدد 49، سنة 1955.

(7) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان: م8/ 2/ 623.

بالموصل انهم باعوا خروفاً واحداً لا غير وفي بعضها خمسة رؤوس وفي بعضها ستة واقل وأكثر وهذا ما لم يسمع بمثله ولا رأينا في جميع أعمارنا ولا حكي لنا مثله) [1].

ان مثل هذه الحوادث قد تركت آثاراً سيئة في نفوس الفلاحين ادت الى حدوث هجرات متعددة من الجزيرة الى الأقاليم المجاورة من اجل مورد رزق ومكان أكثر أماناً واستقراراً [2].

ثالثاً: ظهور المغول

تعرض المشرق الإسلامي منذ الربع الأول من القرن السابع الهجري الى هجمات متعاقبة شنتها عليه أقوام شبه بدوية، وتمكنت في اقل من نصف قرن من تقويض معظم الكيانات السياسية فيه.

عرفت هذه الأقوام باسم التتار، وكان موطنهم الأصلي هضبة منغوليا التي تمتد الى أواسط آسيا (جنوب سيبريا) وشمال التبت وغرب منشوريا وشرق تركستان بين جبال التاي غرباً وجبال خنجان شرقاً [3].

ويسود هذا الإقليم مناخ صحراوي، ففي فصل الصيف القصير ترتفع درجات الحرارة فيه لتصل الى (60 ° م) وتقل كمية الأمطار الساقطة عن خمسة بوصات، وهي كمية لا تكفي سوى لنمو بعض الحشائش النيئة الباردة، وتنخفض درجات الحرارة في فصل الشتاء الى دون درجة التجمد لتصل أحياناً الى (58 ° ف) تحت الصفر بسبب

---

(1) الكامل: 9/ 35.

(2) ابن الصابوني، جمال الدين ابي حامد محمد بن علي المحمودي: تكملة إكمال الاكمال، حاشية 105، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1957، تحقيق مصطفى جواد. المقريزي: السلوك 1/ ق 92 حاشية 114. مينوركسي: دائرة المعارف الإسلامية: مادة شهرزور: م13/ 420. العريني: المماليك 72، دار النهضة العربية، 1967.

(3) يسر، مصطفى طه: محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد: 48، مطبعة المكتب الثقافي الدولي الجزيرة.

تعرض هذا الإقليم للرياح الباردة الجافة القادمة من سيبريا والتي تؤدي الى تجمد المياه لأشهر عديدة من السنة[1].

وفي ظل هذه الظروف عاشت قبائل المغول حياة بدوية قاسية متنقلة من مكان الى آخر سعياً وراء موارد الرزق الشحيحة، وقد انعكست مظاهر هذه البيئة على حياتهم الاجتماعية إذ أصبحت الهجرة وعدم الاستقرار من أهم صفاتهم[2].

يصعب على الباحث ان يهتدي الى أصلهم بشكل دقيق لقلة المصادر التاريخية التي تبحث في ذلك وان كان الكثير من المؤرخين والباحثين المحدثين يميلون الى الاعتقاد بأنهم قريبي الصلة أو ينحدرون من أصل تركي[3] وينتسبون بلهجاتهم الى الأسرة اللغوية الثانية أي التركية – المغولية وكانوا منقسمين الى عدد كبير من القبائل تصل الى حوالي تسع وثلاثين قبيلة[4] أشهرها قبيلة التتر[5] والمنغكو – تا أي المغول[6].

---

(1) ابو العينين، حسن سيد احمد: جغرافية العالم الإقليمية – آسيا الموسمية وعالم المحيط الهادي: 2/ 166، 490، ط5، دار النهضة العربية، بيروت 979م.

(2) الصياد، فؤاد عبد المعطي: المغول في التاريخ: 1/ 31، دار النهضة العربية، بيروت 1980.

(3) ابن الأثير: الكامل: 9/ 330. الذهبي: دول الإسلام: 2/ 121. البدر العيني، بدر الدين ابو محمد محمود بن احمد: السيف المهند في سيرة الملك المؤيد: 21، دار الكتاب العربي، القاهرة 1967م، تحقيق فهيم محمد شلتوت. سيرهنك المير الاي إسماعيل، حقائق الأخبار عن دول البحار: 2/ 165، ط1، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر 1314هـ. فامبري، ارمينيوس: تاريخ بخارى: 161 بروى، ادوار: تاريخ الحضارات العام: 3/ 355، منشورات عويدات، بيروت لبنان.

(4) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا: 34، ترجمة احمد سعيد سليمان، مكتبة الانجلو المصرية.

(5) الصياد: المغول في التاريخ: 1/ 25.

(6) بارتولد: تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي: 544، ترجمة صلاح الدين عثمان، ط1، الكويت، 1981.

وقد طغى اسم التتار على اسم هذه القبائل جميعاً، فأصبحت تعرف بها أمام شعوب العالم آنذاك[1]، ويبدو أن الصينيين هم الذين كانوا قد عمموا هذه التسمية على جميع هذه القبائل قبل ظهور جنكيزخان[2].

قدر لهؤلاء القوم ان يبرزوا على مسرح التاريخ عندما تولى قيادتهم (تموجين) [3] الذي خلف والده يسوكاي في الحكم ولم يكن قد تجاوز الثلاثة عشر عاماً[4] وحدث في بداية حكمه ان تمرد عليه زعماء القبائل الخاضعة له اذ اخذ كل منهم يطلب السيادة لنفسه[5] فساءت أحوال تموجين المعاشية بصورة بالغة القسوة، ومع ذلك لم يدخل اليأس قلبه فظل يكافح[6] حتى تمكن من كسب احترام اونك خان[7] زعيم قبيلة الكرايت الذي غمره بعطفه وفاءاً للصداقة التي كانت تربط اونك خان بوالد تموجين[8].

---

(1) بارتولد: دائرة المعارف الإسلامية: مادة جنكيز: م7/ 126.

(2) بدن: محنة الإسلام الكبرى: 74.

(3) ورد اسمه بتموجين بن يسوكي بن بهادر بن تومان. القلقشندي، صبح الأعشى: 4/ 305.

(4) الرمزي، م.م: تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار: م1 / 345، ط1، المطبعة الكريمة – اورنبورغ، 1908م.

Lane-Pool , S. Mohamadan Dynastics: 2.2 , Beirut, 1966.

(5) الصوفي، رزق الله منقريوس: تاريخ دول الإسلام: 2/ 267، مطبعة الهلال بمصر، 1907م.

(6) بارتولد: دائرة المعارف الإسلامية: مادة جنكيز: م7/ 128. واكيم، سليم: إمبراطورية على صهوات الجياد: 52، دار الكتاب العربي.

(7) أورد القلقشندي اسمه بـ (اوزبك خان) بدلاً من اونك خان. صبح الأعشى: 4/ 306. على حين يورده المؤرخون تحت اسم اونك خان او طغرل. انظر: الجويني، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد: تاريخ جهانكشاي: 1/ 28، طبعة بريل – ليدن، 1911م. العريني: المغول: 47.

Bosworth, Clifford Edmund I. The Islamic Dynasties ties: 142 , Edinburghat , 1967.

(8) اليوسف، عبد القادر احمد: علاقات بين الشرق والغرب: 191، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1969م.

أثار ارتقاء مكانة تموجين في قبيلة الكرايت حسد اونك خان ورجال دولته الذين دبروا مكيدة للقبض عليه والفتك به، لكن معرفة صبيان من أبناء اونك خان المقربين من تموجين هذه المؤامرة، وأخباره بها حال دون تحقيق نجاحها[1].

شرع تموجين بعد إفلاته من هذه المؤامرة في تدبير كمين للإيقاع بجيش اونك خان الذي تعقبه أثناء هربه، فاستطاع ان يجره الى مكان يسهل الدفاع عنه، وانقض عليه، فدارت معركة طاحنة بين الخصمين انتهت بمقتل اونك خان ذلك في سنة 599هـ/ 1202م[2].

وكان انحدار اونك خان مبعث قلق وعدم ارتياح لتايانك خان زعيم قبيلة النايمان خاصة بعد ان تأكد بان تموجين سوف يهاجمه، فأخذ تايانك خان يؤلب القبائل ويدعوها للتحالف معه ضد تموجين، وحدث ان طلب تايانك خان من زعيم قبيلة الانكوت ان ينضم اليه، إلا أن هذا الأخير أرسل الى تموجين من يخبره بقصد تايانك خان فاستغل تموجين هذه الفرصة ليشن هجوماً عنيفاً على خصمه للسنة 600هـ/ 1203م انتهى بمقتل تايانك واستسلام قبيلته له[3].

أردف تموجين انتصاره هذا بغلبته الخاطفة على قبائل مركيت واويرات وتتقرات[4] وبذلك احكم تموجين سيطرته على معظم القبائل ليتصرف بعد ذلك الى تنظيم شؤون مملكته فدعا زعماء القبائل التي خضعت له لعقد مجلس قوريلتاي (اجتماع عام) سنة 603هـ/ 1206م وتقرر فيه اعمام تسمية المغول على كافة القبائل التي كانت قد

---

(1) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 418، البدر العيني: السيف المهند: 180.

(2) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 418.

(3) البريانبوري، محمد بيك النقشبندي: ملحق خلاصة السيرة: 35، لاهور، 1920م، تحقيق ظهور احمد. الصياد: المغول في التاريخ: 1/ 47-48.

(4) الرمزي: تلفيق الأخبار: م1/ حاشية 346. فامبري: تاريخ بخارى، 163.

دانت له بالتبعية[1] ويرجع ذلك إلى أن قبيلة المغول التي تنتسب إليها تيموجين كانت قبيلة مستضعفة ومحتقرة ومنبوذة بين قبائل التتر فأراد تيموجين أن يرفع من شأنها فأطلق عليها هذه التسمية[2]. كما تضمن هذا الاجتماع التأكيد على زعامته ومنحه لقب خان[3] وأُطلق عليه تسمية جنكيزخان[4] بدلاً من تموجين[5] فعرف منذ ذلك الحين بهذه التسمية[6] وكان في الثانية والأربعين من عمره[7].

وبعد الانتهاء من هذه القرارات التي اتخذت في القوريلتاي، شرع جنكيزخان بإصدار دستوره المعروف بالياسا أو (الياساق) ليحل محل الأعراف القبلية، وقد حدد فيه

---

(1) رانسيمان: تاريخ الحروب الصليبية: 3/ 416. الأمين، حسن: الغزو المغولي: 30 -31، دار التعارف والمطبوعات، بيروت 1976م.

(2) بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية: 382، ترجمة نبيه فارس، ط7، دار العلم للملايين، بيروت 1977م. لامب، هارولد: جنكيزخان (إمبراطور الناس كلهم): 55 ترجمة بهاء الدين نوري، مطبعة السكة الحديدية، بغداد.

(3) خان لقب تركي أطلقه المغول على رؤسائه الذين تولوا حكم جزء من الإمبراطورية المغولية، أما خاقان أو قاآن فهو لقب يطلق على الرئيس الأعلى لدولته ومعناه الخان الأعظم. رشيد الدين: جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيزخان: حاشية 14. ويرى بارتولد بأن هذا اللقب قد منح له قبل هذا التاريخ. انظر: تركستان: 545.

(4) جنكيزخان: جاءت هذه التسمية من الكلمة الصينية (تينك سز) فحرفت هذه اللفظة إلى جنكيزخان ومعناها ابن السماء. عبد المنعم رشاد: الرعب الذي أحدثه الغزو المغولي: 6، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، العدد الثاني، تشرين الثاني، 1971م.

(5) عن كيفية إطلاق هذه التسمية. انظر: الصدفي: دول الإسلام: 2/ 268.

(6) الجويني: تاريخ جهانكشاي: 1/ 28. هاملتن: تاريخ العالم: م5 / 203، مكتبة النهضة المصرية. بارتولد: تركستان، 549.

Saunders. JJ. The History of the Mongol Conquests: 53 London 1971.

(7) جنكيزخان، عبد العزيز: تركستان قلب آسيا: 62، طبع ونشر الجمعية الخيرية التركستانية، 1945م.

طبيعة العلاقات بين المجتمع المغولي بشكل دقيق وصارم[1] كما اتخذ من قراقورم[2] عاصمة لدولته[3].

وبعد هذه السلسلة من الإجراءات، شرع جنكيزخان في توسيع ملكه خارج منغوليا، فاستطاع ان يسيطر على معظم أجزاء الإمبراطورية الصينية بما فيها العاصمة بكين، وذلك في سنة 612هـ/ 1215م[4].

وعندما استكمل جنكيزخان هدفه في الشرق، وجه قوته نحو الغرب لغرض إخضاع القبائل المغولية التي تمردت عليه أثناء حملته على الصين[5] فادى ذلك الى الاحتكاك مع القوى الإسلامية المجاورة، ومنها الدولة الخوارزمية التي بلغ توسعها أقصاه في عهد السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه 596- 617هـ/ 1199-1220م[6].

ويرى البعض انه لم يكن هناك ما يحول دون وقوع الاصطدام بين الدولتين[7] خاصة وان السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه قد مهد السبيل لهذا التصادم بعد ان

---

(1) عن محتوى الياسا: انظر ابن العبري: تاريخ الدول السرياني 420-421. لامب: جنكيزخان، إمبراطور: الناس كلهم: 51-57.

(2) قراقورم: معناها باللغة المغولية -- الرمل الأسود، وهي مدينة وقاعدة المغول وقرية جنكيزخان التي اخرجته القلقشندي: صبح الأعشى: 4/ 480-481.

(3) لامب: جنكيزخان : 80.

(4) عبد المنعم رشاد: الرعب الذي أحدثه الغزو المغولي: 6

Bosworth: The Islamic Dynasties: 141.

(5) الصياد: المغول في التاريخ: 1/ 53-54. العدوي، إبراهيم احمد: التاريخ الإسلامي: 382، مكتبة الانجلو المصرية.

(6) الحيود: الدولة الخوارزمية: 38.

(7) بارتولد: تركستان: 571. براون، ادوارد جرانفيل: تاريخ الأدب في إيران: 2/ 556، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي، مطبعة السعادة بمصر 1954م. الخربوطلي، علي حسن: غروب الخلافة الإسلامية: 136، مؤسسة المطبوعات الحديثة، مطبعة التقدم.

أزال الدولة القره خطائية[1] سنة 607هـ/ 1210م[2] التي كانت حاجزاً بينه وبين المغول[3] كما وان جنكيزخان كان بصدد البحث عن سبب كاف يبرر له إشعال نار الحرب مع الدولة الخوارزمية[4] بعد ان أدرك بأن استمرار وجود هذه الدولة يعيق تحقيق أحلامه التوسعية في

إقامة إمبراطورية عالمية[5] فاستغل حادثة مقتل تجاره في اترار[6] من قبل السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه، والذين كان قد أرسلهم الى بلاد خوارزم لغرض المتاجرة بناء على اتفاقية سابقة[7] ذريعة لتحقيق ذلك.

---

(1) ابن الأثير: الكامل: 9/ 291، 294-296.

(2) الصياد: المغول في التاريخ: 1/ 67. وللمعلومات عن هذه الدولة. انظر: شريف، احمد إبراهيم وحسن احمد محمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي: 620-622، ط1، دار الفكر العربي.

(3) ابن ابي حديد، عز الدين ابو حامد عبد الحميد: شرح نهج البلاغة / م2/ 363، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت ابن واصل: مفرج الكروب: 4/ 38.

(4) يفهم ذلك من نص الرسالة التي وجهها جنكيزخان الى علاء الدين محمد والتي احتوت في طياتها على شيء من الاحتقار والتصغير عندما نعت بولده، وهذه الكلمة تطلق في الشرق على الأتباع والخدم، وتذكيره بما أصاب العناصر التركية التي ينتمي اليها خوارزمشاه والتي إذ عنت له بهدف التهديد والوعيد المبطن. انظر: النسوي: سيرة السلطان: 83-84. لامب: جنكيزخان: 89-90.

(5) القزاز: الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير: 298، مطبعة القضاء النجف، 1971م.

(6) اترار: مدينة من مدن ما وراء النهر وتقع بالقرب من نهر سيحون وكانت قديماً تسمى بباراب. لسترنج، كي: بلدان الخلافة الشرقية: 258، ترجمة بشير فرنسيس وآخرين، مطبعة العاني – بغداد 1954م.

(7) عن الأسباب التي دفعت خوارزمشاه في الإيعاز لنائبه في اترار بقتل التجار. انظر: النسوي: سيرة السلطان: 83-86. السيوطي: تاريخ الخلفاء: 469.

وبناء على ذلك اجتاحت جحافل المغول بلاد خوارزمشاه دون ان يستطيع السلطان علاء الدين محمد التصدي لهم، فبدأ بالتقهقر أمامهم حتى انتهى الى إحدى جزر بحر قزوين فتوفي هناك سنة 617هـ/ 1220م[1].

رابعاً : موقف الموصل والجزيرة من الغزو المغولي

أ- موقف بدر الدين لؤلؤ من الغزو المغولي للموصل

تعرضت الموصل لخطر الغزو المغولي منذ سنة 618هـ/ 1221م بعد ان اجتاحت جحافل المغول بلاد خوارزم، ففي هذه السنة اتجه جند المغول نحو اربل قادمين من جهة مراغة، فبثوا الرعب في المنطقة، ووصل الخبر الى الموصل، مما حذا بقسم من الناس الى الهرب خوفاً من السيف، فاستنجد مظفر الدين كوكبري صاحب اربل ببدر الدين لؤلؤ، فأنجده بجمع من عساكر الموصل، إلا ان المغول لم يصطدموا مع قوات كوكبري، ظناً منهم ان قوات الخلافة في اثرهم[2].

ثم عاودوا الهجوم بعد عشر سنوات من الهجوم السابق وذلك سنة 628هـ/ 1230م، بعد مقتل جلال الدين منكبرتي، فاجتاحوا بلاد الجزيرة ونهبوا سواد آمد وارزن[3] وميافارقين واسعرد[4] وماردين ونصيبين، وقتلوا من ظفروا به، ثم انحدروا الى سنجار، وسارت طائفة منهم على طريق الموصل، فاستباحوا أعمالها ثم أعمال اربل[5]، فاستغاث مظفر الدين كوكبري صاحب اربل لعساكر الموصل، فساروا اليه، ولكن انسحاب جند المغول الى أذربيجان ازال الخطر[6].

(1) ابن الأثير: الكامل: 9/ 332-334.

(2) ابن الأثير: الكامل: 9/ 337-338.

(3) ارزن: مدينة قرب خلاط، من أعمال ارمينية. ياقوت: معجم البلدان: م1/ 150.

(4) اسعرد: وتسمى كذلك سعرت تقع بالقرب من نهر دجلة جنوب ميافارقين. ابو الفداء: تقويم البلدان: 288-289، طبعة باريس، 1840م.

(5) ابن الأثير: الكامل: 9/ 384-385. الذهبي: تاريخ الإسلام 346 "مخطوطة".

(6) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: 5/ 275.

وفي سنة 629هـ/ 1231م اغار المغول على شهرزور التابعة لأعمال اربل، غير انهم ما لبثوا ان أعادوا الى بلادهم، بعد ان تبعتهم عساكر الخليفة وصاحب اربل[1] ثم عاودوا غاراتهم على اربل سنة 633هـ/ 1235م فتصدى لهم صاحبها، فتركوها ونزلوا قرية ترجلي وكرمليس من أعمال الموصل، فوضعوا السيف في رقاب أهلها[2] ثم استأنفوا هجومهم فنزلوا سنجار وقتلوا واليها معين الدين بن كمال الدين على باب المدينة[3].

ويبدو ان بدر الدين لؤلؤ اخذ يتوجس الخيفة والحذر من هذه الغارات، فأرسل في تلك السنة الى الملك الاشرف موسى صاحب الجزيرة من يعلمه بأن المغول قد قطعوا (... دجلة في مائة طلب كل طلب خمسمائة فارس، ووصلوا الى سنجار ...) [4] وطلب المساعدة من الخليفة العباسي المستنصر بالله الذي أمر بتجهيز العساكر واستنفار الاعرب من أطراف بغداد وانفق الأموال لدفع خطر المغول عن الموصل وحدث ان عاد المغول خلال ذلك الى بلادهم لأن الجيش العباسي خرج من بغداد لملاقاتهم فتركوا حصار القلعة قبل الاصطدام بقوات الخليفة[5].

وفي سنة 634هـ/ 1236م نزل المغول اربل، وكان عددهم يزيد على ثلاثين ألف فارس بقيادة جكتاي، فاستباحوا المدينة وقتلوا خلقا كثيراً، فهرب الناس الى القلعة واعتصموا فيها فحاصرهم المغول لفترة طويلة، فطلب باتكين حاكم المدينة من قبل الخليفة الصلح مقابل مبلغ من المال يدفعه لهم، فأجابوه الى ذلك غير انهم ما لبثوا ان غدروا به بعد ان استحصلوا الأموال، وحاولوا فتح القلعة مرات عدة لكنهم فشلوا، فعادوا الى بلادهم[6].

---

(1) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 27-29.

(2) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 249. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 84-85.

(3) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان: م 8 / 2/ 693.

(4) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: 6/ 293.

(5) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 84-85.

(6) ابن ابي حديد: شرح نهج البلاغة / م2/ 369-370. ابن كثير البداية والنهاية: 13/ 145.

ويمكن القول ان هجمات المغول المتكررة لم يكن يقصد منها الغزو والنهب، انما كانت تهدف الى استطلاع قوة البلاد العسكرية لغرض تحديد إمكانية احتلالها[1].

ويبدو ان هجمات المغول هذه، قد أثارت خوف ورعب بدر الدين لؤلؤ على مستقبل إمارته، فاضطر سنة 634هـ/ 1236م الى مصالحتهم (... بما يحتاجونه اليه من ميرة وآلة وغيرها ...) خوفا من ان يقصدوا أعمال الموصل[2].

وعليه نلاحظ ان بدر الدين لؤلؤ بدأ يفكر منذ هذا التاريخ في اتباع سياسة المصانعة والمهادنة مع المغول محاولة منه لحماية بلاده من عبثهم بعد ان تأكد من ضعف القدرة العسكرية للخلافة العباسية، وفشلها في الحصول على إمدادات عسكرية كبيرة من ملوك الشام ومصر لكي تتمكن من دفع المغول عن بلادها[3]، وخصوصاً بعد نجاح المغول في تطويق الجزيرة من جهة الشرق والشمال سنة 641هـ/ 1234م عندما تمكنوا من إلحاق الهزيمة بغياث الدين كيخسروا والاستيلاء على خلاط وسيواس[4] وقيسارية[5] وآمد ومدن أخرى[6]، الأمر الذي دفع ببدر الدين لؤلؤ الى الدخول في طاعتهم سنة 642هـ/ 1244م وجعل نفسه وسيطاً عندما شرع في جباية الأموال لهم من المنطقة، فقد ذكر ان بدر الدين لؤلؤ أرسل في هذه السنة كتاباً يقول فيه (اني قررت على اهل الشام

---

(1) انظر: ابن الأثير: الكامل: 9/ 386.

(2) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 99.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام: 380 مخطوطة؛ فهد حيدري محمد: تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير: 90، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1973م.

(4) سيواس: مدينة من بلاد الروم وتقع شرقيها ارزن الروم وبينها وبينقسارية ستون ميلا. ابو الفداء: تقويم البلدان: 385.

(5) قسارية: وتسمى كذلك بالقيصرانية وهي مدينة من بلاد الروم: ابو الفداء: تقويم البلدان: 239، 383.

(6) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 251- 252. ابو الفداء: المختصر: 3/ 171/ 172.

قطيعة[1] للتتر في كل سنة من الغني عشرة دراهم ومن المتوسط خمسة دراهم، ومن الفقير درهم). فقرأ الكتاب القاضي محي الدين الزكي على الناس وبدأ في الجمع[2].

ولقاء السياسة التي اتبعها معهم بدر الدين لؤلؤ عدّوه من رعاياهم، وأرسلوا اليه (البرليغ)[3] و(البايزة)[4] مكافأة لجهوده وطاعته لهم[5].

استمر بدر الدين لؤلؤ بالدخول في طاعتهم، فكان يلبي أوامر استدعائهم له والاشتراك في احتفالاتهم[6] وتنفيذ مطاليبهم من السلاح والمال وتهيئة أمكنة الإقامة لوفودهم، والمبالغة في إكرامهم[7] وطبع ألقاب ملوكهم على نقوده[8].

---

(1) القطيعة: مقدار معين من المال يفرض على بلد أو إقليم للإنفاق على الاستعدادات الحربية الدفاعية. المقريزي: السلوك: 1/ ق2/ حاشية 320.

(2) المقريزي: السلوك: 1/ ق2/ 315، 326.

(3) البرليغ: وهو الأمر الملكي او المرسوم الذي يصدر من الخان الأعلى ومنح فيه الأمان للخائف من السلطة أو إعطاء الصلاحيات المطلقة لمن يكلف بعمل ما. داود الجلبي: الفاظ مغولية في اللغة العربية: 1/ 376، مجلة المجمع العلمي العراقي سنة 1950. القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية 54.

(4) البايزة: لوحة من الذهب أو الفضة أو الخشب، عليها علامة خاصة تهدى الى من يثق بهم المغول من رجال الدولة، ويتمتع حاملها بامتيازات خاصة فله الطاعة على كل من في دولة المغول، رشيد الدين: جامع التواريخ: تاريخ خلفاء جنكيزخان: حاشية 8. محمد سعيد رضا: ابن شداد في كتابة الأعلاق الخطيرة: حاشية 164، مجلة المؤرخ العربي العدد 14، 1980م.

(5) رشيد الدين: جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيزخان: 192.

(6) الجويني: تاريخ جهنكشاي: 1/ 205.

(7) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: 10/ 87. السبكي، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب: طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 270، ط1، منشورات عيسى البابي، القاهرة، 1971م، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي.

(8) يحمل الدينار الذي ضرب في الموصل سنة 652 على وجهه عبارة منكوقان الأعظم وفي ظهره اسم بدر الدين لؤلؤ الحسيني: العملة الإسلامية في العهد الاتابكي: 60.

ان العلاقة بين بدر الدين لؤلؤ والمغول تمثل بداية دخوله في تبعيتهم الإدارية والسياسية، كما تكشف لنا خروجه عن وحدة الأمة وإرادتها التي تستوجب من الجميع حمل السلاح لقتالهم ووضع الجماهير في مرحلة التهيؤ لصد العدوان.

لقد مضى بدر الدين لؤلؤ في سياسة مصانعتهم، بعد ان قويت شوكته بمصالحتهم مستغلاً هذه العلاقة الحسنة معهم لغرض تحقيق بعض المكاسب الإقليمية لإمارته[1] شأنه في ذلك شأن بعض ملوك المسلمين وأمرائهم من الذين لم يرتقوا الى مستوى المسؤولية في مواجهة الأحداث التي بدأت تواجهها الأمة الإسلامية.

وتطبيقاً لذلك عمد بدر الدين لؤلؤ الى الاستيلاء على نصيبين سنة 638هـ/ 1240م وجزيرة ابن عمر سنة 640هـ/ 1245م[2] واربل التي عهد المغول أمرها الى بدر الدين لؤلؤ الذي استطاع الاستيلاء عليها بالحيلة بعد ان عجز المغول عن فتحها[3].

وهناك من يذكر بأن بدر الدين لؤلؤ لم يقطع صلته بالخلافة العباسية، حيث كان يكاتب الخليفة المستعصم بالله سراً يحثه فيها على حشد القوى العسكرية لمواجهة المغول ويحذره من تعاظم خطرهم[4] ويبدو ان هذه الرواية على الأغلب موضوعه لتبيض صورة بدر الدين لؤلؤ السوداء.

ويتهم البعض الخليفة العباسي المستعصم بالتهاون وتحميله مسؤولية سقوط بغداد والواقع ان هذه المسؤولية لا يتحملها الخليفة وحده، بل كانت مسؤولية عامة، فلم يكن

---

(1) الكتبي، محمد بن شاكر: عيون التواريخ: 20/ 216، دار الرشيد، بغداد 1980، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم.

(2) ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة قسم الجزيرة: 3/ ق1/ 243، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1978، تحقيق يحيى عبارة. رشيد الدين: جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيزخان: 192. الصائغ: تاريخ الموصل: 1/ 224.

(3) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 298-299، ترجمة محمد صادق نشأت وآخرون. دار إحياء الكتب العربية، مصر، (النص الفارسي).

Raschid Eldin: Histoire Des Mongols De Laperse: 1:4, 326 Amsterdam , 1g69.

(4) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 87 . السبكي: طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 270.

الخليفة ضعيفاً ومتهاوناً، ولكن الخلافة العباسية كانت قد أدركتها الشيخوخة وبدأت عليها مظاهر الانحلال والانهيار، وبذلك يشبه وضع المستعصم وضع مروان بن محمد الذي سقطت الدولة الأموية في عهده، اذ لم يكن هذا الخليفة ضعيفاً بل يعتبر من اقوى خلفاء بني أمية، ولكن الظروف كانت أقوى منه. علماً بأن جميع استنجادات المستعصم بملوك الأطراف لم تجدي نفعاً لأن احد منهم لم يرسل مؤنة له وهكذا ترك العراق لوحده لمواجهة المغول.

وإزاء تحرك جيوش هولاكو من أطراف بلاد فارس والروم سنة 654هـ/ 1256م باتجاه بغداد[1] قطع بدر الدين لؤلؤ اتصاله مع الخليفة العباسي والحاز بشكل تام الى جانب المغول[2] بعد ان اقتربت قواتهم من أطراف بغداد سنة 655هـ/ 1257م[3] ولتعزيز ثقة هولاكو فيه قدم مساعدته لإقامة جسر على نهر دجلة عند تكريت لعبور جيش المغول المتوجه لحصار بغداد[4] واستجاب لطلب القائد المغولي (ارقيشو نويان) الذي طلب منه نجدة عسكرية للمساهمة في فتح اربل[5] واثناء حصار هولاكو بغداد سنة 656هـ/ 1258م أرسل بدر الدين لؤلؤ ابنه الملك الصالح ركن الدين إسماعيل على رأس ألف فارس ليساهم مع جيش هولاكو في فتح بغداد[6].

---

(1) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 263. الرازي، عبد الله: تاريخ مفصل إيران: م2/ 307، طهران، 1335هـ.

(2) الرويشدي: إمارة الموصل: 252.

(3) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 284.

(4) بدر: محنة الإسلام الكبرى: 131.

(5) إقبال، عباس: تاريخ مفصل إيران: 191، مؤسسة جاب انتشارات – طهران 1347هـ

(6) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 135، مجلة المشرق العدد 50 لسنة 1956. اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 88. الذهبي: تاريخ الإسلام: 490 مخطوط، الشهابي، حيدر احمد: الغرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان: 1/ 405، المطبعة السلفية بمصر، 1900م.

ويبدو ان إمدادات بدر الدين لؤلؤ قد وصلت بعد فتح بغداد، مما أثار غضب هولاكو الذي أساء مقابلة الملك الصالح ركن الدين إسماعيل، وقال له: (انتم بعد في شك من أمرنا ومطلتم نفوسكم يوماً بعد يوم وقدمتم رجلاً وأخرتم اخرى لتنظروا من الظافر بصاحبه، فلو انتصر الخليفة وخذلنا لكان مجيئكم اليه بدلا الينا). واستكمل خطابه قائلاً: (قل لابيك: لقد عجبنا منك تعجباً كيف ذهب عليك الصواب، وعدل بك ذهنك عن سواء السبيل، واتخذت اليقين ظناً، وقد لاح لك الصبح فلم تستصبح)[1].

لم يكتفي هولاكو بهذا القدر من التهديد، بل أمر بأن ترسل رؤوس بعض عن قتلهم من كبار موظفي الخلافة مع الملك الصالح ركن الدين إسماعيل الى الموصل لتعلق هناك[2] من اجل ردع كل من تسول نفسه التمرد على المغول أو مقاومتهم[3].

عند ذاك أدرك بدر الدين لؤلؤ بأن المنايا قد كشرت له عن أنيابها، وان هولاكو لا يزال يشك في إخلاصه، فسارع بدر الدين لؤلؤ اليه سنة 656هـ/ 1258م[4] محملاً بما في خزائنه من تحف ولآلئ وجواهر وما حصل عليه من أولاده ورعاياه من ذوي الثروة، فقدمها الى هولاكو الذي كان مقيماً في ضواحي مراغة، فأحسن هولاكو قبولها، وشمله بالإعزاز والتكريم لكبر سنه، واقره على إمارته[5].

استغل بدر الدين لؤلؤ وجوده في مراغة للتخلص من تاج الدين ابن صلايا حاكم اربل، خوفاً من ان يكشف الأخير علاقته السرية مع الخلافة فتمكن ان يوغر صدر

---

(1) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 276.

(2) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 290. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 329.

(3) عبد المنعم رشاد: احتلال المغول لبغداد: 22، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد الأول، 1971م.

(4) ذكر رشيد الدين ان بدر الدين لؤلؤ قد حضر الى مراغة بناءاً على أمر هولاكو وليس بدافع ذاتي: جامع التواريخ: م2/ 1/ 300.

(5) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 276-277. ابن واصل: تاريخ الواصلين: م2/ 1220 (مخطوطة)؛ Glubb,J. The Lost Centuries: 256-257, London , 1967

هولاكو عليه عندما قال له (هذا شريف علوي ونفسه تحدثه بالخلافة، ولـو قـام بهـا تبعـه الناس ومالوا اليه واستفحل أمره). فأقتنع هولاكو بهذا الرأي، وامر بقتله[1].

وعلى كل حال لم تمض فترة طويلة على عودة بدر الدين لؤلـؤ مـن عنـد هولاكـو، ليرسل هذا الأخير من يقول له (ان سنك قد جاوزت التسعين ولذلك أعفيناك مـن الـسير معنا. ولكن عليك ان تبعث بابنك الملك الصالح مع الرايـات الغازيـة لفـتح ديـار الـشام ومصر)[2].

لم يتردد بدر الدين لؤلؤ عن الاستجابة لهذا الطلب، فأنفذ جيشاً بقيادة ابنـه الملـك الصالح ركن الدين إسماعيل الذي سـاهم مـع جنـد المغـول في حـصار ميافـارقين وآمـد وماردين وديار الشام سنة 657هـ/ 1258م[3].

لم تقتصر مساعدات بدر الدين لؤلؤ لهولاكو على هذه الأمور، بل يمكن القول بأنـه كان احد الأطراف التي ساهمت في التعجيل بسقوط الشام بيد المغـول، فقـد كاتـب بـدر الدين لؤلؤ هولاكو يخبره فيها (ان الشهرزورية[4] والأمـراء الـصالحية[5] وصـاحب الكـرك

---

(1) الذهبي: تاريخ الإسلام: 493 (مخطوطة)؛ الكتبي: عيون التواريخ: 20/ 204.

(2) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 305. إقبال: تاريخ مفصل إيران: 192.

(3) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 280. رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 306. إقبال: تـاريخ مفصل إيران: 192 ويذكر ابن شداد باشـتراك جميـع أولاد بـدر الـدين في هـذا الجـيش. الأعـلاق الخطيرة:3/ ق2/ 490. على حين يورد ابن خلدون هذه الحادثة بـشكل آخـر، فيـذكر انـه في أثنـاء حصار المغول ميافارقين سنة 657هـ بعث بدر الدين لؤلؤ ابنه الصالح ركن الدين بالطاعة والهدية لهولاكو فتقبله وبعثه الى الخان الأعظم منكوخان بقراقورم ، وأبطأ على لؤلـؤ خـبره، فبعـث بـدر الدين ولديه الأخرين شمس الدين إسحاق وعلاء الـدين بهديـة أخـرى ورجعهـا اليـه بخـبر ابنـه وقرب إيابه، ثم توجه لؤلؤ الى هولاكو ولقيه بأذربيجـان وحـضر حـصار ميافارقين. تـاريخ ابـن خلدون: 5/ 543.

(4) الشهرزورية: نسبة الى شهرزور، وينتمي اليها هؤلاء الأكراد الذين تركوها هـاربين مـن المغـول الى الشام ومصر. ابن الصابوني: تكملة إكمال الاكمال: حاشية 105؛ العريني: المماليك: 72.

قد اتفقوا على الملك الناصر، واخرجوا عساكره من البلاد والجاؤهم الى دمشق وقد عزم على الهرب منها)[2].

وبذلك كشف بدر الدين لؤلؤ عن إمكانيات الملك الناصر يوسف صاحب الشام الضعيفة وحراجة موقفه العسكري أمام انتفاضة الأكراد الشهرزورية والأمراء الصالحية، لاسيما وان المغول قد تأكدوا من صدق معلومات بدر الدين، بعد ان وضعوا أيديهم على رسالة بعث بها الملك الناصر يوسف الى عز الدين محمد ابن شداد مندوبه عند المغول يحثه فيها على التعجيل في عقد الصلح مع المغول[3].

وقد كافأ هولاكو بدر الدين لؤلؤ على موقفه هذا بأن فضله على غيره من الملوك[4] كما كافأ ابنه الملك الصالح ركن الدين بان منحه (تركان خاتون) ابنة جلال الدين منكبرتي ليتزوجها[5].

ب- موقف الأيوبيين والأراتقة من الغزو المغولي للجزيرة الفراتية

اجتاحت جيوش المغول بلاد خوارزم، في الوقت الذي كان ملوك الجزيرة منشغلين في نزاعاتهم الداخلية وتناحرهم السياسي لأجل تحقيق مكاسب إقليمية.

وقد مكنت هذه المنازعات من فتح الطريق أمام الخوارزمية بزعامة جلال الدين منكبرتي من دخول الجزيرة قوة جديدة، بعد ان تقهقروا أمام المغول في بلاد إيران، وبدلاً

---

(1) الأمراء الصالحية: تسمو بالصالحية نسبة الى صلاح الدين الأيوبي وقد تولى هؤلاء حكم البلاد بعد عزل الملك الاشرف مظفر الدين موسى آخر الملوك الأيوبيين. انظر: المقريزي: السلوك: 1/ ق1/ 114 العصامي المكي، عبد الملك بن حسين: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: 4/ 16–17 (المطبعة السلفية، القاهرة، 1380هـ).

(2) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 497.

(3) محمد سعيد رضا: بن شداد في كتابه، الأعلاق في الخطيرة: 133.

(4) الرويشدي: إمارة الموصل: 258.

(5) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 120. إقبال: تاريخ مفصل إيران: 192.

Raschid Eldin: Histoires Mongols: 328. (النص الفارسي)

من استغلال قوتهم من اجل تشكيل جبهة إسلامية موحدة لمواجهة تهديد المغول، عمد ملوك الجزيرة الى إقحام الخوارزمية في صراعاتهم السياسية والعسكرية التي أسهمت في إضعاف قوة المسلمين وتفتيتها.

دخل الخوارزميون والأيوبيون والاراتقة في سلسلة من التحالفات والحروب الداخلية انتهت بتحالف الملك الاشرف موسى مع ملوك الاراتقة وعلاء الدين كيقباذ صاحب الروم ضد جلال الدين منكبرتي سلطان الخوارزمية، ونتج عن هذا التحالف إيقاع الهزيمة بجلال الدين منكبرتي سنة 627هـ/ 1229م[1].

وعلى الرغم من هزيمة جلال الدين منكبرتي مال الملك الاشرف موسى لمصالحته لأنه أدرك بأن الخوارزمية هم القوة الإسلامية الوحيدة القادرة على الدفاع عن حياض الإسلام وأملاك المسلمين، ولأجل ذلك بعث الاشرف موسى الى جلال الدين منكبرتي من يقول له (ان سلطانك سلطان الإسلام والمسلمين وسندهم، والحاجب دونهم ودون التتار وسدهم. وغير خاف علينا ما تم على حوزة الإسلام وبيضة الدين بموت والده، ونحن نعلم ان ضعفه ضعف الإسلام، وضرره عائد الى كافة الأنام. وانت قد حلبت الدهر اشطره، وعرفت نعمه من ضرره، وذقت حلوه ومره، فهلا ترغب في جمع الكلمة ما هو أهدى سبيلا وأقوم قليلا ؟ ...)[2].

بيد ان الملك الاشرف لم يكن جدياً في دعوته هذه، على الرغم من معرفته بخطورة الموقف من خلال اطلاعه على الرسالة التي وجهها جلال الدين له ولسائر ملوك الجزيرة يدعوهم فيها لنجدته، والتحالف معه لصد الزحف المغولي، وينبههم الى عاقبة تركه وحيداً في ساحة المعركة، فكان يقول لهم: (ان التتار كثرة هائلة، وهم في هذه الفترة أكثر من كل مرة. وجنود هذه النواحي مستوحشون منهم. واذا لم تمدوني بالعدد والعدة فاني أنا الذي بمثابة السد لكم – سوف اهزم ويخلو مكاني من بينكم. ولن تستطيعوا

---

(1) النسوي: سيرة السلطان: 329-332. سبط بن الجوزي: مرآة الزمان: م8/ 2/ 660-662.

(2) النسوي : سيرة السلطان: 333-334.

مقارمتهم. فليبادر كل منكم بأمدادي بفوج من الجنود ومعهم علمهم؛ وذلك من اجل الدفاع عن نفسه وأولاد المسلمين حتى اذا بلغهم نبأ اتفاقنا واتحادنا، ارتدعوا وانزجروا. وعندئذ تقوى عزائم جنودنا، اما اذا تهاونتم في هذا الأمر فسترون بأنفسكم ما تئول اليه الأمور)[1].

وبدلاً من مساعدته كان رد الملك الاشرف موسى على لسان مختص الدين رسول جلال الدين له، بأن يقطع جلال الدين رجاءه من أية مساعدة منه، وانه لا يرجع من عند أخيه الكامل في مصر (... إلا بعد انفصال أمر السلطان مع التتار على إحدى الحاليين: اما دولة ترجى وتهاب، أو وصوله تقطع فيها الأسباب ...)[2] وقد اتخذ الموقف ذاته المظفر شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين عندما اعتذر لرسول جلال الدين منكبرتي بعدم قدرته على تقديم اية مساعدة له متظاهراً بقلة عسكره، وتعهده بالولاء لصاحب الروم وجلال الدين منكبرتي وبين الاثنين عداء مستحكم وعدم ائتمانه لأحدهم عند ميله للآخر، كما انه كناشب عن إخوته في ميافارقين، فانه لا يستطيع اتخاذ أي قرار في هذا الأمر بمعزل عنهم. وفيما يخص طلب جلال الدين من صاحب ميافارقين في ان يبذل مساعيه لإقناع صاحب آمد وماردين لمساعدته، فانه اعتذر معللاً ذلك بقوله: (000 واما صاحب آمد وماردين فلا يسمعان مني ولا يمتثلان أمري. وليس يخفى علينا انهما كانوا يكاتبان السلطان فيختبر السلطان عقائدهما في الاستحضار ويسبر ضمائرهما في الإنجاد على التتار ليعلم ان زعمهم نفاق ليس له مصداق، وباطل ليس له حاصل)[3]. ويرجع سبب اتخاذ هؤلاء الملوك هذا الموقف من جلال الدين الى كونهم كانوا يخافون بعضهم أكثر من خوفهم من المغول لهذا كانوا يخافون ان يرسلوا جنودهم الى أي مكان حتى لا يطمع فيهم جارهم.

---

(1) الجويني: تاريخ جهانكشاي: 2/ 138، رشيد الدين جامع التواريخ: 44.

(2) النسوي: سيرة السلطان: 372.

(3) النسوي: سيرة السلطان: 373.

لم يكتفي ملوك الأيوبيين والاراتقة بهذا الموقف، بل زجوا جلال الدين منكبرتي مرة أخرى في صراعاتهم السياسية لينهكوا قوته المتبقية ويتركوه فريسة سهلة للمغول، فحدث إن اتفق جلال الدين منكبرتي مع أمرائه على ترك مدينة حاني[1] والانسحاب بسرعة الى أصفهان في بلاد إيران للاحتماء بها، فاجئه في أثناء ذلك رسول من الملك المسعود ركن الدولة مودود صاحب حصني أمد وكيفا يعرض فيها الخدمة وانطاعة له، ويرغبه في قصد بلاد الروم للاستيلاء عليها وانه سيكون على رأس أربعة آلاف فارس لمساعدة جلال الدين اذا ما عزم على ذلك. وكان صاحب الروم قد أوغر تلك السنة صدر صاحب أمد عندما انتزع منه عدة قلاع تابعة له، فمال جلال الدين منكبرتي لهذا العرض لأن مثله في هذه الظروف (... مثل الغريق يتعلق بما تصل اليه يده، وقد قصر عنه السباحة وكده...) [2] وبدلاً من التوجه نحو أصفهان نزل جلال الدين بالقرب من أمد وعسكر فيها[3]. وانصرف تلك الليلة الى اللهو والشرب دون ان يأخذ حذره من المغول الذين أدركوه عند الفجر، فتفرق عسكره مذعوراً وتوجه جلال الدين منكبرتي الى أمد ناجياً نفسه ليطلب من سكانها السماح له في الدخول غير انهم رموه بالحجارة بدلاً من ذلك[4] وتركوه وحيداً أمام عدو شرس ليلاقي حتفه في إحدى جبال كردستان القريبة من ميافارقين على يد احد الأكراد سنة 628هـ/ 1230م[5].

---

(1) حاني: مدينة معروفة تقع في اقليم ديار بكر. ياقوت: معجم البلدان: م2/ 208.

(2) النسوي: سيرة السلطان: 377- 378.

(3) النسوي: سيرة السلطان: 377. ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي: 2/ 225.

(4) النسوي: سيرة السلطان: 378. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، اثار البلاد وأخبار العباد: 492، منشورات دار صادر، بيروت، 1960م، وذكر الذهبي بان مقدم الملك الأيوبي في حران أوقع اهزيمة بجند جلال الدين الذين جاؤوا اليها ناجين بنفسهم من المغول. تاريخ الإسلام: 346 "مخطوطة".

(5) المستوفي القزويني، حمد الله بن ابي بكر: تاريخ كزيدة: 500، طبعة سنة 1910م. الرازي: تاريخ مفصل ايران: م2/ 305.

وبزوال الدولة الخوارزمية أمست الجزيرة مطوقة بخطر المغول من الشرق والصليبيين من الغرب، في الوقت الذي بدأ عجز الأيوبيين والاراتقة واضحاً في عدم قدرتهم الدخول في معركة فاصلة مع المغول لطردهم من البلاد، على الرغم من توفر الإمكانيات العسكرية لذلك[1].

وقد مكن هذا الوضع المغول من التطاول عليهم فبعث أوكتاي خان سنة 638هـ/ 1240م رسائل الى ملوك الجزيرة، ومنهم المظفر شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين يطلب منه الدخول في طاعته مع ملوك المسلمين ويأمره بهدم أسوار بلدتهم، فاعتذر صاحب ميافارقين لرسول المغول بقوله (انا من جملة الملوك وبلادي حقيرة بالنسبة الى الروم والشام ومصر، فتوجه اليهم وما فعلوه فعلته) [2].

وبهذا الرد المتخاذل عرف المغول بضعف إمكانيات الجزيرة الدفاعية، فشنوا سنة 642هـ/ 1244م هجوماً كبيراً على الجزيرة، وكان هذه المرة لغرض الاستيلاء على بعض المناطق منها، بدلاً من الإغارة والانسحاب كما كان يحدث سابقاً، فنازلوا ميافارقين وماردين وآمد[3] وعاثوا في البلاد اشد العيث، وتمكنوا من الاستيلاء على حران والرها ودخلت ماردين في طاعتهم صلحاً[4]، وقد هرب المظفر شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين منهم، وترك نائبه فيها الذي تمكن من مصالحة المغول بمبلغ من المال[5].

وهكذا بدأ ملوك الجزيرة يميلون الى سياسة استرضاء ومهادنة المغول وتقديم الأموال لهم من اجل الحفاظ على إماراتهم، ومع ذلك لم تفد مثل هذه السياسة مع المغول

---

(1) لغرض التعرف على كثرة عساكر الأيوبيين انظر: المقريزي: السلوك: 1/ 348 في الحديث عن تباهي الكامل بكثرة عساكره.

(2) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان: م8/ 2/ 733. المقريزي: السلوك: 1/ ق2/ 307- 308. ابن ابي عذيبة: مختصر التاريخ الكبير: 280 "مخطوطة".

(3) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 473.

(4) رشيد الدين: جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيزخان: 193. الغساني: العسجد المسبوك: 527.

(5) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 473. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 194.

الذين كانوا يطمحون في الحصول على تنازلات جديدة، وتقديم مزيد من الأموال وفروض الطاعة لهم، فحدث ان وصلت في سنة 649هـ/ 1251م رسل من بايجونوين الى ملوك الجزيرة يطالبون فيها الملك الناصر صاحب الشام بدفع مائتي ألف دينار عن بلاده، وعلى كل من صاحب ماردين وصاحب ميافارقين وصاحب الجزيرة بمبلغ مائة ألف دينار لكل واحد منهم، وعلى صاحب حصن كيفا بخمسين ألف دينار، فاحتج ملوك الجزيرة لهؤلاء الرسل بان قالوا لهم (... بان السلطان الملك الناصر هو كبيرنا، ونحن نخطب له، وما يمكننا ان نزن شيئاً أن لم يزن هو...). وأيد عز الدين بن شداد – مندوب الناصر لمفاوضة هؤلاء الرسل – باسم الملك الناصر هذا الكلام قائلاً: (نحن ما نزن لكم شيئاً ولا نقبل حوالة حسب ما تقتضيه البوايز التي بأيدينا) والتي حصل عليها الناصر من كيوك خان سنة 643هـ/ 1245م[1].

أدى رفض مطاليب بايجونوين الى اجتياح جند المغول إقليم الجزيرة سنة 650هـ/ 1253م، فنهبوا ديار بكر وميافارقين ورأس العين وسروج، وقتلوا أكثر من عشرين ألف شخص[2] كما عمدوا الى قطع سبل الاتصال التجاري بين تلك الأرجاء عن طريق مهاجمة القوافل التجارية[3] فقد حدث ان صادفوا قافلة تجارية خرجت من حران تقصد بغداد فاخذوا من أصحابها اموالاً عظيمة منها ستمائة حمل سكر مصنوع في

---

(1) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 237–238؛ 241–242. ويبدو ان الناصر حصل على هذه البايزة عندما أرسل الناصر من ينوب عنه لتقديم الهدايا وفروض الطاعة والتهنئة لمناسبة انتخاب كيوك للخانية في القوريلتاي الذي انعقد سنة 643هـ. الجويني: تاريخ جهانكشاي: 1/ 205.

(2) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان: م8/ 2/ 787. ابن ايبك، ابو بكر بن عبد الله الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر: 8/ 22، القاهرة 1971م، تحقيق اولرخ هارمان. وذكر ابن تغري بردي عدد القتلى باكثر من عشرة آلاف شخص. النجوم الزاهرة: 7/ 25.

(3) العدوي: العرب والتتار: 79، دار القاسم، القاهرة: 1963م.

مصر وأربع مائة حمل قماش وستمائة ألف دينار[1]، ويبدو ان هذه الأرقام لا تتفق مع المنطق ومع كبر القوافل في تلك الفترة.

ونتيجة هذه الهجمات المتكررة اتضح لملوك الجزيرة بأنهم أصبحوا في وضع لا يستطيعون فيه مواجهة المغول، عند ذلك وافقوا على تلبية أوامر استدعاء منكوخان لهم[2]. ففي نهاية سنة 650هـ/ 1252م اجتمع كل من الكامل بن المظفر شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين والملك المظفر بن السعيد - مندوب عن والده الملك السعيد صاحب ماردين - مع منكوخان [3] الذي بدأ يسخر منهم لمعرفته بأن لا هم لهؤلاء سوى البقاء في مناصبهم، والطمع في ممتلكات مجاوريهم[4]، حتى لو تطلب الأمر الاستعانة بأعدائهم للقضاء على أبناء قومهم ممن ينافسونهم على الملك[5].

---

(1) المقريزي: السلوك: 1/ ق2/ 383-384. ابن ابي عذيبة: مختصر التاريخ الكبير: 290 (مخطوطة).

(2) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 477.

(3) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 479.

(4) ذكر ابن شداد بأن كل واحد من هذين الملكين ادعى أمام منكوخان (بأنه أحق بالملك من صاحبه، واكبر بيتاً منه. فقال له منكوخان: ليصف كل منكما ملكه فوصف كل واحد منهما بلاده وممالكه، وما في يده فأخذ منكوخان بيد الملك الكامل فأجلسه فوق الملك المظفر وقال: أنت اكبر مملكة. ثم أمرهما بالمصارعة، فاصطرعا بين يديه، فصرع المظفر الملك الكامل. ثم جهزهما للعودة. وقال لهما عند وداعه: ما بقيتم بعد هذه تجتمعون بي الأمن طلبته وأمركم عائد الى هولاكو). الأعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 480.

(5) لم يتردد الملك الناصر الذي يعتبر كبير البيت الأيوبي من إنفاذ ابنه الملك العزيز الى هولاكو ليطلب المساعدة منه للقضاء على دولة المماليك على الرغم من علمه بأن المغول لا هم لهم سوى القضاء على دول المسلمين. سرور، محمد جمال الدين: دولة الظاهر بيبرس في مصر: 35، دار الفكر العربي: 1960م. سعداوي، نظير حسان: الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي: 131، منشورات مكتبة النهضة المصرية، 1961م.

وعليه لم يرتضي منكوخان بقبول تبعية هؤلاء فقط، بل شرع في تطبيق خطته لاحتلال المنطقة[1] بما فيها بلاد هؤلاء في الجزيرة الفراتية، بعد ان كلف أخاه بتنفيذ ذلك سنة 649هـ/ 1251م[2].

وقد مثل احتلالهم للمنطقة جزءاً من سياسة عامة سلكها المغول تجاه العالم الإسلامي، ألا وهي السيطرة عليه وإنهاء أنظمته السياسية، في حين لم تستطع تلك السياسة ان تعطل الفعل والإرادة الجماهيرية لدى الشعب العربي، كما انها لم توقف عجلة البناء الحضاري للأمة العربية، حيث استمرت عملية البناء في كل من مصر والشام، إذ استطاعت ان تدرأ خطرهم وتكبح جماحهم بفضل عمل الناس وقيادتها حينذاك.

(1) أورد رشيد الدين هذه الخطة التي تخص البلاد الممتدة من نهر جيحون حتى اقاصي بلاد مصر وذلك بشكل تفصيلي. انظر: جامع التواريخ: م2/ 1/ 236-237.

(2) براون: تاريخ الأدب في إيران: 2/ 565-566، 575.

الفصل الثاني

الاحتلال والمقاومة

الفصل الثاني

أولاً: اتفاقية التحالف بين المغول ومملكة أرمينية المسيحية.

تعرضت بلاد الشام منذ نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي لموجات متعددة من الحملات الصليبية التي شنت عليها، والتي تمكنت من اقتطاع بعض أملاك المسلمين في هذه المنطقة، فأنشأت عدة إمارات صليبية فيها، منها إمارة الرها التي لعبت دوراً فعالاً ومؤثراً بالنسبة للصراع الصليبي الإسلامي، اذ كان لموقعها الجغرافي في الجزيرة اثر مهم في منع وصول الإمدادات من الموصل الى حلب وبالعكس.

تنبه المسلمون في البداية مخاطر الحركة الصليبية وأهدافها فوحدوا قواتهم، بفضل قيام الدولة الزنكية ثم الدولة الأيوبية، وقد استطاعت هاتان الدولتان ان تلحقا بالصليبيين هزائم ساحقة، فانتزعتا منهم معظم المناطق التي كانوا قد سيطروا عليها فلم يبق لهم إلا مواقع قليلة وصغيرة على ساحل بلاد الشام، وقد تم طردهم منها نهائياً سنة 690هـ/ 1261م. وكان ذلك في عهد السلطان المملوكي الاشرف خليل بن قلاوون[1].

وقد ترافق مع الخطر الصليبي خطر المغول الذين غزوا بلاد المسلمين وتمكنوا من تقويض العديد من دول المشرق الإسلامي، ووصلت غزواتهم الى بلاد الجزيرة والشام، ولم تفلت دول اوربا منهم، اذ تمكنت جيوشهم في عهد اوكتاي خان من الاستيلاء على مناطق شاسعة من أوربا، فوصلوا في سنة 639هـ/ 1241م الى بولندا وهنكاريا وبلغاريا وانزلوا الخراب والدمار في هذه المناطق[2].

وعلى الرغم من كل ذلك كان مسيحيو المشرق الإسلامي والغرب الأوربي على استعداد لن يتغاضوا ويصموا آذانهم عن المذابح التي ارتكبها المغول بحقهم، وان

---

(1) ابو الفداء: المختصر: 4/ 24-26. المقريزي: السلوك: 1/ ق3/ 1002-1004 ملحق رقم 10.

(2) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 738. براون: تاريخ الأدب في إيران: 2/ 3/ 5؛

Obern , G.H: nocle Mepko Itofo: 7 " Mockha. 1968 ".

بمجلدوهم كمحطمين لقوة العرب المسلمين[1] خاصة بعد ان شهدت أوربا الغربية فترة استقرار بعد انسحاب جيوش المغول المفاجئ منها في نهاية سنة 639هـ/ 1241م[2]، وكان هدف الصليبيين من ذلك هو كسب هذه الفئة الى جانبهم عن طريق توجيه الدعوات للخانات لإقناعهم باعتناق

المسيحية[3] من اجل ضم قوة المغول الى قوتهم لتتاح لهم الفرصة لشن حملة صليبية جديدة يشترك المغول فيها لتطويق العالم الإسلامي وتحطيمه ومن ثم اقتسام الأماكن المنتخبة منه[4]، مثلما حاولت من قبل الإمبراطورية البيزنطية ان تعقد حلف بينها وبين إمبراطورية الصين لغرض تقويض الدولة العربية الإسلامية التي كانت في بداية نشأتها[5].

وبناءاً على ذلك أرسل البابا اينوسنت الرابع بعثتين الى منغوليا: إحداهما برئاسة الراهب جيوفاني بلانوكاربيني الذي حمل رسالة من البابا تحمل عنوان "الى إمبراطور وشعب التتار" مؤرخة في سنة 643هـ الموافق 13 آذار 1245م ومكتوبة بأسلوب ملئ بالصداقة، وبدعوة لاعتناق المسيحية. وقد صادف وصول كاربيني الى قراقورم سنة 644هـ/ 1246م انعقاد مجلس القوريلتاي لانتخاب كيوك للخانية، وحظي كاربيني بحسن الرعاية والاستقبال لدى كيوك، غير انه فشل في استحصال موافقة كيوك لتحقيق أهدافه،

---

(1) براون: تاريخ الأدب في إيران: 2/ 573.

(2) يرجع سبب الانسحاب الى استدعاء باتو قائد الحملة للاشتراك في انتخاب خان جديد يخلف اوكتاي الذي توفي في سنة 639هـ. رانسيمان: تاريخ الحروب الصليبية 3/ 434-436.

(3) استند المسيحيون في توجيه مثل هذه الدعوات لخانات المغول عندما وصلتهم الأخبار بأن بعض قباتئهم كقبيلة الكرايت كانت تدين المسيحية، وان جنكيزخان كان يتقرب لهم. انظر: ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 226، 230. ارنولد، توماس. و: الدعوة الى الإسلام: 253، ترجمة حسن إبراهيم وآخرين، مكتبة النهضة المصرية، 1970م.

(4) الرمزي: تلفيق الأخبار: م1/ 393. ارنولد: الدعوة الى الإسلام: 254. عاشور: الحركة الصليبية: 2/ 1099.

(5) سعداوي: الحرب والسلام: 116.

بسبب اشتراط كيوك اعتراف البابا وملوك أوربا بسيادته العليا والتبعية له، وحذر كيوك كاربيني من ان البابا يتحمل جميع النتائج المترتبة في حالة عدم استجابة البابا لمطاليب كيوك خان، كما لقيت البعثة الثانية نفس المصير، على الرغم من إعراب المغول عن استعدادهم لمناقشة احتمال قيام تحالف لمناهضة الأيوبيين والخلافة العباسية في حال الموافقة على شروطهم[1].

لقد أثارت هاتان البعثتان من قبل البابا اينوسنت الرابع قلق المسلمين في بلاد الشام ومصر، الأمر الذي أدى بملوك الأيوبيين الى إرسال عدة رسائل الى البابا اينوسنت الرابع ما بين الفترة 643- 645هـ/ 1245-1247م، ومنها رسالة أمير حمص المؤرخة في سنة 643هـ/ 1245م يطلب فيها باسمه ونيابة عن سلطان الأيوبيين الملك الصالح أيوب عدم وضع ثقته في المغول ويذكره بأن هؤلاء هم اشد المعادين للمسيح، وأكثر الناس همجية وتخريباً[2].

أعقبت سفارات البابا بعثة أوفدها لويس التاسع ملك فرنسا، وكانت برئاسة وليم روبروك[3] الذي قضى عدة أيام في بلاط الخان، وأحسن منكوخان استقباله، ويبدو ان رد منكوخان على رسالة لويس التاسع لم ترتفع الى مستوى الاتفاق، بسبب مطالبة منكو بذات الشروط التي كان كيوك قد طالب بها وفد البابا[4].

---

(1) Obern , nocle mapko Itolo 12-14.

وانظر رانسيمان: تاريخ الحروب الصليبية: 3/ 446-447. باركر: ارنست: الحروب الصليبية: 26، ترجمة الباز العريني، ط2، دار النهضة العربية، بيروت. العريني: المغول: 190.

(2) Obern , nocle mapko Itolo

(3) سبقت بعثة روبروك سفارة ارسلها لويس التاسع الى المغول سنة 1241م ولم تحقق هذه السفارة أية نتيجة بسبب موت كيوك خان قبل وصول السفارة. عاشور: الحروب الصليبية: 2/ 1100.

(4) يوسف، جوزيف نسيم: لويس التاسع في الشرق الأوسط: 254-227، ط2، مؤسسة المطبوعات الحديثة، 1959 م. عاشور: الحركة الصليبية: 2/ 1100-1101.

وعلى أية حال اذا كان ملوك أوربا قد فشلوا في تحقيق أهدافهم، فان ملوك غرب آسيا المسيحية قد نجحوا في ذلك، بعد ان رضخوا لمطاليب خانات المغول، فقد ارتأى هيثوم[1] ملك مملكة أرمينية الصغرى[2] إرسال أخيه كوني تابل سمباد[3] الى قراقورم سنة 644هـ/ 1246م للمشاركة في احتفال تنصيب كيوك للخانة، وقد نجح سمباد في أثناء وجوده في قراقورم في عقد معاهدة مع كيوك تضمن لأخيه حق الاستيلاء على كثير من القلاع والمناطق المجاورة لمملكته[4] في بلاد سلاجقة الروم والشام.

وعلى اثر ذلك وجد هيثوم بان الوقت أصبح ملائماً للاستفادة من قوة المغول للسيطرة على الجزيرة والشام واسترجاع بيت المقدس، وقد أيده في ذلك بوهمند السادس أمير إنطاكية الصليبي الذي كان حليفاً لهيثوم[5] ولتحقيق هذا الهدف توجه هيثوم بنفسه الى قراقورم، فقابل منكوخان في سنة 652هـ وتحديداً في 13 أيلول 1254م[6] فاستقبله الخان بكل حفاوة وتكريم[7].

وذكر المؤرخ الأرميني قارتوا كرات بأن هيثوم طرح خلال لقائه بمنكوخان سبعة مطاليب منها دعوة منكو لاعتناق المسيحية ومساعدة المسيحيين في استعادة الأراضي المقدسة وطرد الخليفة العباسي من بغداد وتمكين الأرمن من بسط هيمنتهم على كل

---

(1) هيثوم: يورده ابن العبري أحياناً تحت تسمية التكفور حاتم. انظر: تاريخ مختصر الدول: 256.

(2) مملكة أرمينيا الصغرى وتسمى بقليقية: تقع جنوب الأناضول في المنطقة الممتدة من الرها شرقاً الى أدنه غرباً. العبادي: قيام دولة المماليك الأولى، حاشية 230.

(3) سمباد: ويسمى كذلك بالكند سطبل. ابن العبري. تاريخ مختصر الدول: 256.

(4) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 256.

Cbem: nocle mako 9 Tolo: 16-17. Clubin: The lost Centuries: 248.

(5) الصياد: المغول في التاريخ: 291.

(6) Cbem: nocle mapko 9 Tolo; 25.

(7) سبب هذه الحفاوة ترجع لكون هيثوم هو أول ملك يقدم الى قراقورم من تلقاء نفسه على انه تابع للمغول، في حين ان سائر الوفود كانوا يأتون الى الخان اما لكونهم أتباعاً له على الرغم من إرادتهم، أو ممثلين عن ملوك مستقلين. العريني: المغول: 199.

الأراضي التي اقتطعت من مملكته، وقد وعد منكوخان بتحقيق هذه المطاليب عندما قال هيثوم (لولا انشغالنا في أراضي منغوليا لكنت قد توجهت بنفسي الى الأراضي المقدسة منطلقاً من احترامنا الشديد للسيد المسيح. لذلك ستوكل هذا الأمر لأخينا هولاكو ليقوم بتحقيق هذه المهمة. وسوف يحرر القدس ويعيدها للمسيحيين، ونتمنى أن يقضي هولاكو على الخليفة باعتباره العدو الأول لنا) [1].

وبعد عدة لقاءات خرج هيثوم من هذه الزيارة باتفاق يتضمن [2]:

أولاً: تبعية هيثوم للخان الكبير، مقابل ضمان سلامة مملكته وعدم انتهاك حرمتها.

ثانياً: تعهد هيثوم بالمشاركة بكافة قواته مع جيش هولاكو لاحتلال ديار بكر، وإسقاط إمارة ميافارقين الأيوبية لقاء تعهد الخان بمنحه بعض المقاطعات ومساعدته في استعادة بيت المقدس في حال تحقيق الانتصار على المسلمين.

ثالثاً: إعفاء كل الكنائس والأديرة المسيحية الخاضعة لحكم المغول من الضرائب.

رابعاً: منح هيثوم صفة كبير مستشاري الخان فيما يتعلق بشؤون المسيحيين في غرب آسيا.

---

(1) Chem: nocle mapko 9 Tolo: 20.

ويفهم من كلام منكوخان بأن هيثوم كان المحرض الرئيسي الذي اقنع منكو بإرسال حملته العسكرية التي احتلت بغداد سنة 656هـ ويؤيد كل من ارنولد: الدعوة الى الإسلام: 292. الصياد: المغول في التاريخ: 215 هذه الفكرة، ولكن واقع الأحداث ينفي ذلك لأن خطة الإعداد لهذه الحملة كانت مقررة منذ سنة 649هـ، وقبل زيارة هيثوم بحوالي ثلاث سنوات.

(2) رانسيمان: تاريخ الحروب الصليبية: 3/ 512. العريني: المغول 199. الصياد: المغول في التاريخ: 215، 291-293. نتج: العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام: 270 اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب: 197 Chem: nocle mapko 9 Tolo: 26.

وقد باركت كل من فرنسا وروما هذا الاتفاق واعتبرته خطوة كبيرة لتحقيق أهدافها في المنطقة العربية بعد ان لاقت القوى الأوربية هزائم كبيرة على أيدي المسلمين في بلاد الشام[1].

وهكذا بدأ هذا الاتفاق على انه تحالف مغولي صليبي، ذلك لأن هيثوم كان قد أقام تحالفات كثيرة مع أمراء الصليبيين الذين كانوا قد أعطوه حق التحدث نيابة عنهم في علاقاته مع المغول ومنهم بوهمند السادس امير انطاكية[2] الذي دخل هو الآخر في الحلف[3].

ثانياً: وقائع الاحتلال المغولي والمقاومة

أ- الاحتلال المغولي لأربل ومقاومة أهلها:

أصبحت اربل في أواخر العصر العباسي موضع نزاع كبير بين الخليفة العباسي وحكام الإمارات المجاورة لها لغرض الاستحواذ عليها بعد وفاة صاحبها مظفر الدين كوكبري سنة 630هـ/ 1232م وقد تمكن جيش الخليفة من الاستيلاء عليها، وتم تنصيب نائب للخليفة فيها[4] وكان مظفر الدين كوكبري قد قرر أثناء زيارته لبغداد سنة 628هـ/ 1230م ضم اربل الى مملكة الخليفة العباسي بعد وفاته[5].

وخلال الحكم العباسي الأخير تعرضت اربل الى سلسلة من الهجمات المغولية، ولعب حاكمها تاج الدين بن صلايا المعين فيها من قبل الخليفة العباسي دوراً في تنبيه الخليفة العباسي الى مخاطر هذه الهجمات، فكان ينقل له الأخبار عن استعدادات المغول

---

(1) Cbem: nocle mapko 9 Tolo: 18.

(2) الصياد: مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمداني: 47، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م. وينظر: العريني: المغول: حاشية 198.

(3) الصياد: المغول في التاريخ: 29.

(4) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 44-48. الرويشدي: إمارة الموصل 74-75.

(5) طليمات: مظفر الدين كوكبري: 238-239. حسين: اربل في العهد الاتابكي: 160.

الحربية لاحتلال العراق، غير ان ذلك لم يجد نفعاً اذ تمادى الخليفة العباسي المستعصم في غفلته[1] في الوقت الذي كانت الأوامر قد صدرت الى هولاكو لاحتلال بغداد.

وفي أثناء تقدم الجيش المغولي لحصار بغداد سنة 656هـ/ 1258م عهد هولاكو لقائده ارقيتو نويان باحتلال اربل[2] وكان حاكمها تاج الدين بن صلايا قد فضل الاستسلام للمغول وتقديم فروض الطاعة والولاء لهم بأمل إبقائه في الحكم بدلاً من مقاومتهم، وذهب الى أكثر من ذلك عندما حاول إقناع أهل اربل بتسليم القلعة التي كانوا قد اعتصموا بها للقوات المغولية[3] غير ان الأهالي الذين كانوا مسلحين بالإيمان والشجاعة فضلوا الموت بعزة على الاستسلام والخضوع، وقد دفع هذا الموقف البطولي لهؤلاء رشيد الدين مؤرخ المغول على وصفهم بالشجعان[4].

لم يتمكن ارقيتوا نويان من الاستيلاء على القلعة وذلك بسبب صمود الأهالي وشنهم غارات ليلية أربكت العدو أنزلت به أفدح الخسائر، مما دفع بالقائد المغولي الى طلب المساعدة من بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل الذي أمده بطائفة من جنده، ومع ذلك فشل ارقيتوا في تحقيق هدفه[5] مما استوجب عليه استدعاء بدر الدين لؤلؤ للاستفادة منه في الاستيلاء على القلعة، فاقترح بدر الدين على ارقيتوبان (.. يدع هذا العمل حتى الصيف، لأن الأكراد يفرون من الحر، ويلجأون الى الجبال، اما الآن فالجو معتدل، وعندهم ذخائر وافرة والقلعة غاية في الأحكام فلا يتيسر فتحها إلا بحيلة وتدبير...)[6].

---

(1) الكتبي: عيون التواريخ: 20/ 132، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: 7/ 48-49.

(2) ستراك: دائرة المعارف الإسلامية مادة اربل: م1/ 571، إقبال: تاريخ مفصل إيران: 191.

(3) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 134. رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 218.

(4) جامع التواريخ: م2/ 1/ 298.

(5) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 298.

(6) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 218-299.

استجاب ارقيتو لهذا الاقتراح وفوض أمر احتلالها الى بدر الدين لؤلؤ الذي تمكن من تهديم أسوارها والاستيلاء عليها[1] بعد مرور سنة على الحصار[2]، وقد كافأ هولاكو بدر الدين لؤلؤ على جهوده هذه بأن سلمها الى بدر الدين لقاء (70) ألف دينار[3].

اما عن مصير تاج الدين بن صلايا، فقد أرسل الى هولاكو، وصادف وصوله وجود بدر الدين لؤلؤ، وكان بدر الدين يخاف من ابن صلايا من ان يخبر هولاكو على ما كان يقوم به من مراسلات مع الخليفة تتعلق باستعدادات المغول لاحتلال بغداد[4]، فأخذ بدر الدين يحرض هولاكو على قتله، وكان يقول له (هذا شريف علوي ونفسه تحدثه بالخلافة، ولو قام بها تبعه الناس ومالوا اليه واستفحل أمره)[5]، فأمر هولاكو بقتله[6].

وقد أورد رشيد الدين هذه الحادثة بشكل مختلف، فأشار الى ان تاج الدين قد قدم للمحاكمة فثبت جرمه وقتل بسبب عدم تمكنه من إقناع أهالي اربل بتسليم القلعة للمغول[7]. والتفسير الذي أورده رشيد الدين هو الأرجح لأن المغول يطلبون التبعية المطلقة لهم لا يحترمون ولا يبقون الخائن وهذه جزء من عاداتهم وتقاليدهم.

---

(1) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 299.

(2) جعفر خصباك: الإدارة الايلخانية في العراق: 15، مجلة كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد الأول، 1956م.

(3) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 134.

(4) حول تلك المراسلات راجع: اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 87.

(5) الذهبي: تاريخ الإسلام: 493، مخطوطة. الكتبي: عيون التواريخ: 20/ 204.

(6) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 91.

(7) جامع التواريخ: م2/ 1/ 298.

ب- الاحتلال المغولي لميافارقين:

1- الملك الكامل يعلن الثورة على المغول:

حين فرغ هولاكو من احتلال بغداد سنة 656هـ/ 1258م شرع في تكملة ما رسمه له منكوخان من الاستيلاء على الجزيرة الفراتية والشام، فعهد هولاكو للأمراء يشموط[1] وايلكانويان وسونتاي مهمة احتلال ميافارقين[2].

كان صاحب ميافارقين الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك المظفر شهاب الدين غازي الأيوبي[3] قد خلع الطاعة، بعد عودته من زيارة منكوخان سنة 650هـ/ 1252م، اذ طرد نواب الخان، وقتل قسيساً يحمل أشارة مرور مغولية[4] ورفض طلباً لمنكوخان في المشاركة بعساكره لفتح بغداد، وامتنع من هدم أسوار آمد وتسليم هذه المدينة لصاحب الروم بناءاً على أوامر هولاكو[5].

---

(1) يشموط: هو الابن الأصغر لهولاكو، وسماه ابن العبري رشيد الدين باسم يشموت انظر: تاريخ مختصر الدول: 277. جامع التواريخ: م2/ 1/ 319 و م2/ 2/ 9، 12، 13، 14، 57. واليونيني ذكره باسم الشموط. ذيل مرآة الزمان: م1/ 91. في حين ذكره ابن شداد باسم يشموط وهي التسمية الأصح لأن هذا المؤرخ قد التقى به. الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 489، 491.

(2) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 306، 319. ميرخواند، محمد حميد الدين بن سيد برهان الدين: تاريخ روضة الصفا: م5/ 258، طهران، 1339م.

(3) ذكر ابن العبري وابن الفوطي اسم الملك الكامل تحت تسمية الملك الاشرف. تاريخ مختصر الدول: 277. الحوادث الجامعة: 340.

(4) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 135. رانسيمان: تاريخ الحروب الصليبية: 3/ 113، 523. Saunders: The history of the Mongol: 113.

(5) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 484، 505. وذكر ميرخواند بأن الكامل عندما رفض المشاركة بقواته الى جانب المغول لاحتلال بغداد، كان قد قاد جيشه الى بغداد للوقوف بجانب الخليفة ضد المغول، لكنه لم يشترك للقتال لسقوط بغداد قبل وصوله اليها. روضة الصفا: م5/ 258.

كانت هذه الإجراءات من جانب الكامل تمثل حداً فاصلاً في علاقاته مع المغول، اذ كان يدرك فشل سياسة المداراة مع هؤلاء الذين لا يضمرون لأحد من أهل البلاد من عداء بقدر ما يضمرونه للمسلمين. فاخذ يعد العدة للدفاع عن بلاده ويدعو ملوك المسلمين الى توحيد الجهود لغرض تشكيل قوة إسلامية تحول دون تحقيق أهداف المغول التوسعية في الأقاليم العربية والإسلامية، وفي محاولة منه لتحقيق ذلك قام بالاتصال شخصياً بالملك الناصر يوسف الأيوبي صاحب الشام، اذ قال له: (ان هؤلاء التتر لا تفيد معهم مداراة، ولا تنجح فيهم خدمة، وليس لهم غرض إلا في ذهاب الأنفس، والاستيلاء على البلاد. ومولانا السلطان قد بذل لهم الأموال من سنة اثنتين وأربعين والى اليوم فما الذي أثرت فيهم من خلوص المودة ؟ فلا يغتر مولانا بكلام بدر الدين صاحب الموصل ولا بكلام رسولك فانهما جعلاك خبزاً ومعيشة. واحذرك كل الحذر من رسولك فانه لا يناصحك ولا يختارك عليهم، وغرضه إخراج الملك من يدك، وانا فقد علمت اني مقتول سواء كنت لهم أو عليهم، فاخترت بأن اكون باذلاً مهجتي في سبيل الله. وما انتظار وقد نزلوا على بغداد ؟ !! والمصلحة خروج السلطان بعساكره لإنجاد المسلمين، وانا بين يديه، فإن ادركناه عليها فيها ونعمت، وكانت لنا عند الخليفة اليد البيضاء، وان لم يدركه أخذنا بثأره)[1].

لم تحظ هذه الدعوة بموافقة الناصر يوسف بتأثير بعض أمرائه المتخاذلين، وفي محاولة من الناصر لتسويف موقف الكامل، عرض عليه ان يرسل معه رسولاً الى هولاكو ليشفع له عنده فقال الكامل: (جئتك في أمر ديني تعوضني عنه بأمر دنيوي، ولو أردت هذا كنت أوجه مثلك عنده، فاني رأيت وجهه مرتين). فأجابه الناصر بعد ان تيقن بعزم

---

(1) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 485–486. وفي معنى هذا النص انظر: ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 135 . رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 222. اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 431.

الكامل على المقاومة بقوله: (متى نزلوا عليك أنفذت لك عسكراً تستنصر به عليهم)، فرد الكامل عليه بقوله (كل هذا لا ينفعني حينئذ، اذ لا وصول له الى 000) [1].

لم يحقق الكامل ما كان يصبوا اليه من الناصر، وفي أثناء عودته من الشام تواترت الأخبار اليه باقتراب المغول من ميافارقين، وكإجراء من الكامل لمواجهة المغول ذهب الى آمد ليجرد منها قوة عسكرية تعزز الحماية لميافارقين، وخلال ذلك حدث للكامل ما لم يكن في الحسبان، اذ تمرد عليه الأمير شرف الدين الأموي احد كبار قواده --- حقد كان في نفسه عليه، فقصد هذا المغول بعد أن وعدهم بتسليم المدينة لهم[2].

نزلت طلائع عساكر المغول على ميافارقين في يوم الأربعاء الثاني عشر من ذي القعدة سنة 656هـ/ 1258م، وبعث كهداي – احد قادة المغول – رسولاً عنه الى الملك الكامل يدعوه الى الطاعة والخضوع والخروج الى يشوط بهدية ومؤن[3]. فأجابه الكامل (ينبغي الا يضرب الأمير في حديد بارد، ولا يتوقع الشيء المستحيل، اذ لا يوثق بوعدكم وانني لن أنخدع بكلامكم المعسول، ولن اخشى جيش المغول، وسأضرب بالسيف ما دمت حياً)...[4]. ولأجل تقوية عزائم جنده توجه الكامل اليهم داعياً إياهم على الاستبسال وعدم السماح للغزاة بأن تطأ أقدامهم أرضهم، وطمأنهم يبذل ما في خزائنه من غلات وأموال لصرفها عليهم، وانه لن يفعل ما قام به المستعصم من حجب الأموال عن جنده وكانت سبباً لهلاكه[5].

وقبل وقوع القتال وصل وفد من الملك الناصر يوسف برئاسة عز الدين بن شداد بشأن مفاوضة بشروط لفك الحصار عن ميافارقين، وقد بذل ابن شداد جهوداً مضنية في

(1) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 486. نظر كذلك: ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 277، ابن واصل. تاريخ الواصليين م2/ 1222 "مخطوطة". اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 431.

(2) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 488.

(3) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 489.

(4) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 319.

(5) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 319–320. ميرخواند: روضة الصفا: م5/ 258.

التفاوض معه، انتهت بقبوله التوجه الى ميافارقين بعد تهديده بالقتل، بصحبة احد المغول لإقناع صاحبها بإعلان الطاعة لهولاكو، مقابل تعهدهم بعدم اشتراط خروج الكامل لمقابلة بشروط، مع فك الحصار والرحيل عن المدينة، متى ما يتم الاتفاق على الصلح[1].

توجه ابن شداد ومعه المغولي "زدمر بن بايجو الى ميافارقين، فقابل علم الدين الاعسر والي المدينة، واتفق معه على الصلح لقاء دفع مبلغ يشترط قدره (100) ألف درهم و (6000) آلاف نصفيه مع (70) فرسا و (30) جملاً و (30) بغلاً على ان يدفع بعضها وقت اللقاء والباقي عند رحيلهم عن المدينة. كاد هذا الاتفاق ان يدخل حيز التنفيذ لولا تواطؤ بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل؛ الذي اعلم المغول بعدم وجود أية إمكانية للملك الناصر يوسف لتقديم مساعدة عسكرية لميافارقين نظراً لضعف القوة العسكرية للملك الناصر يوسف أمام اتفاق أمراء الصالحية والشهرزورية عليه، واستعدادهم للهجوم على دمشق، فتيقن يشوط عند ذاك من انعدام فرصة إرسال اية نجدة من الناصر لمساعدة صاحب ميافارقين في محنته[2].

ان الدور الخياني الذي لعبه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل بتسريبه للمغول مثل هذه المعلومات الخطيرة هو الذي مكن المغول من احتلال ميافارقين، اذ لولا هذا الدور الخياني لكان المغول قد فكوا الحصار ورحلوا عن ميافارقين بموجب الاتفاق الذي كان قد عقدوه مع علم الدين الاعسر.

2- احتلال ميافارقين ومقاومة أهلها:

بعد ان تبين للمغول صدق معلومات بدر الدين لؤلؤ، شرعوا في احكام حصارهم لمدينة ميافارقين؛ فبدأ أولاً ببناء سور حولها وإقامة الأبراج وحفروا لها خندقاً عميقاً ونصبوا المنجنيقات[3]، ووصلتهم نجدة كبيرة من جيش الأرمن يقودها حليفهم هيثوم

---

(1) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 491-493، 495 -496.

(2) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 496 -497.

(3) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 135. وتاريخ مختصر الدول: 277. اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 43.

ملك أرمينيا الذي لعب دوراً بارزاً في احكام الحصار حول المدينة[1] كما وصلتهم إمدادات من صاحبي الموصل وماردين اللذين كانا قد دخلا في طاعتهم[2].

احتدم القتال بين الطرفين، واعتمد الكامل – رغم تشديد المغول الحصار – خطة ذكية في إرباك العدو عن طريق شن غارات يومية مفاجئة وسريعة يقودها بنفسه، وكان للكامل فارسان شجاعان هما سيف الدين توكيني وعنبر الحبشي اللذان انزلا الرعب والدهشة بقادة وجند المغول، اذ كانت بسالتهما ومهارتهما في حسن استخدام السيف ودقة تصويب السهام سبباً في إنزال أفدح الخسائر بجند ومعدات العدو، وقد أشاد رشيد الدين بهما وبسكان المدينة، وأشار الى ان جند المغول كانوا قد عزموا الهرب،بعد ان يئسوا من صد هجمات هؤلاء الأبطال لولا وصول أوامر مشددة من هولاكو تقضي بأن يثبتوا في أماكنهم، وأرسل لهم قوة جديدة على رأسها ارقتوا لمساعدتهم. وكانت لهذه التعزيزات أثرها في شد عزائم المغول الذين شنوا هجوماً كبيراً بقيادة ايلكانويان وارقتوا، فتصدى لهم جيش الكامل، وهنا لعب الفارسان دوراً كبيراً في المقاومة، اذ قتلا عدداً كبيراً من جند المغول وتمكنا من إرباك ايلكانويان وإسقاطه من على صهوة جواده[3].

أمام هذا الأمر تيقن المغول بعدم جدوى الاستمرار بمثل هذه الهجمات فأمسكوا عن القتال بعد ان شددوا الحصار الاقتصادي على المدينة [4] ولجأوا الى تدبير الحيلة للإيقاع بالكامل، فأشاروا على بدر الدين لؤلؤ بان يرسل للكامل من يقول له (... ان بدر الدين لؤلؤ قد بذل روحه وماله وابتاع البلد من هولاكو...) فأجاب علم الدين

---

(1) رانسيمان: تاريخ الحروب الصليبية: 3/ 524. الصياد: مؤرخ المغول الكبير: 48.
Saunder: The history of the Mongol: 113. Clubb; The lost Centuries: 258.
(2) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 490. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: 5/ 543. إقبال: تاريخ مفصل إيران: 192.
(3) جامع التواريخ: م2/ 1/ 320-321.
(4) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 277. ميرخوند: روضة الصفا: م5/ 259.

الأعسر والي المدينة لرسول بدر الدين بقوله (نحن نعرف حال أستاذك وما ينزل – يقصد الكامل – إلا مع حجارتها فانا قد بايعنا الله تعالى) [1].

ونظراً لطول فترة الحصار التي استمرت أكثر من عام انعدمت الأقوات والمؤن في المدينة حتى اضطر الناس الى أكل الميتة والكلاب والقطط والفئران، وانتشر الوباء ووقع الفناء[2].

أمام هذا الحال اتفق الكامل مع أمرائه على إرسال أخيه الملك الاشرف موسى بن الملك المظفر شهاب الدين غازي الى سونتاي لإقناعه بشأن فك الحصار عن ميافارقين مقابل إعطائه قلعة السناسنة[3]، وافق سونتاي على هذا العرض الذي لم يكن الطرفان مخلصا النية لتنفيذه، وقد تبين ذلك في أثناء رؤية جماعة من المغول المرسلين لتسليم قلعة السناسنة مبعوث الملك الكامل وهو يشير خلسة لوالي القلعة بعدم تسليمها للمغول لتشككه بصدق نوايا سونتاي في تنفيذ تعهداته؛ الأمر الذي دفع المغول الى قتل مبعوث الكامل[4].

وبعد فشل هذه العملية حدث ان وقعت مؤامرة على الملك الكامل من قبل مملوكين من مماليك أحد أمرائه بسبب خلاف شخصي حدث لهما مع غلمان الكامل الأمر الذي دفعهما الى مكاتبة سونتاي يعرضان عليه تسليم ميافارقين مقابل توليتهما عليها، فوافقهما بعد ان استجابا لطلبه في مساعدة جنده على تسلق أسوار المدينة التي

---

(1) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 501.

(2) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 321. الذهبي: دول الإسلام 2/ 164. ابن ابي عذيبة: مختصر التاريخ الكبير: 295 "مخطوطة".

(3) قلعة السناسنة: وتقع على جبل السناسنة شمال ميافارقين وسمي بهذا الاسم نسبة الى قبيلة السناسنة التي كانت لها حصون منيعة في هذه المنطقة تمكن المسلمون سنة 580هـ من انتزاعها منهم وإبعادهم عنها. الفارقي، احمد بن يوسف بن علي بن الأزرق: تاريخ الفارقي: 46 وحاشية 78، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1974، تحقيق، بدوي عبد اللطيف عوض.

(4) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 502-503.

دخلوها في الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة 657هـ/ 1259م بعد ان لاقوا مقاومة عنيفة من أهلها[1] فحدثت مذبحة عظيمة للمسلمين حتى قيل بانه لم يبق من المسلمين في المدينة أكثر من مائة شخص[2] بينما جرى الإبقاء على حياة المسيحيين الذين تعاطفوا خلسة مع المغول أثناء الهجوم[3] وبعد ان فرغوا من أمر أهلها قاموا بتخريب أسوارها[4] ومن ثم رحلوا عنها الى مدينة آمد فنزلوا عليها في أواخر سنة 657هـ/ 1259م، فتسلموها صلحاً دون ان يبدي الأمير سيف الدين قزل بن بجلي – نائب الكامل فيها – أية مقاومة[5] كما أتموا استيلائهم على قلعة اليمانية العائدة لميافارقين واسروا فيها حريم الملك الكامل وأولاده وأقاربه[6].

اما عن مصير الملك الكامل فلقد تم أسره أثناء احتلالهم ميافارقين مع أخيه ومجموعة قليلة من مماليكه، فمثل بين يدي هولاكو خلال إقامته في تل باشر[7] مع باقي الأسرى[8] وقد دارت محاورة ساخنة بين الاثنين، عدد فيها هولاكو اخطاء الكامل ومنها (ضيفتك في همدان فما شربت وأمرتك بهدم سور آمد ما فعلت وقلت لك خذ إخوتك وأموالك وعساكرك والتقيني على بغداد حتى نقاتل الخليفة فامتنعت واني عبرت عنى

---

(1) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 503-504.

(2) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ ج1/ 322. الذهبي: دول الإسلام 2/ 164. ابن العماد، ابو الفلاح عبد الحي الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: 5/ 295، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

(3) رانسيمان: تاريخ الحروب الصليبية: 3/ 524.

(4) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 503-510.

(5) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 503-526-527، 559. الذهبي: العبر: 5/ 238.

(6) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 503-559-560. اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 342-343.

(7) تل باشر: قلعة حصينة تقع في شمال حلب. ياقوت: معجم البلدان: م2/ 40 .

(8) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 504. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 280. رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ ج1/ 322. ميرخواند: روضة الصفا: م5/ 259

بيوتك فلم تخرج الي ولا سيرة لي هدية ولا أبصرت وجهي حتى لا تموت. فأجابه الملك الكامل من أنت حتى أتحمل المشقة في رؤية وجهك ؟ أنت مالك قول ولا دين، بل خارجي يجب عليا قتالك وانا خير منك) فقال هولاكو: بأي شيء أنت خير مني ؟ فقال: لأنني أؤمن بالله وبرسوله، ولي دين وأمانة، ومع هذا فان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء وكان لنا من عدن الى تبريز، فذهب منا ذلك. وكذلك يفعل الله بك اذا أراد، يرسل عليك من يقتلك، ويسبي ذريتك، ولا يترك من عسكرك أحداً. فقال له: كلامك اكبر منك، لأنك من السلاطين الصغار[1] ؟. فأمر هولاكو عند ذاك بقتله[2] وقطع رأسه وطيف به في بلاد الشام وسط الأغاني وقرع الطبول بقصد تخويف الناس، ثم دفن في دمشق سنة 658هـ/ 1260م[3].

وقد رثاه ابو شامة بقصيدة مطلعها[4]:

ابـــــن غـــــازي غـــــزا وجاهـــــد في

الله قومـــــــاً اتخـــــــذوا في المـــــــشرقين

والعـــــراقين ظـــــاهراً غائبـــــاً وبهذمـــــات

شـــهيداً بعـــــد صـــــبر علـــــيهم عـــــامين

لم يشنـــــه ان طيـــــف بـــــرأس منـــــه

فلـــــه أســـــوة بـــــرأس الحـــــسين

---

(1) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 503 – 506. وانظر كذلك: رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 323. اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 431.

(2) ذكر ابن العبري ان هولاكو ندم على قتل الكامل بدون ان يذكر السبب. تاريخ مختصر الدول: 280. ويبدو ان سبب ذلك يرجع الى ان الكامل قتل بطريقة تخالف تعاليم الياسا التي تقضي بعدم إهدار دم الملوك. انظر: براون: تاريخ الأدب في إيران: 2/ 586.

(3) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 340. الذهبي: العبر: 5/ 249–250 ابن الوردي: تتمة المختصر: 2/ 293–294. ابن ابي هذيبة: مختصر التاريخ الكبير: 295–296 (مخطوطة).

(4) الذيل على الروضتين: 205.

وافـــــق الــــــسبط في الـــــــشهادة
وحمـــــل لقـــصد حـــاز أجـــره مـــرتين

وهكذا دخلت ميافارقين في طاعة المغول.

ج- الاحتلال المغولي لماردين:

1- الملك السعيد الارتقي والمغول:

خلال محاصرة المغول لمدينة ميافارقين، اخذ الملك السعيد نجم الدين ايلغـازي بـن المنصور ناصر الدين ارتق أرسـلان صـاحب مـاردين يعـد الاسـتعدادات الدفاعيـة لمدينـة ماردين، ويجري اتصالات مع ملوك الأطراف لمواجهة خطر المغول، فقد التقى بعـز الـدين بن شداد - احد أمراء الملك الناصر الأيوبي صاحب الشام - واتفق معه بأن يعرض علـى الناصر اقتراحه الذي تضمن. (انا اقرض صاحبكم – أي الناصر – ثلاث مئة ألف دينـار مصرية، ويسير لي ثلاثة آلاف فارس، أقترحهم عليه، ويصل الى حلب بنفسـه، وانـه علـي ان ارحل التتر عن ميافارقين. فـاذا بلغـت غرضـي مـن، ذلـك، اتفقـت معـه علـى قصـد الموصل وإخراجها من يد هذا المنافق – أي بدر الدين لؤلؤ ...)[1] قابل ابـن شـداد الملـك الناصر وعرض عليه ما قاله صاحب ماردين (... فلم يحر جوابا ....)[2].

أصبح موقف الملك السعيد حرجاً بعد فشله في الحصول علـى مساعدات الملـك الناصر، اذ أرسل هولاكو الى صاحب ماردين يستدعيه اليه، فأرسـل الملـك السـعيد ابنـه الملك المظفر قرا أرسلان بدلاً منه وقاضي القضاة مهذب الـدين محمـد بـن مجلي والأمـير سابق الدين بلبان وهو من كبار أمرائه، ومعهم هدية نفيسة ورسالة تتضمن الاعتـذار عـن حضور الملك السعيد لمرض أصابه، فلما قابل هولاكـو الوفـد هـددهم وقـال لهـم: (ليس مرض الملك السعيد صحيحاً، وإنما هو متمارض، وقصده بذلك محافظـة للملـك الناصـر، حتى يرى ما يتم لي معه، فان انتصرت عليه اعتذر بزيادة المرض، وان انتصر علي فتكـون

(1) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 498.

(2) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 499.

له أيد البيضاء عنده، اذ لم يجتمع بي. فلو كان للملك الناصر قوة يدفعني بها لم يمكني من دخول هذه البلاد. وقد بلغني انه بعث حريمه وحريم أمرائه وكبار رعيته الى مصر، وهذا يدل على الهرب، فلو نزل الملك السعيد اني ترعيت له ذلك) [1]. ثم أمر هولاكو باحتجاز وفد الملك السعيد عدا القاضي مهذب الدين الذي عاد الى ماردين واخبر صاحبها بواقع ما حدث، وعرفه بوجود عز الدين وركن الدين ولدى غياث الدين صاحب بلاد الروم عند هولاكو، فتألم الملك السعيد وندم على إرسال ابنه وما سيؤول اليه مصيره، وبعث الى الملك الناصر يكرر دعوته في تشكيل جيش مشترك للتصدي للمغول، وأرسل الى هولاكو رسولاً مع هدية غرضه منها الاتصال سراً بولده ليحثه على الهرب، وليتكلم على عز الدين بن صاحب الروم موقفه غير الجدي في محبة هولاكو، ولتحذيره من ان هدف هولاكو من الإبقاء عليه ليس محبة له، انما لتهديد الملك الناصر به، فحثه على الإسراع في تدبير الحيلة للانفصال عنه، والحذر منه، فشكر عز الدين الملك السعيد على ما نبهه وقال: (والله ما خرجت البلاد من أيدينا الا بتخاذل بعضنا عن بعض، فلو كانت الكلمة مجتمعة لم يجري علينا ما جرى) [2].

وكان هولاكو خلال ذلك قد شرع بالاستيلاء على مدن الشام، ففي محرم سنة 658هـ/ 1259م سقطت حلب بيده وانزل الخراب والدمار بها الأمر الذي أدى الى هروب الملك الناصر الأيوبي من دمشق الى فلسطين [3]، ترك سقوط حلب وهروب الملك الناصر أثراً على موقف الملك السعيد الذي لم يتوقع من الناصر مثل هذا الموقف. وكان صاحب ماردين قد طلب من هولاكو إعادة الأمير سابق الدين بلبان، فبعث به هولاكو

---

(1) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 559، 560. وانظر كذلك اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 342-343.

(2) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 560-561. اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 343-344؛ الذهبي: تاريخ الإسلام: 511 (مخطوطة)؛ الكتبي: عيون التواريخ: 20/ 213-214.

(3) ابو شامة: الذيل على الروضتين: 203. ابو الفداء: المختصر 3/ 200 ويخطأ رشيد بأن الاستيلاء على حلب قد حدث في ذي الحجة سنة 657هـ. جامع التواريخ: م2/ 1/ 306.

اليه، بعد ان استماله أثناء احتجازه عنده، فلما اجتمع بلبان بالملك السعيد بلغه ما لقي أهل حلب من القتل والسبي والدمار ليخوفه، وأشار عليه بإرسال هدية أخرى لهولاكو لاسترضائه، فوافقه السعيد وسيره بصحبة عز الدين بن بطة، فلما وصلا هولاكو وهو على عزاز[1] اجتمعا به، بعد ان قدم له الهدية، فحث بلبان هولاكو بان يستميل عز الدين بن بطة اسراً لغرض التآمر على الملك السعيد، فاستدعى هولاكو عز الدين وقال له واقض لي حاجة اقض لك ألف حاجة. قال: ما هي ؟. قال: أريد منك ان تعرفني هل الملك السعيد مريض حقيقة أو متمارض ؟ قال له: كان متوعكاً وازداد مرضه عند أخذك حلب ثم عوفي فقال: اذا ألزمته بالمجيء، تعلم انه يفعل ؟ قال له: ما يفعل أصلاً. فقال لأي سبب ؟ قال: لأشياء كثيرة منها: انكم لا تفون لأحد، ولا تقفون عند كلام تقولونه، وانكم تهينون الملوك، ولا ترعون حقوقهم، وانكم تكلفونهم ما لا تطيقه نفوسهم، وقد تحقق انه متى نزل اليك قتلته !!. قال: فان قصدته أيقدر ان يمنع نفسه مني ؟ قال: نعم. قال بأي شيء ؟. قال: بحصانة قلعته، وما فيها من الذخائر والأقوات، فانه ادخر فيها قوت أربعين سنة!![2] . ولما فرغ عز الدين من كلامه صرفه هولاكو بعد ان أعطاه هدية ثمينة، ثم استدعاه في الصباح مع الأمير سابق الدين، وكتب لها جواباً للملك السعيد مضمونه: (اني قد أعفيتك من النزول، فطيب قلبك)[3] . وكانت هذه محاولة من هولاكو لخداع صاحب ماردين عن طريق الأمير سابق الدين الذي اتفق معه سراً على تولي مهمة كسب كبار امراء واعيان وأجناد ماردين، وكتب لهم يراسلهم بذلك، ولغرض تفويت الفرصة على صاحب ماردين عن كشف نواياهم، أشار سابق الدين على هولاكو (... بأن

---

(1) عزاز: بليدة فيها قلعة ولها رساتيق وتقع شمالي حلب بينهما يوم، ياقوت: معجم البلدان: م4/ 118.

(2) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 561-563. الذهبي: تاريخ الإسلام: 512، مخطوطة.

(3) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 563.

يسير معه الملك المظفر بن الملك السعيد ليطمئن قلبه – أي الملك السعيد – بذلك، ويسكن جاشه ...) [1] فاستجاب هولاكو وأرسل الملك المظفر الذي كان محتجزاً عنده[2].

وصل الوفد ماردين وقدم الرسالة لصاحبها، ثم انفرد عز الدين بن بطة بالملك السعيد، وعرفه بميل الأمير سابق الدين بلبان الى هولاكو (00 وانه عنيه لا نه، وان التتر لابد لهم من قصده، ففت ذلك في عضده 00). وقد عزز رأي عز الدين غلمان الملك السعيد الذين عرفوا صاحب ماردين على ما هو عليه من باطن مع هولاكو (000 وانه متى اجتمع به – أي بهولاكو – افسد عليك الأحوال، فالمصلحة ان تمسكه 000) وكان الملك السعيد قد سير في هذا الوقت الأمير سابق الدين بلبان بهدية ثالثة وجواب اعتذار هولاكو. وبناءاً على هذه المستجدات أرسل الملك السعيد في طلب بلبان يحثه على العودة لأمور تجددت بعد مغادرته ماردين ليقبض عليه، فلم يفلح السعيد بهذه الحيلة لتلقي بلبان وهو على دنيسر تحذيراً من الأمير أسد الدين البختي – الذي كان قد حصل على برليغ من بلبان – يطلعه على نوايا الملك السعيد تجاهه، الأمر الذي دفع بلبان الى الالتحاق بهولاكو، ولم يعد ثانية الى ماردين[3].

2– احتلال ماردين ومقاومة أهلها:

تأكد الملك السعيد من ان المغول لابد لهم من مهاجمته، فاستعد لهم، ونقل ما كان في البلد من مؤن وذخائر وأعلاف الى القلعة، وبعد أربعة أيام من هذا العمل وصله وفد من هولاكو يحمل هدية له، ثم وصل بعدهم عسكر المغول، فنزل على ماردين في جمادي الأولى سنة 658هـ/ 1260م[4] وقيل بأن هولاكو كان على رأس هذا العسكر وجاء ليشرف على القلعة، وليرى مدى حصانتها لغرض توجيه قواده على نقاط الضعف فيها،

---

(1) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 563.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام: 512 (مخطوطة).

(3) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 563 –564.

(4) اخطأ المقريزي بأن المغول حاصروا ماردين اولاً فلم ينالوا منها شيئاً، فرحلوا عنها الى ميافارقين وحاصروا أهلها. السلوك: 1/ ق2/ 414.

وبعد ان مكث مدة (16) يوماً رحل عنها في طائفة من جنده الى خلاط[1] تاركاً مهمة فتحها ليشموط وارقتو نويان[2].

أرسل ارقتو نويان الى الملك السعيد يطلب منه النزول من القلعة وإعلان الطاعة والخضوع، مقابل ضمان سلامته، فأجاب صاحب ماردين ارقتو بقوله (كنت قد عزمت على الطاعة والخضوع الى الملك، ولكن حيث انكم قد عاهدتم الآخرين، ثم قتلتموه بعد ان اطمأنوا الى عهدكم وأمانكم، فانني الآن لا أثق بكم. وان القلعة – بحمد الله تعالى مشحونة بالذخائر والأسلحة، ومليئة برجال الترك وشجعان الكرد). عند ذلك امر ارقتو نويان بنصب المجانيق لدك أسوار المدينة بالحجارة والسهام، واستمرت الحرب مدة (8) أشهر دون ان يحقق المغول نجاحاً يذكر[3].

وإزاء هذا العجز عن فتح المدينة، لجأ هولاكو الى تدبير الحيلة، فأرسل أثناء إقامته في خلاط قاضي هذه المدينة يحمل رسالة منه الى صاحب ماردين يلتمس فيها منه ان يفتح أبواب ماردين ليدخل عسكره ويستمد منها حاجته من المؤن والأعلاف لبعض الوقت، ثم يرحل، فاذن لهم السعيد[4].

وكانت تلك غلطته التي أدت الى استغلال المغول الفرصة، فهاجموا المدينة في الثاني والعشرين من جمادي الأولى سنة 658هـ/ 1260م، ودار القتال في الشوارع والطرقات لمدة (63) يوماً اظهر أهلها شجاعة فائقة في الذود عنها، ولولا تواطؤ نصارى ماردين وبعض

(1) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 564. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 280. الذهبي: تاريخ الإسلام: 518 (مخطوطة).

(2) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 324. خواندمير، غياث بن همام الدين الحسيني: حبيب السير في أخبار البشر: 1/ م3/ 100، كتابخانة خيام، طهران، 1333ش.

(3) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 324-325.

(4) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 564 -565.

أمراء السعيد ممن كان لهم اتصال مع هولاكو لما تمكن المغول من السيطرة على المدينة التي أخلاها أهاليها ولجأوا الى القلعة للاحتماء بها[1].

سدد المغول بعد استيلائهم على ماردين حصارهم الاقتصادي والعسكري على القلعة، وقاموا بغارات على دنيسر وارزن القريبة من ماردين لتعزيز هذا الحصار[2] الذي دخل عامه الثاني[3].

وخلال ذلك أرسل هولاكو يطلب من صاحب ماردين مقابلته، فرفض السعيد وأرسل ابنه مظفر الدين الذي قال له هولاكو (تصعد الى أبيك وتقول له ينزل الينا، ولا يعصي وان عصى لم يصب خيراً) [4].

لم يقتنع صاحب ماردين بهذا الرد، وحبس ابنه المظفر بسبب ميله الاستسلام هولاكو[5].

ونظراً لطول فترة الحصار وقلت الأقوات في القلعة، وظهر الغلاء والوباء الذي أودى بحياة خلق كثير، ومنهم الملك السعيد الذي توفي في السادس عشر من صفر سنة 659هـ/ 1261م[6].

وتشير بعض الروايات الى ان الملك مظفر الدين بن الملك السعيد هو الذي عجل بوفاة أبيه باسقائه السم وتسليم القلعة للمغول[1] مشيرة بذلك الى اعتراض هولاكو على

---

(1) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 565.

(2) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 325.

(3) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 565.

(4) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 280.

(5) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 138. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 341–342.

(6) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 280. رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 325. اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1 / 378 / م2/ 15. وذكر ابن شداد انه توفي سنة 659هـ وقيل في ذي الحجة سنة 658هـ. الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 566. وحدد الكتبي وفاته سنة 658هـ. عيون التواريخ: 20/ 234.

تصرف المظفر هذا اذ طالبه بدم أبيه في أثناء مقابلته له قائلاً (هل يجيز احد قط ان ابنا يقتل أباه ...) فأجاب المظفر قائلاً (انما فعلت ذلك لأنني كلما تضرعت اليه، وبكيت أمامه لكيلا يفرط في القلعة وفي دماء الناس لم يستجب لي، فأقدمت على هذا العمل الخاص من اجل المصلحة العامة، لأني عرفت ان القلعة ستفتح بإقبال الملك وانه سوف يقتل عدة آلاف من الأبرياء. فالحقيقة ان التضحية بدم واحد خير من التضحية بمائة ألف، خصوصاً وان كان ظالماً معتدياً. وقد قتل ابنه والناس غير راضين عنه، وان العبد معترف بذنبي. فلو منحني الملك مقام ابي، فان له ما يشاء)[2] فعفا عنه هولاكو وسلمه إمارة ماردين[3].

ويبدو ان هذه الرواية ضعيفة، اذ يشك في إقدام مظفر الدين على تسميم أبيه لأنه يعلم بأن أباه كان مشرفاً على الموت بسبب مرضه ولا داعي لتعجيل وفاته بالسم[4] وما يتعلق باعتراض هولاكو على قتل المظفر لأبيه فهذا لا يتفق مع هدف هولاكو لأنه لو تسنى له فتح القلعة لكان أول ما فعله هو قتل الملك السعيد لتمرده عليه، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية ليس من السهولة الاقتناع بتسليم مظفر الدين القلعة للمغول دون ضمانات تحفظ له ملكها فلم يذكر رشيد الدين أية ضمانات، سوى انه أشار الى ان مظفر الدين أرسل الى ارقتو من يقول له (لقد مات من كان يخالفكم فلو صدر الأمر بتوقف الجيش عن القتال، فاني انزل واسلم القلعة)[5] في حين ان مظفر الدين قام بتسليم القلعة في شهر رجب سنة 659هـ/ 1261م بناء على اتفاق سري سابق معقود بين هولاكو ومظفر الدين، قبل موت الملك السعيد يتضمن(... ان والده – أي السعيد – متى مات

---

(1) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 325. ميرخواند: روضة الصفا: م5/ 261 خواندمير: حبيب السير: 3/ م1/ 100. وانظر كذلك إقبال: تاريخ مفصل إيران: 196.

(2) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 325-326.

(3) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 326.

(4) انظر: عمر: إمارة بني ارتق: 248.

(5) جامع التواريخ: م2/ 1/ 325.

وتسلم – أي المظفر – الملك بعد: دخل في طاعته)[1] على ان يتم تعويضه عما دمر من بلاده بمناطق عامرة مجاورة لملكه[2].

أصبحت إمارة ماردين ولاية تابعة للمغول يحكمها مظفر الدين الذي توجه الى هولاكو في شهر رمضان سنة 659هـ/ 1261م لمقابلته مستصحباً معه هدية ثمينة من مدخرات تحف والده، فاجتمع به هولاكو وأكرمه وقال له (بلغني ان أولاد صاحب الموصل هربوا من البلاد الى مصر، وانا اعلم ان أصحابهم كانوا السبب في خروجهم، فاترك أصحابك الذين وصلوا معك عندي، فاني لا آمنهم ان يحرفوك عني، ويرغبوك في النزوح عن بلادك الى مصر، واذا دخلت الى البلاد استصحبهم معي)[3] فأجابه مظفر الدين الى ذلك، ثم عاد الى ماردين، وفي طريقه بلغه رسل هولاكو يأمره بالعودة، فعاد وهو مرتاعد من شدة الخوف، فلما اجتمع به قال له هولاكو (ان أصحابك اخبروني ان لك باطناً مع صاحب مصر، وقد رأيت ان يكون عندك من جهتي من يمنعك من التسحب اليه)[4] فعين له أميراً اسمه احمد بغا ليكون مطلعاً على تصرفات مظفر الدين، ومن ثم ضرب هولاكو رقاب جماعته، وكان عددهم (70) شخصاً[5] ولم يكن لأحد منهم ذنب، وقصد هولاكو بهذا العمل ان (... يقص جناح الملك المظفر)[6]

---

(1) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 567-568. اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1 / 378، ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 65-66.

(2) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 567.

(3) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 569. اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1 / 457.

(4) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 569. اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1 / 457-458.

(5) وقد اخطأ ميرخواند بأن عدد القتلى كان سبعة أمراء فقط. روضة الصفا: م5/ 261.

(6) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 569-570. ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 84.

وبعد عودة الملك المظفر الى ماردين أضاف هولاكو لملكه سنة 661هـ/ 1263م نصيبين والخابور[1] والجزء الأكبر من ديار بكر ما عدا ارزن وحصن كيفا[2] أبقاهما المغول بيد الأيوبيين حيث استمر ملوكهم في حكمها على عهدهم[3].

د- الاحتلال المغولي للموصل

1- أبناء بدر الدين لؤلؤ يعلنون الثورة على المغول:

عرف عن بدر الدين لؤلؤ انه اتبع سياسة الخضوع والولاء والتبعية للمغول حتى وفاته سنة 657هـ/ 1259م[4] لتوزع أبناءه من بعده في حكم إمارته، فتولى ابنه الأوسط علاء الدين حكم سنجار، والابن الأصغر سيف الدين إسحاق حكم جزيرة ابنه عمر، وقد تم كل ذلك بتفويض من هولاكو[5].

سار أبناء بدر الدين على نفس سياسة أبيهم بالتعامل مع المغول، اذ لا يوجد ما يشير الى حدوث أي تصدع لهذه العلاقة خلال السنة الأولى لحكمهم، غير ان تطور

---

(1) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 139 و 3/ ق2/ 570. اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1 / 458.

(2) انظر: عمر: إمارة بني ارتق: 247.

Cl. cahen: The Encyclopaedie of Islam: art Artukids: 1/666.

(3) ابن فضل الله العمري، شهاب الدين احمد: التعريف بالمصطلح الشريف: 39، مطبعة مصر، 1332هـ. البدليسي، شرف خان: شرفنامة في تاريخ الدول والإمارات الكردية:172-173، ترجمة ملا جميل بندي روزبياني، مطبعة النجاح، بغداد، 1953.

Cahen: E.I.T.S.V. 1/804.

(4) تذكر بعض المصادر غير العربية ان وفاة بدر الدين لؤلؤ كانت في سنة 659هـ رشيد الدين: جامع التواريخ: 2/ ق1/ 327. ميرخواند: روضة الصفا: م5/ 262.وهذا خطأ، وتؤكد المصادر العربية ان وفاته كانت في سنة 657هـ. انظر. ابن واصل: تاريخ الواصليين: م2/ 1239 " مخطوطة ". الذهبي: دول الإسلام: 2/ 161. المقريزي: السلوك ان: 1/ ق2/ 421.

(5) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 336. رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 327. ابو الفداء المختصر: 3/ 198. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: 5/ 276، 382. خواندمير: حبيب السير: 1/ م3/ 100.

الأحداث في المنطقة نتيجة التحول الكبير في الخطط العسكرية للقوى الإسلامية من سياسة الدفاع والتحصن في المدن الى سياسة الهجوم المنظم التي اتبعها سلاطين المماليك أدت الى تحقيق انتصار ساحق للمسلمين على المغول بقيادة السلطان مظفر الدين قطز المملوكي في موقعة عين جالوت في رمضان سنة 658هـ/ 1260م، فضلاً عما تحقق من انتصارات لاحقة بعد أسابيع قليلة من تلك الموقعة[1] كل ذلك كان له ابلغ الأثر على المسلمين في إزالة خرافة الاعتقاد بأن المغول قوم لا يقهرون[2].

بدأ حكام المسلمين الذين كانوا تحت ظل الاحتلال المغولي، لاسيما أولاد بدر الدين لؤلؤ ينظرون الى حكام مصر بعد انتصارهم في عين جالوت على انهم حماة المسلمين والقوى التي يمكن ان يركنوا اليها في مساعدتهم على نفض غبار ذل الاحتلال عنهم.

وبناءاً على هذا التصور أعلن المظفر علاء الدين صاحب سنجار الثورة على المغول لرفضه الاعتراف بسيادة هولاكو عليه، فترك بلاده وارتحل الى مصر، بعد ان ولى على سنجار ابن أخيه الملك العادل نور الدين بن الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ لتدبير شؤون ملكه أثناء غيابه في مصر[3] وكان الظاهر بيبرس صاحب مصر قد ولى نيابة حلب للمظفر علاء الدين سنة 658هـ/ 1260م[4]، لكون حلب قريبة جغرافياً من الموصل

---

(1) تمثلت هذه الانتصارات بإيقاع الهزيمة بالفلول المتبقية من جيش المغول المتقهقر بالقرب من دمشق وحلب وتحرير الأسرى المسلمين منهم. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية: 13/ 220-221 مجهول: تاريخ الدول الأيوبية وغيرها: 30 (مخطوطة).

(2) Lane – Pppl: AHistory of Egypt: 262.

العبادي: قيام دولة المماليك الأولى: 167. فوزي، فاروق عمر: الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة: 137، دار الخليج للطباعة والصحافة والنشر، الشارقة، 1983م.

(3) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 208. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 282.

(4) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، م1/ 370. المقريزي: السلوك: 1/ ق2/ 433.

وسنجار وهذا ما يسهل للملك المظفر الاتصال مع حكام سنجار والموصل ليقودوا جميعاً الثورة ضد المغول عندما يتلقى المساعدة من المماليك. غير ان المظفر علاء الدين لم يحسن التعامل بشكل مرضي مع أهل حلب فغضبوا عليه واعتقلوه[1] فبعث الظاهر بيبرس أمراً بإطلاق سراحه وتكريمه[2] وخلال إقامته في مصر كتب الى أخيه الصالح ركن الدين إسماعيل صاحب الموصل يعرفه بقوة المصريين ويحثه على ترك الموصل مؤقتاً والتوجه الى مصر لأن الظاهر بيبرس يعد العدة لتحرير العراق والجزيرة من المغول، وانه في صدد توليته – أي الصالح إسماعيل – بلاد المشرق كلها اذا ما تم لصاحب مصر ذلك[3].

وقف الملك الصالح على ما جاء في كتاب أخيه، ويبدو انه أجل اتخاذ قرار بصدد ذلك، فوضع الكتاب تحت وسادته أملاً في دراسة محتوياته بشكل جدي في وقت لاحق. ولكن حدث ما لم يكن متوقعاً، اذ كان عند الملك الصالح في هذا الوقت شمس الدين محمد بن يونس الباعشيقي – احد كبار أمراء بدر الدين لؤلؤ، وكان نائباً على بلدة نينوى القريبة من الموصل – فغافله وسرق الكتاب وهرب به الى هولاكو[4] ويبدو ان غاية شمس الدين من فعلته هذه هو كسب ود هولاكو لغرض مكافأته بنيابة الموصل مكان الملك الصالح، وهذا ما أثبتته الوقائع فيما بعد، وليس كما ذهب اليه الرويشدي[5] من ان هدف شمس الدين كان لغرض تفادي خطر هجوم جيوش المغول على الموصل.

---

(1) الكتبي: عيون التواريخ: 20/ 288.

(2) ابن عبد الظاهر، محي الدين: الروض الزاهر في سيرة الملك: 14-15، الرياض، تحقيق عبد العزيز الخويطر. ويعلل ابن الوردي قصد الظاهر بيبرس من هذا التكريم هو لغرض الاستفادة منه ومن أخيه الصالح في الوقوف بجانبه ضد المغول. تاريخ ابن الوردي: 2/ 298.

(3) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 140.

(4) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 282. داود الجلبي: الملك بدر الدين لؤلؤ والآثار القديمة الإسلامية في الموصل: 28، مجلة سومر، ج1 م2، كانون الثاني، 1946م.

(5) إمارة الموصل: 264.

خاف الملك الصالح عاقبة الأمر عند افتضاح فعلته لدى مولاكو، اذ كان يقول لخواصه (لا نؤمن من ان ابن يونس يمشي يعرف بالقضية المغول ويجيب علينا العساكر ويجيء)[1] فعجل بالرحيل مع بعض حاشيته الى الشام ومنها الى مصر، بعد ان أرسل في طلب أخيه الملك المجاهد سيف الدين إسحاق يحثه على المجيء الى مصر[2].

استقبل الظاهر بيبرس صاحب مصر الملك الصالح ركن الدين الذي وصل القاهرة في شعبان من سنة 659هـ/ 1261م وأعقبه وصول أخيه سيف الدين إسحاق، فاجتمع بهما بيبرس بصحبة أخيهما علاء الدين، حيث أكرمهم، واقطع لهم عدداً من الاقطاعات الجليلة في مصر، وكتب لهم تقاليد بلادهم، بعد ان أضاف لملكهم عدداً من مدن الجزيرة[3].

لقد أصبحت مدن الجزيرة برحيل أولاد بدر الدين لؤلؤ من الموصل وسنجار الى مصر خاضعة للحكم المغولي وخالية من حكامها الأصليين، الذين حل محلهم حكام يدينون بالولاء والتبعية للمغول تسيرهم إطماعهم الشخصية وأنانيتهم الفردية، وبهذا عبر أولئك الحكام عن نزعة الانفصال عن سيرة الأمة والتنكر لمبادئها وقيمها الحضارية الأصيلة بما فيها الوحدة التي كان أهل الجزيرة حريصين على الحفاظ عليها.

---

(1) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 283.

(2) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 208. اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 542. ابن الوردي: تتمة المختصر: 2/ 305 . المقريزي: السلوك: 1/ ق2/ 460.

(3) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر: 114- 116. ابن واصل: تاريخ الواصليين: م2/ 1260 مخطوطة. ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 81. المقريزي: السلوك: 1/ ق2/ 460-461. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: 5/ 382 واخطأ محمد بن احمد المعروف بابن إياس بأن أولاد بدر الدين لؤلؤ قدموا الى مصر سنة 662هـ. بدائع الزهور في وقائع الدهور: 1/ 103، ط1، مطبعة بولاق بمصر، 1311هـ.

2- احتلال الموصل ومقاومة أهلها:

اضطربت أحوال الموصل بعد خروج الملك الصالح ركن الدين إسماعيل منها، وكانت تركان خاتون زوجة الصالح التي منحها هولاكو له، قد امتنعت عن الخروج مع زوجها، وتمكنت مع ياسان شحنة المغول في الموصل من أحكام السيطرة على المدينة، وإقفال أبوابها بمعاونة النصارى بوجه الأمير علم الدين سنجر ومجموعة من أمراء الموصل الذين تركوا الملك الصالح في أثناء رحلته الى مصر لوقوع خلاف بينهم وبينه، فآثروا العودة وحاولوا دخول المدينة[1] واختلف ابن الفوطي مع ابن العبري حول ما ذكره من الظروف التي دعت هؤلاء الأمراء الى العودة الى الموصل فقد ذكر ان الظاهر بيبرس كان قد استجاب لطلب الملك الصالح أثناء لقائه به في الشام سنة 659هـ/ 1261م على انفاذ جيشاً يمنع به دخول المغول الموصل، وكان على رأس هذا الجيش علم الدين سنجر -- احد أمراء بدر الدين لؤلؤ -- الذي وصل الى مدينة الموصل، فمنع من دخولها[2] مما اضطره الى محاصرتها أياماً عديدة، حتى تمكن دخولها والاستيلاء عليها بمساعدة محي الدين بن زيلاق وجماعته الذين فتحوا الأبواب لهم خلسة[3] فلاذت تركان خاتون وياسان بالفرار والاحتماء بقلعة الموصل.

لاقى سكان القرى النصرانية التابعة للموصل في الوقت ذاته الكثير من الاعتداءات على يد القبائل الكردية التي اغتاظت من موقف هؤلاء من الصالح، فاحتلوا دير الرهبات في بيت خديدا (قرة قوش) وأجهزوا على عدد كبير منهم، كما احتشد المئات من الرجال الأكراد أمام دير مار متي[4] لمواجهة النصارى الذين احتموا فيه،

---

(1) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 141.

(2) الحوادث الجامعة: 345.

(3) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 283. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 345.

(4) دير مار متي: يقع في الجانب الشرقي من الموصل، على جبل متى وهو يشرف على رساتيق نينوى، وبين الدير والموصل مسافة سبعة فراسخ. ابن فضل الله العمري: مسالك الابصار في ممالك الأمصار: 1/ 299، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1942م تحقيق احمد زكي.

واضطر أهالي إحدى القرى النصرانية الى الهجرة الى اربل خوفاً من الفتك بهم، فلاقاهم احد امراء الكرد وقتلهم جميعاً[1].

وتدل هذه المواجهة على ان النصارى كانوا يفضلون حكم المغول على حكم الملك الصالح، بالرغم من تلك الحظوة الكبيرة التي كانوا قد تمتعوا بها لدى بدر الدين لؤلؤ[2].

وما يدعم هذا الرأي الوصف الذي أطلقه ابن العبري على سمداغو قائد الحملة المغولية على الموصل، اذ قال عنه (... الأمير الكبير سمداغو محب النصارى...)[3]. وفي كتابه الآخر قال عنه (... سمداغو المغولي المسيحي الفتى الجيد...)[4] وهذه الكلمات تدل على حسن العلاقة التي كانت قائمة بينهم وبين المغول بحيث دفعتهم الى تعظيم سمداغوا الذي فتك بالمسلمين وانزل الدمار بالموصل.

لم تستقر الأحوال في الموصل بعد هذه الأحداث، اذ سرعان ما وصلت الأخبار لعلم الدين سنجربان القوات المغولية المتواجدة في الجزيرة والتي يقودها تورين قد تحركت باتجاه الموصل لنجدة تركان خاتون وشحنتهم ومعاقبة أهل الموصل، فتجهز لهم علم الدين سنجر وخرج بعدد من قواته لملاقاتهم فاشتبك معهم ودارت معركة حامية بالقرب من نصيبين كانت الغلبة فيها للمغول، وذلك لقلة قوات علم الدين سنجر الذي قتل واندحرت قواته أمامهم[5].

توجه تورين بقواته بعد هذا النصر نحو جزيرة ابن عمر لتلقيه الأخبار بذهاب سيف الدين إسحاق صاحب الجزيرة لترك المدينة والالتحاق بأخيه الصالح ركن الدين في

---

(1) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 141 -142. نصري الكلداني، بطرس، ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان: 2/ 60، مطبعة دير الآباء الدومنيكان في الموصل.

(2) انظر الرويشدي: إمارة الموصل: 44-45.

(3) تاريخ مختصر الدول: 284.

(4) تاريخ الدول السرياني: 143.

(5) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 283-284. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 345.

مصر، فأقبل تورين للقبض عليه، فاحتشد أهالي المدينة وحاولوا دون ان يفتك به فمضى إسحاق هارباً الى مصر مع جمع كبير من الأكراد[1].

وخلال هذه الحوادث تحرك عز الدين أيبك صاحب العمادية على رأس قوة تعدادها ثلاثة آلاف فارس نحو جزيرة ابن عمر في محاولة منه لإخضاعها منتهزاً فرصة خلوها من اية سلطة بعد خروج سيف الدين إسحاق منها، فتصدى له تورين الذي كان قد تهيأ للزحف على الموصل من الجزيرة ودارت معركة عند نهر الدبس الذي ينحدر من جبال كردستان، تمكن فيها تورين من إنزال هزيمة كبيرة بقوات عز الدين[2].

وكان الملك الصالح ركن الدين في طريق عودته الى الموصل بعد ان أشار عليه أهل الموصل بالمجيء لإنقاذهم من خطر المغول[3] فانتهز المغول الذين أرسلهم هولاكو لتعزيز قواته في المنطقة فرصة قدوم الصالح فتأخروا عن المدينة ريثما يدخلها الصالح لتضييق الحصار عليه وتفويت أية فرصة هروبه[4].

---

(1) يذكر ابن العبري ان عدد الأكراد الذين هربوا مع إسحاق يبلغ سبعين ألف شخص. تاريخ الدول السرياني: 142. ويبدو ان هذا العدد مبالغ فيه ويخالف الحقيقة، ولو استطعنا التأكد من صحة العدد، فلكان من الأجدر بإسحاق وهذا العدد الهائل من الأكراد ان تقاتل تورين وقواته التي لم تزد كما يذكر ابن العبري عن (300) فارس بدلا من الهرب منهم خاصة وان إمكانية تحقيق النصر على جيش تورين كانت متيسرة بسبب التفوق الكبير في عدد المقاتلين من الأكراد التابعين لإسحاق على جند تورين. وهذا يدفعنا الى الشك في صحة هذه المعلومات. ويبدو ان سبب ذهاب ابن العبري الى هذا القول هو لغرض الانتقاص من إسحاق والأكراد ووصمهم بالجبن والفرار. ومن جانب آخر جاء كلامه هذا رداً على ما قام به إسحاق من الفتك بالنصارى وانتزاع الأموال منهم وتوزيعها على جنده لرفضهم التعاون معه ضد المغول.

(2) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 142.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام: 535 (مخطوطة).

(4) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 284.

وتذكر المصادر ان الملك الصالح كان قد اصطحب معه أثناء عودته الى إمارته أخاه علاء الدين وسيف الدين اللذين فارقاه في أثناء الطريق، وتوجها الى سنجار[1] في الوقت الذي توجه فيه الصالح الى الموصل، فدخلها في العشرين من ذي الحجة سنة 660هـ/ 1262م[2] وبصحبته سبعمائة فارس[3].

وبصدد تعداد هذه القوة يذكر البعض انه بلغ الألف فارس جاء بهم الصالح من القاهرة بيبرس لغرض جلب الخزائن والدفائن القديمة والجديدة التي كانت له الى مصر[4]. ويبدو ان هذه الرواية لا تتفق مع الهدف الذي جاء من اجله الصالح، فلو صحت لكان من الأجدر على الصالح ان يأخذ هذه الخزائن منذ بداية ذهابه الى مصر سنة 659هـ/ 1261م، خاصة وانه كان يملك من الوقت ما يساعده القيام بهذا العمل[5] دون ان يصطدم مع قوات المغول.

نزلت قوات المغول وعلى رأسها سمداغو مدينة الموصل في شهر ذي الحجة سنة 660هـ السابع من كانون الأول سنة 1261م فشرع المغول منذ هذا التاريخ بالإحاطة بالمدينة فأقاموا المتاريس، وابتنوا سوراً حول المدينة[6] ونصبوا عليه خمسة وعشرين

---

(1) ابو شامة: الذيل على الروضتين: 212–213. ابن شداد: الاعلاق الخطيرة 3/ ق1/ 209. المقريزي: السلوك: 1/ ق2/ 642.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام: 535–536 (مخطوطة).

(3) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 492. الذهبي: تاريخ الإسلام: 536 (مخطوطة).

(4) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 327. ميرخواند: روضة الصفا م5/ 262. خواندمير: حبيب السير: 3/ م1/ 100. وانظر كذلك إقبال: تاريخ مفصل إيران: 196.

(5) كان الفارق الزمني بين خروج الصالح من الموصل، ومحاصرة المغول للمدينة أكثر من خمسة أشهر، وكان هذا الوقت كافياً للصالح بجمع الخزائن ان كان قصده ترك الموصل نهائياً. انظر فيما يخص تحديد الفارق الزمني: ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر: 114–116 الذي حدد تاريخ خروج الصالح من الموصل. ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 143 فقد حدد تاريخ محاصرة المغول الموصل.

(6) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 143. تاريخ مختصر الدول: 284.

منجنيقاً[1] تساندهم قوات ماردين التي يقودها صاحبها الملك المظفر بن الملك السعيد الارتقي[2].

وتؤكد المعلومات بأن أهل الموصل قد التفوا حول الملك الصالح، وشرعوا في قتال المغول امتثالاً لأمر الصالح، فبادرت مجموعة منهم بمهاجمة قطاعات المغول خارج أسوار المدينة[3]، كما كانت منجنيقات الصالح ترمي المغول ليلاً ونهاراً[4]. وهذا ما جعل المغول يفكرون في الإسراع بعملية اقتحام سور المدينة والسيطرة على مرابض المنجنيقات لغرض تقليل الخسائر في جندهم والتمهيد لاحتلال المدينة، فقام حوالي ثمانون من شجعان المغول بتسلق أسوار الموصل فتصدى لهم جند الصالح وقضوا عليهم جميعاً، ورموا برؤوسهم الى قطعات المغول من أعلى الأبراج[5]، كما تمكنوا من جرح صدر الدين التبريزي – قائد احد الفرق المغولية – الذي توجه الى مدينة تبريز بأذن من سنداغو حيث التقى هولاكو وعرفه صمود أهل الموصل، فأرسل هولاكو قوة تعزيزية لسنداغو اليان لمواجهة جند الصالح[6].

على الرغم من ان جيش المغول المحاصر للموصل كان كبيراً جداً[7] قياساً الى جيش الصالح الذي لم يكن يزيد على (700) فارس في كل الأحوال كما تشير الى ذلك

---

(1) ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 88. المقريزي: السلوك: 1/ ق2/ 475.

(2) ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 88. الذهبي: تاريخ الإسلام: 536 (مخطوط).

(3) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 328. ميرخواند: روضة الصفا: م5/ 262.

(4) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 346-347.

(5) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 328. خواندمير: حبيب السير: 1/ م3/ 100.

(6) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 328. ميرخواند: روضة الصفا: م5/ 263.

(7) يمكن معرفة قوة هذا الجيش من تعداد الفرق المغولية المشتركة في حصار الموصل والتي يبدو ان عدد قواتهم يزيد على خمسة وعشرين الف جندي، وتشمل:

أ- الفرقة المغولية التي كان يقودها تورين وعدد أفرادها يزيد على (300) فارس. انظر: ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 142.

المصادر العربية[1] مضافاً اليهم سكان الموصل الذين شددوا من عزم الملك الصالح في الذود عن مدينتهم ومقاومة المحتلين ومحاولة إنزال أفدح الخسائر بهم.

ويبدو ان هذا الفرق الشاسع في عدد قوات الطرفين قد وضع الصالح في موقف دفاعي حرج خاصة بعد تجدد القتال الذي رافقه قلة في سلاح جند الموصل وازدياد في مضايقة المغول للمدينة[2] مما استوجب على الملك الصالح الاستنجاد بالأمير شمس الدين اقوش البرلي صاحب حلب وبالظاهر بيبرس صاحب مصر[3].

وتشير المصادر الى استجابة الظاهر بيبرس لطلب الملك الصالح حيث سير جيشاً من مصر بقيادة الأمير شمس الدين سنقر الرومي في الرابع من جمادي الأولى سنة 660هـ/ 1261م، وفي الوقت ذاته كتب الى دمشق يأمر صاحبها الأمير علاء الدين الحاج طيبرس بخروجه على رأس عسكر المدينة لنجدة الصالح[4] غير ان هذه المصادر أو غيرها

ب- قدر عدد جند الفرقة المغولية التي كان يقودها سنداغونيان بـ(10.000) آلاف جندي. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية: 13/ 234.

ت- قدر عدد جند الفرقة المغولية التي يقودها صدر الدين التبريزي بـ (10.000) آلاف جندي. انظر: رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 327.

ث- جيش ماردين الذي كان يقوده صاحب ماردين الملك المظفر، فلم تحدد المصادر عدد أفراده. انظر: ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 88. الذهبي: تاريخ الإسلام: 536 "مخطوطة".

ج- الفرقة المغولية التي أرسلها هولاكو الى الموصل لتعزيز جيش سنداغو ولم يحدد رشيد الدين عدد أفرادها. انظر: جامع التواريخ: م2/ 1/ 328.

(1) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 492. ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 88. الذهبي: تاريخ الإسلام: 536 "مخطوطة".

(2) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 492. الذهبي: تاريخ الإسلام: 536 "مخطوطة".

(3) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 210. ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر: 117 ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 88.

(4) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر: 114، 117. ابن واصل: تاريخ الواصليين: م2/ 1257، 1260 "مخطوطة" المقريزي: السلوك: 1/ ق2/ 467-468.

لم تشر الى أية مساهمة لهذه القوات مع الصالح، مما يؤكد عدم وصول اية مساعدات عسكرية من الظاهر بيبرس الى الصالح[1]. ويبدو ان تدوين هذا الخبر من قبل هذه المصادر قصد بها تضخيم حجم مساعدات مصر للموصل، لاسيما وان هذه المعلومات مستقاة من مؤرخين مصريين.

ومن ناحية أخرى نجد من يذكر بأن الظاهر بيبرس هو الذي أوعز الى شمس الدين البرلي بنجدة الملك الصالح[2] ولكن هذا الرأي لم يوفق للصواب، فالمعلومات المتوفرة تؤكد بأن شمس الدين البرلي كان مستقلاً في حلب، وعلاقته مع الظاهر بيبرس كانت في هذا الوقت متوترة للغاية، اذ كان قد تمرد عليه وخرج على طاعته[3]، وهذا ما يحدو بنا الى القول بان البرلي قد اتخذ قرار نجدة صاحب الموصل بشكل مستقل دون توجيه أو أمرة من الظاهر بيبرس.

ويبدو ان هدف البرلي من الاستجابة لطلب صاحب الموصل لنجدته كان لعدة أسباب أولاً سعياً للجهاد[4] وثانياً لإزالة حالة الخلاف بينه وبين الظاهر بيبرس، خاصة وان الظاهر سيقدر هذا العون المقدم منه لحليفه صاحب الموصل، وثالثاً لكسب ود الصالح ليكون حليفاً له في الملمات، ورابعاً لانتزاع بعض المناطق من إمارة الموصل وضمها لملكه لقاء مساعدته للصالح وهذا ما حدث فعلاً عندما دخل البرلي سنجار، فعزل واليها ونصب نفسه أميراً عليها[5].

---

(1) ومما يعزز هذا الرأي هو ان شمس الدين سنقر الرومي قام في هذا الوقت بالإغارة على إنطاكية وعدد من المواقع الصليبية شمالي الشام. المقريزي: السلوك: 1/ ق2/ 472 ويبدو ان هذه الغارة قد صرفت النجدة عن هدفها الرئيسي.

(2) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ ج1/ 328. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، 347.

(3) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 210. ابو الفداء: المختصر: 3/ 210-211. المقريزي: السلوك: 1/ ق2/ 465-466.

(4) ابن واصل: تاريخ الواصليين: م2/ 1260 "مخطوطة".

(5) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 210.

وعلى أية حال خرج شمس الدين البرلي صاحب حلب على رأس قواته لنجدة الموصل، فأرسل وهو في الطريق للملك الصالح رسالة مضمونها (أيها الملك الصالح ويا أهالي الموصل لا تفقدوا معنوياتكم فنحن آتون لمساعدتكم ومساعدة المسلمين)[1]. وقد وقعت هذه الرسالة صدفة في يد المغول[2] فارتابوا ودبَّ الخوف في قلوبهم، فعزموا على ترك مواقعهم والهرب لولا وصول الزين الحافظي – أحد الأمراء المنشقين على الملك الناصر الأيوبي صاحب الشام – الى المنطقة مبعوثاً من قبل هولاكو، فطلب هذا من سنداغونويان الاستمرار في الحصار واعلمه ان عساكر البرلي قليلة، وشجعه على ملاقاتهم، فكان يقول لهم (... المصلحة ان تلاقوهم لئلا توصفوا بالعجز فيطمع فيكم ...)[3] (... ويرحلكم، فلا يهولنكم جمعه ...)[4].

وبناءاً على ذلك أرسل سنداغونويان طائفة من عسكره تعدادها عشرة آلاف فارس الى سنجار لملاقاة جيش البرلي[5] الذي كان يتكون من ألف وأربعمائة فارس[6] ودارت بين الطرفين معركة في الرابع عشر من جمادي الآخرة سنة 660هـ/ 1262م انتهت بهزيمة البرلي جريحاً الى الشام ، ومقتل معظم أصحابه[7].

---

(1) ميرخواند: روضة الصفا: م5/ 263.

(2) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 328 –329. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، 347.

(3) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 492–493. ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 88. الذهبي: تاريخ الإسلام: 536.

(4) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 210.

(5) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 211. رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 329.

(6) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 210. ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 88. في حين تختلف باقي المصادر عن هذين المصدرين في عدد قوات البرلي، فذكر اليونيني عددهم بألف ومائتين فارس. ذيل مرآة الزمان: م1/ 493. والذهبي بألف فارس تاريخ الإسلام: 536. وابن كثير بسبعمائة فارس فقط. البداية والنهاية: 13/ 234.

(7) ابو شامة: الذيل على الروضتين: 218. ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 211. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 284. المقريزي: السلوك: 1/ ق2/ 475.

وهناك من يذكر ان هولاكو بعث رسالة الى البرلي بعد انكساره يطلب منه الحضور ليوليه بعض البلاد التابعة له، لكنه لم يستجب لهذا الطلب[1].

تركت هزيمة البرلي أثراً سيئاً على الامال التي كان يعلق عليها الملك الصالح لاسيما وانه كان يحث جنوده على الصمود ويعدهم بـ (ان البندقدار – أي الظاهر بيبرس – سيمدنا بالجيش من مصر حينما يعلم بالأمر[2] ولكن ظنه خاب بصاحب مصر الذي لم يسعفه بأية نجدة واضطرته هذه الحالة الى الاعتماد على الإمكانيات الذاتية في الدفاع عن المدينة. وتذكر المصادر ضعف تلك الإمكانيات حتى ذهب البعض الى القول (...ولم يكن فيها – أي الموصل – سلاح يقاتلون به ولا قوت يمسك رمق من فيها ...) [3] في الوقت الذي كان المغول قد ضيقوا الحصار عليها اشد مضايقة[4].

وفي محاولة من سنداغوتويان لتعجيل احتلال المدينة شن هجوماً واسعاً عليها، فاستمرت الحرب ستة أشهر اظهر المغول فيها عجزهم عن تحقيق أية نتيجة تذكر بسبب المقاومة العنيفة التي ابداها أهل الموصل[5] عند ذاك أدرك سنداغو (ان القتال والزحف لا يجديان نفعاً000) فأمر قواته بالكف عن القتال وتضييق الحصار على المدينة[6] الذي أدى الى حدوث قحط ووباء وانعدام الأقوات بشكل اضطر أهل الموصل الى أكل الميتة ولحوم

(1) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 493. ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 88.

(2) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 328.

(3) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 492. وفي معنى هذا النص: انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام: 536 " مخطوطة ". المقريزي: السلوك: 1/ ق2/ 475.

(4) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 163. اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 492. الذهبي: تاريخ الإسلام: 536 " مخطوطة ".

(5) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 329.

(6) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 347.

الكلاب[1] وقد انعكست هذه الحالة على وضعية المقاتلين الذين بدأت تضعف قواهم وتوهن عزائمهم[2] فاستغل المغول هذه الحالة، ولجأوا الى أسلوب المكر والخديعة حيث بعث سنداغونويان في مستهل شهر شعبان سنة 660هـ/ 1262م كتاباً الى الملك الصالح زعم فيه انه مرسل من عند هولاكو مضمونه (ابن الملك الصالح ما له عندنا ذنب، وقد وهبناه ذنب أبوه، فسير ابنك الينا نصلح أمرك مع القان) [3].

استجاب الملك الصالح لطلب سنداغونويان بعد ان وجد نفسه مضطراً الى ذلك بسبب ضعف حالته في القتال[4] وعجزه عن توفير الغذاء للناس الذين اخذوا في التوجه الى البيادر خارج السور بحثاً عن الغذاء فوقعوا طعماً لسيوف المغول[5] إضافة الى غلبة المماليك على رأيه[6] فأرسل ابنه علاء الدين، فلما وصل اليهم احتجزوه اثنا عشر يوماً دون ان يعلم الصالح عن مصير ابنه شيئاً سوى انه ظن انهم قد بعثوه الى هولاكو. وبعد هذه المدة كاتب سنداغونويان ثانية الملك الصالح يطلب منه تسليم البلد[7] وان امتنع فلا يوجه اللوم إلا لنفسه (فنحن ان دخلنا بلدك بالسيف قتلناك وقتلنا جميع من فيه) [8].

أمام هذا التهديد جمع الملك الصالح أهل البلد، وشاورهم في الأمر، فأشار عليه كبار أمرائه وأجناده — الذين كانوا قد تقاعسوا عن القتال بسبب ما فعله فيهم الحصار —

---

(1) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 329. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 347. ميرخواند: روضة الصفا: م5/ 263. اقبال: تاريخ مفصل إيران، 196.

(2) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 143.

(3) ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 89.

(4) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 494. ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 89.

(5) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 329.

(6) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 494. ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 89.

(7) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 494.

(8) ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 98.

بالخروج اليه، فقال لهم (هم لا شك يقتلوني ويقتلونكم باجمعكم بعدي) [1] فلم يأبه الأمراء بكلام الصالح، بل صمموا على خروجه اليهم[2].

وجد الصالح نفسه مضطراً للاستجابة لهذا الرأي، وقبل الشروع في الخروج الى المغول أرسل الصالح الى سنداغونويان من يقول له (اني نادم على ما فعلت، وسأخرج اليك لأتلافى ما فات ولكن بشرطين: إحداهما: لا تواخذني بأخطائي السالفة. وثانيهما: ان تبعث بي الى هولاكوخان، وتشفع لي عنده حتى لا يهدر دمي) [3]. فأمنه سنداغونويان على حياته[4].

وعلى الرغم من يقين الصالح ان سنداغونويان لن يلتزم بتعهده خرج اليه يوم الجمعة المصادف الخامس عشر من شعبان سنة 660هـ/ 1262م وهو في حالة تدمع لها العين، اذ ودع عائلته وأهل الموصل ولبس البياض، ولما وصل اليهم، قبض المغول عليه[5] ووضعوه تحت الحراسة، بعد ان رفض سنداغو للصالح بالمثول أمامه[6] ثم أمروا شمس الدين الباعشيقي بدخول المدينة ليعلن للناس الأمان لتظهر أهل الموصل بعد اختفائهم بناءً على ما اعلن، فشرع المغول في هدم أسوار البلد، وبعد ان اطمأن الناس دخل المغول المدينة[7] فأسروا أصحاب الحرف والبضائع[8] ثم اجهزوا على معظم سكان المدينة، ولمدة

---

(1) ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 98.

(2) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 494. ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 89.

(3) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 329 - 330.

(4) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 330.

(5) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 494. ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 89. المقريزي: السلوك: 1/ ق2/ 475.

(6) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 330.

(7) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 494. ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 89. المقريزي: السلوك: 1/ ق2/ 475.

(8) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 330.

تسعة أيام ابتداءاً من السادس والعشرين من شعبان[1] بحيث لم يفلت منهم سوى ألف شخص كانوا قد اختبأوا في الجبال[2].

اما عن مصير الملك الصالح وابنه فقد اختلفت الروايات عن مكان قتلهم وظروفه فهناك من يشير الى ان سنداغونويان بعد انتهائه من احتلال الموصل ذهب الى الخضرة مصطحباً معه الملك الصالح الذي قدمه الى هولاكو، وكان هولاكو غاضباً جداً على الصالح لتمرده عليه، فأمر بأن يوضع جسمه في جلدة شاة ملبوغ بالدهن ومربوط بالحبال بإحكام، ومن ثم ألقوه تحت شمس الصيف الحارة، فتحول الدهن بعد أسبوع الى ديدان أخذت تلتهم جسمه بشكل تدريجي حتى توفي بعد مضي شهر، ثم بعثوا بإبنه علاء الدين الذي كان عمره ثلاث سنوات الى الموصل حيث قطعوه الى نصفين، وعلقوه على ضفة نهر دجلة[3]. وهناك من يذكر ان الملك الصالح قد قتل من قبل المغول قبل وصوله الى هولاكو وان مقتل علاء الدين قد تم في الموصل بعد دخول المغول اليها مباشرة – أي ان وقت قتله قد تم قبل أبيه –[4].

أنهى سنداغونيان احتلاله مدينة الموصل في شهر رمضان سنة 660هـ/ 1262م، ومن ثم توجه بقواته لاستكمال احتلال بقية المدن التي كانت تابعة لإمارة الموصل، فتوجه نحو جزيرة ابن عمر[5] التي كانت صاحبها سيف الدين إسحاق قد عقد النية في التوجه

---

(1) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 494- 495. ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 89. المقريزي: السلوك: 1/ ق2/ 473. ويذكر ابن العبري ان عملية القتل استغرقت ثمانية أيام: تاريخ مختصر الدول: 284.

(2) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 330.

(3) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 143. رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 330. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 347. خواندمير: حبيب السير: 1/ م3/ 101.

(4) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 494. ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 90. الذهبي: تاريخ الإسلام: 536 مخطوطة. المقريزي: السلوك: 1/ ق2/ 475. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: 5/ 383.

(5) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 143. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 348.

اليها أثناء عودته مع أخيه الملك الصالح من مصر، ولكنه في الطريق غير اتجاهه نحو الشام خوفاً من مهاجمة المغول له[1]. وكان المغول خلال ذلك قد أطبقوا بحصارهم على المدينة بعد ان ابتنوا سوراً حولها، ومن ثم شرعوا في محاربة سكانها طوال فصل الشتاء، ومع ذلك فشلوا في دخولها لولا ان حنيشوع مطران الجزيرة ساهم أثناء عودته من عند هولاكو في تطييب قلوب أهلها، حينما أكد لهم بأنه يحمل مرسوم أمان لهم من عند هولاكو[2].

وبناءاً على ما جاء في هذا المرسوم فتح أهل جزيرة ابن عمر الأبواب فدخل سمداغو بقواته المدينة وأمر بتخريب الأسوار دون ان يتعرض لسكانها، ثم أرتحل عنها فأقام في وادي الشمام القريب من مدينة اربل[3].

وفي سنة 661هـ/ 1263م عقد سنداغونويان العزم لفتح العمادية، وقد تحقق له هذا الهدف دون ان يلجأ الى القوة، إذ أن سيف الدين إسحاق صاحب الجزيرة كان قد أرسل خلال هذه الفترة احد عبيده من مصر الى مملوكه جمال الدين جولبغ متولي جزيرة ابن عمر من قبل المغول يطلب منه ان يبعث له الذهب الذي كان قد أخفاه في الجزيرة، فأخرج جولبغ الذهب وأعطاه للعبد الذي توجه به الى العمادية ليقرأ أمراً أوصاه به سيف الدين الى عز الدين ايبك صاحب العمادية، فاستغل عز الدين هذه المناسبة ليكسب ود المغول ليقروه على اماراته، فتوجه الى سند اغونويان حيث كشف له علاقة جمال الدين جولبغ مع سيف الدين إسحاق الذي كان مقيماً في مصر، فأمر سندوغونويان بقتل جولبغ، وكافأ عز الدين بأن أبقاه على حكم العمادية[4] وبذلك دخلت العمادية في طاعة المغول بطريقة سلمية سنة 661هـ/ 1263م.

---

(1) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر: 117. اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 495.

(2) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 143.

(3) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 143. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 348.

(4) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 144.

ان الملاحظ على سكان الموصل ومدن الجزيرة الأخرى انهم رفضوا الحكم المغولي واستطاعوا لفترة وجيزة إظهار المقاومة العنيفة، وكان بإمكانهم تسجيل بعض الانتصارات على قوات المغول عن طريق تحقيق الوحدة السياسية والعسكرية فيما بينهم، الا ان غياب دور القائد التاريخي في المعركة، وانفرط عقد الوحدة بين تلك المدن، فضلاً عما لعبته الخيانة الشخصية من دور واضح في تصدع وحدة المقاومة الجماهيرية أدى لى انتصار المغول على المسلمين وحكم بلادهم.

ثالثاً : موقف المماليك من الاحتلال المغولي للموصل والجزيرة الفراتية

نظراً لوقوع الموصل وبلاد الجزيرة تحت النفوذ المغولي أصبحت أملاكهم مجاورة لدولة المماليك في مصر والشام. وضمن إطار سياسة التوسع والنزعة العدوانية التي انتهجها المغول تجاه العالم الإسلامي، وما يقابلها لدى المماليك من سياسة تحرير الأراضي الإسلامية التي وقعت تحت الاحتلال المغولي، فقد أصبح وشيكاً حدوث صراع بين المغول والمماليك.

فضلاً عن هذا فقد ساهم موقف كل من النصارى والمسلمين في الجزيرة من هاتين القوتين في رفع حدة الصراع، فكان النصارى في الموصل والجزيرة ينظرون الى الحكم المغولي نظرة ارتياح، ومن الطبيعي ان هذه النظرة كانت تنطوي على رغبة في الحصول على وضع أفضل مما كانوا عليه قبل الاحتلال، وعززت هذه الرغبة أحداث الاحتلال المغولي لبغداد والموصل[1] فكانوا سنداً لتثبيت حكمهم[2] في حين تجلى موقف المسلمين في مناهضة موقف النصارى المؤيد للمغول، والذي نتج عنه حالة من الصراع الطويل ما بين المسلمين من طرف والمغول والنصارى من طرف ثان، وحتم هذا الموقف على أمراء

---

(1) القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية: 206-307.

(2) معظم الذين حكموا الموصل في عهد المغول كانوا من النصارى. انظر الفصل الثالث.

المسلمين الذين استولى المغول على إماراتهم تحريض المماليك لتقديم المساعدة لهم لطرد المغول من بلادهم، ولمعاقبة من وقف من أهل البلاد مع المغول[1].

ويمكن القول ان دعم المماليك للقوى الإسلامية في الجزيرة قد توافق مع هدفهم في هذا الإقليم الذي يتمثل بتحرير الأراضي العربية الإسلامية من السيطرة الأجنبية. ولهذا خططوا على إجلاء القوات المغولية عنها لغرض ضمها الى دولتهم[2]، وان هذا الهدف لا يتحقق إلا من خلال القوى الإسلامية في الجزيرة، والتي ستؤمن لهم الحصول على المعلومات الضرورية من تحركات المغول وأحوالهم وأسرار مشروعاتهم التوسعية ومدى استعداداتهم ومعرفة تحركاتهم العسكرية لغزو بلاد الشام[3] فضلاً عن انهم يمثلون القوى الاحتياطية التي ستؤمن لهم الدعم اللازم لقواتهم عند القيام بأي تحرك عسكري في الجزيرة يستهدف المغول سواء كان ذلك عن طريق التمرد على المغول لمشاغلتهم وإحباط أهدافهم في المنطقة[4] أم الإغارة على مواقعهم وتدبير الحيلة للإيقاع بالمتعاونين معهم[5].

---

(1) انظر: ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 414.

(2) ما يفسر هذا القول هو ما قاله الظاهر بيبرس لرسول ابغا. انظر: اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م2/ 407. وما قاله السلطان الاشرف خليل بهذا الخصوص. بنظر: مصطفى طه: مغول إيران بين المسيحية والإسلام: 75-76، دار الفكر العربي، مصر.

(3) القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية: 357، 409. ويمكن معرفة أهمية دور القوى الإسلامية في الجزيرة في نقل المعلومات عن تحركات للمغول للمماليك من جواب السلطان الناصر محمد على رسالة غازان والتي جاء فيها (.... ولم يعلم – اي غازان – انه لو تقلب في مضجعه من جانب الى جانب، أو خرج من منزله راجلاً أو راكباً، كان عندنا علم من ذلك في الوقت القريب ...) انظر نص الرسالة: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: 8/ 142- 146.

(4) ما يفسر هذا القول قيام الأكراد في جبال الجزيرة بالتمرد على المغول سنة 712هـ لغرض مشاغلة قوات المغول الزاحفة على الشام، وأدى هذا التمرد الى توجيه بعض فرق الحملة المغولية نحوهم. القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية: 168.

(5) من هذه التدابير والحيل اشتراك صاحب ميمساط مع السلطان المملوكي في الايقاع ببعض المتعاونين مع المغول من غير المسلمين والذين كانوا أكثر وطأة على المسلمين من المغول. انظر:

وضمن هذا المنظور يمكن ان نفسر المساعدات التي قدمها المماليك لأولاد بدر الدين لؤلؤ عندما اعلنوا ثورتهم على المغول، وحينما تمكن المغول من إجهاض هذه الثورة اخذ الدعم المملوكي شكلاً آخر تمثل بقيامهم بالإغارة بقوات نظامية وغير نظامية على مواقع المغول في الجزيرة وعلى الإمارات المتعاونة معهم لاسيما إمارة ماردين الارتقية.

وتحققت اولى هذه الغارات التي كانت رد فعل على الاحتلال المغولي للموصل سنة 660هـ/ 1262م بقيام فئة من أعوان المماليك في حلب والجزيرة وبتكليف من الظاهر بيبرس بإحراق أعشاب بلاد آمد ومروجها (فعمت النار مسيرة عشرة أيام حتى صارت كلها رماد، وعم الحريق بلاد خلاط، وقطع السنبل وهو اخضر)[1] وقصد من هذه الخطة إضعاف المغول وعدم تمكينهم من التزود بالأغذية والاعلاف من الجزيرة مما يحتم عليهم الانسحاب من هذا الإقليم خوفاً من ان تعم المجاعة وتنتشر الأمراض بين قواتهم.

وفي سنة 670هـ/ 1271م جهز المماليك الأمير علاء الدين طيبرس الوزيري بعسكر مع جماعة من العرب بصحبة الأمير عيسى بن مهنا شيخ مشايخ قبيلة آل فضل للإغارة على حرّان، ولما وصل خبر هذه القوة الى نواب المغول في حرّان خرجوا منها والقوا أسلحتهم واستسلموا من غير أية مقاومة تذكر، فقبضوا عليهم وكانوا أكثر من ثمانين رجلاً[2] ثم سار طيبرس الى حرّان، فاستقبلهم محاسن بن المعوالي شيخ حرّان بصحبة جماعة كبيرة من أهل البلد بالترحاب، وقدم مفتاح حرّان لطيبرس، وقال له (البلد بلد مولانا السلطان)[3] فشكر طيبرس الشيخ ابن المعوالي على موقفه هذا وطيب قلوب

ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات: م7/ 4-5، المطبعة الأمريكية ببيروت، 1942م، تحقيق قسطنطين زريق، المقريزي: السلوك: 1/ ق2/ 611.

(1) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر: 136. ابن واصل: تاريخ الواصليين: م2/ 1293-1294 مخطوطة. المقريزي: السلوك: 1/ ق2/ 473.

(2) ذكر اليونيني ان عددهم ستون رجلاً. ذيل مرآة الزمان: م2/ 468.

(3) ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 166.

أهل حرّان. وما ان عاد طيبرس الى الشام حتى وصلت جماعة من المغول الى حرّان في الخامس والعشرين من رمضان من نفس السنة، فشرعوا في تخريب سور المدينة ومعظم دورها وأسواقها ونهبوا أموال أهلها وهدموا جامعها واسروا من بقي من أهلها، فغدت حرّان خربة، وقد حدث كل ذلك لموقف أهلها المؤيد للمماليك[1].

وسجلت عساكر المماليك موقفاً واضحاً سنة 673هـ/ 1674م حيث هاجمت قوة منهم رأس العين، فغنموا غنائم كثيرة بعد ان أوقعوا الرعب بجند المغول الذين ولوا منهزمين[2]، واخذت بعض عساكرهم بالتقدم باتجاه مدينة دنيسر التابعة لإمارة ماردين يتقدمهم فخر الدين طغاي البحري، فقتلوا ثلاثين شخص واسروا عدداً من نصارى المدينة[3] وقد جاءت هذه الغارة رداً انتقامياً على تعاون صاحب ماردين مع المغول على حساب المماليك[4].

استمرت غارات المماليك وعرب الجزيرة على مواقع المغول حتى وصف رشيد الدين ذلك بقوله ان المهاجمين كانوا يدمرون (... ديار بكر ... ويأكلون الغلال، ويثيرون الفتن – وإباقاخان – كان يتألم من أعمالهم) [5].

وما ان حلت سنة 681هـ/ 1282م حتى خفت حدة هذه الغارات على اثر إعلان السلطان تكودار بن هولاكو إسلامه وتسمية نفسه باسم احمد، وعرض على السلطان المملوكي المنصور سيف الدين قلاوون عقد الصلح بينهما، فأجابه المنصور الى ما طلب اليه من الصلح[6] ضمن شروط منها ان تفوض ولاية الموصل وبغداد وسنجار الى ابن

---

(1) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 63. ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 156-167. الكتبي: عيون التواريخ: 20/ 420.

(2) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر: 436. ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات: م7/ 31.

(3) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م3/ 86-187.

(4) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م3/ 114. ابن كثير: البداية والنهاية: 13/ 269.

(5) جامع التواريخ: م2/ 2/ 82.

(6) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات: م2/ 248-249.

بدر الدين لولؤ، فرضي احمد تكودار بذلك، ولكن حالت الظروف دون تحقيق ما اتفق عليه بسبب مقتل تكودار من قبل أمرائه[1].

انفجر الصراع ثانية بين المماليك والمغول، وبشكل أكثر ضراوة مما كان عليه من قبل وقد استغل المماليك حادثة مقتل تكودار وانشغال أمراء المغول بالتنازع على السلطة[2] بالإغارة على الجزيرة لنشر الرعب والخوف في صفوف القوات المغولية والمتعاونين معهم، فقد انقض سنة 683هـ/ 1284م جيش من المماليك يساندهم متطوعون من الأكراد والبدو من العرب على قرى اربل، فنهبوا وقتلوا واسروا[3] ثم عاودوا في السنة التالية هجومهم ثانية فأغاروا على قرى ماردين والموصل واربل ودخلوا مدينة الموصل حيث نكل المهاجمون بالمغول والمتعاونين معهم ثم انقلبوا عائدين مع أسراهم الى مواقعهم[4].

وتوالت هذه الهجمات بحيث لا تكاد تمر سنة من غير ان تشن غارة أو أكثر على مواقع المغول في الجزيرة[5] وفي الوقت الذي شعر فيه المماليك بأن كل هذه الهجمات لم تحقق أهدافهم في الجزيرة استجابوا لطلب المغول في تقرير الصلح بينهم، بعد ان وجدوا ان الشعار الذي كان قد رفعوه لتحرير البلاد الإسلامية من المغول قد خف تأثيره على

---

(1) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 269. الصائغ: تاريخ الموصل: 1/ 241.

(2) عن تنازع أمراء المغول على السلطة. انظر: ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور: 271، ط1، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1961م، تحقيق مراد كامل.

(3) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 386-387.

(4) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 387-388. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 447. ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام: 134-136.

(5) وللمزيد من المعلومات عن ذلك انظر: ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 387-388، 393، 395-396، 414. ابن حبيب، حسن بن عمر بن حسن: تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه: 1/ 218، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976م، تحقيق محمد محمد امين، الذهبي: دول الإسلام: 2/ 221. المقريزي: السلوك 1/ ق3/ 877-878: 2/ ق1/ 147. ابن كثير: البداية والنهاية: 14/ 74.

الناس، اذ لم يعد ممكناً تحريك المسلمين في الجهاد ضد المغول وذلك لاعتناق المغول الإسلام[1].

وقد بدأت أولى مساعي الصلح في سنة 717هـ/ 1317م[2]، واستمرت المفاوضات بين الدولتين[3] حتى تقرر الصلح بشكل نهائي سنة 723هـ/ 1323م[4] فلم نعد نسمع بعد هذا التاريخ ما يشير الى أي تحرك من جانب المماليك في الجزيرة قد يعكر صفو علاقتهم مع المغول.

ان سلاطين المماليك اخذوا على عاتقهم سياسة تحرير الأراضي العربية الإسلامية عن طريق تعبئة السكان ووضعهم في مرحلة الجهاد ضد المغول مستغلين كل الإمكانيات المتاحة لإنجاح هذه المهمة، وبهذا كانوا قد حققوا للقوى العربية والإسلامية مهمة الحفاظ على الحضارة العربية وتراثها الخالد الإسلام، ويعكس هذا استمرار السكان في جعل راية الجهاد الى جانب عملية البناء الحضاري، واثبت الجميع قدرتهم على تحمل المسؤولية في هذا الطريق على الرغم من حملات التشويه والهدم الذي تعرضت له المنطقة بما فيها الجزيرة الفراتية وسلسلة الحروب التي قادها ضدهم المغول، فاستطاعت الحضارة العربية إثبات شخصيتها المتميزة بما فيها الديمومة والاستمرار في الشموخ والبقاء وهذا ما سنلاحظه في الجوانب الحضارية من هذه الدراسة لاحقاً.

---

(1) القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية: 417.

(2) المقريزي: السلوك 2/ ق1/ 175.

(3) انظر ابو الفداء: المختصر: 4/ 92-96.

(4) ابن ايبك: كنز الدرر: 9/ 312، المقريزي: السلوك 2/ ق1/ 242، 245، بارتولد: دائرة المعارف الإسلامية: مادة ابو سعيد: م1/ 349.

الفصل الثالث

الإدارة المغولية في الموصل والجزيرة الفراتية

الفصل الثالث

أولاً : مكانة الجزيرة الفراتية من التقسيمات الإدارية المغولية

كانت الإمبراطورية التي كونها المغول قد توزعت في بداية النصف الثاني من القرن السابع الهجري الى أربع ممالك تنسب الى أولاد جنكيزخان وهي:

1- مملكة تولوي: وشملت حكومتهم بلاد منغوليا والصين، واتخذت هذه المملكة قراقورم عاصمة لها ثم انتقلت العاصمة الى بكين وامتد حكم بعض شعب هذه الأسر الى سنة 1043هـ/ 1623م.

2- مملكة جغتاي: حكمت بلاد ما وراء النهر من سنة 724-760هـ/ 1323-1358م.

3- مملكة جوجي: وتسمى بمملكة القبيلة الذهبية، وكانت هذه المملكة مؤلفة من شعب متعددة أشهرها شعبة باتو حفيد جوجي بن جنكيزخان، وتضم هذه الشعب الخانات الكبار للقبيلة الذهبية، والتي حكمت منطقة القبجاق من سنة 621-760هـ/ 1223-1358م اما باقي الشعب فحكمت المناطق المحيطة بالقبجاق، مثل بلغاريا وقازان وبلاد الازبك.

4- مملكة الايلخانيين[1] 654-736هـ/ 1256-1335م وتنسب الى مؤسسها هولاكو الذي بدأ حكمه سنة 654هـ/ 1256م[2] واستكمل سلطانه عندما اتخذ لنفسه لقب ايلخان تمييزا لمركزه من مقام أخيه قوبيلاي خان، وأصبح

---

(1) لين بول: تاريخ الدول الإسلامية: 2/ 472، 480، 486، 487، 507، كاهن، كلود: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية: م1/ 256، ترجمة بدر الدين القاسم، ط1، 1972م.

(2) زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة: 362.

هذا اللقب علماً يطلق على سلالته التي توارثت الحكم من بعده، وقد اتخذ هولاكو من مراغه عاصمة لملكه[1].

واشتملت مملكته على الأقاليم التالية[2]:

1- إقليم خراسان: وعاصمته نيسابور.

2- إقليم بلاد الجبال: وعاصمته أصفهان.

3- إقليم المشرق العربي: وعاصمته بغداد.

4- إقليم أذربيجان: وعاصمته تبريز.

5- إقليم خورستان: وعاصمته تستر اوتشتر.

6- إقليم فارس: وعاصمته شيراز.

7- إقليم الروم: وعاصمته قونيه.

8- إقليم ديار بكر: وعاصمته الموصل.

9- أقاليم أخرى أقل أهمية مثل الديلم وطبرستان ومازندان .

---

(1) المقريزي: السلوك: 1/ ق2/ حاشية 541. القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية: 27.

(2) أبو الفداء: المختصر: 4/ 3. البدر العيني: السيف المهند: 23، 182. العمري محمد أمين بن خير الله الخطيب: منهل الأولياء ومشرب الأصفياء: 1/ 128 ؛ مطبعة الجمهورية، الموصل، 1957م، تحقيق سعيد الديوه جي.

لم تكن هذه التقسيمات واضحة المعالم[1] خاصة ما يتعلق بإقليم ديار بكر، ذلك لأن حكومة هذا الإقليم قد ضمت الى إدارتها ديار مضر وربيعة[2]، كما ضمت اليها اربل[3] وكانت اربل تعد جزء من إقليم بلاد الجبل[4].

وبذلك خضعت بلاد الجزيرة الفراتية الى إدارة واحدة على رأسها نائب الايلخان.

ثانياً: الإدارة المغولية في الجزيرة الفراتية:

أ- نواب المغول في ديار بكر والجزيرة الفراتية[5]:

حظيت الجزيرة بأهمية استثنائية لدى المغول نظراً لموقعها الجغرافي المجاور لمراكز القوى الكبرى آنذاك[6] وقد برزت هذه الأهمية منذ عهد جنكيزخان الذي عين نواباً له فيها، على الرغم من ان هذا الإقليم لم يكن قد خضع له آنذاك[7]. وفي سنة

---

(1) يلاحظ ان حكومة العراق قد ضمت الى إدارتها مدينة تستر عاصمة إقليم خورستان سنة 672هـ. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 376. وحكومة خراسان قد ضمت اليها مازندران وإقليم بلاد الجبل. القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية: 145.

(2) انظر: رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 338. م2/ 2/ 12.

(3) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 134.

(4) ابن سعيد المغربي: كتاب بسط الأرض في الطول والعرض: 91، معهد مولاي حسن، المغرب، تطوان 1958، تحقيق خوان قرنيط. ابو الفداء: تقويم البلدان: 412-413.

(5) غالباً ما كانت ديار ربيعة ومضر تقع تحت مسؤولية نواب المغول في ديار بكر. انظر: رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 338، م2/ 2/ 12. الشيرازي، فضل الله بن عبد الله: تاريخ وصاف الحضرة وأحوال سلاطين مغول: م2/ 237. طهران: كتابخانة، 1338هـ ش.

(6) مراكز القوى الكبرى تشمل: دولة المماليك في مصر والشام، دولة أرمينية المسيحية في آسيا الصغرى، الإمبراطورية البيزنطية.

(7) عين جنكيزخان ابنه تولوي ليكون ملك على ما يؤمل أخذه من ديار بكر والعراق. الرمزي: تلفيق الأخبار: 1/ 358.

650هـ/ 1252م فوض منكوخان نيابة الجزيرة للأمير أرغون[1] بعد ان أعلن ملوكها طاعتهم للمغول، ويبدو ان مهمة أرغون في الجزيرة كانت في كثر من الأحيان لا تتعدى الجوانب المالية[2].

وما ان أكمل المغول احتلالهم للموصل سنة 660هـ/ 1262م حتى غدت الجزيرة ولاية مغولية يحكمها نواباً يعينهم الايلخان وعادة ما يكونون من المقربين له، وكان هؤلاء أشبه بالحاكم العسكريين اذ كانت مسؤولياتهم لا تتعدى شؤون الدفاع وتأمين حماية البلاد ومراقبة الحكام المحليين وضمان طاعتهم للايلخان[3].

لم تتوفر لنا معلومات وافية عن أعمال نواب المغول في الجزيرة، ما خلا ذكر أسماء عدد من هؤلاء النواب وسنوات حكمهم فقد عين هولاكو في آخر عهده الأمير تودان[4] على نيابة ديار بكر وربيعة حتى شاطئ الفرات[5] وفي سنة 663هـ/ 1265م عهد اباقاخان النيابة للأمير دور باي نويان بدلاً من تودان الذي كان قد كلف بالعمل في بلاد الروم[6]. ويبدو ان هذا قد استمر في نيابة الجزيرة الى ان تولاها ابنه الأمير يوراجوبن دورباي في عهد الايلخان احمد تكودار 680-683هـ/ 1281-1284م[7] وفي سنة 683هـ/ 1284م اغتيل احمد تكودار ونصب مكانه ارغون[8] فقام هذا بإجراء تغييرات متعددة في حكام

---

(1) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 262. رشيد الدين: جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيزخان: 215.

(2) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 262.

(3) القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية: 147، 195-196.

(4) اخطأ براون في القول بان تودان هو ابن هولاكو. تاريخ الأدب في إيران: 2/ 574-575 والصحيح هو ان تودان بايجو بن مواتوكان بن جغتاي. رشيد الدين: جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيزخان: 138.

(5) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 1/ 338.

(6) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 2/ 12.

(7) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 2/ 89.

(8) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: 7/ 362.

الأقاليم، ولكي لا يسمح للمشتبه بولائه له من التمرد عليه، ولتشديد الرقابة عمد الى إشراك أكثر من أمير في مسؤولية الولاية، فعين كل من جوشكاب وبايدو وأروق ليحكموا ولايتي ديار بكر وبغداد[1] وبسبب اشتراك أروق وجوشكاب في مؤامرة ضد أرغون دبرها الوزير بوقا أخو أروق[2] ولكثرة الشكاوي التي قدمت لأرغون ضد أروق من أهل ديار بكر لتعسفه في جمع الضرائب ولاختلاسه أموال الولاية[3] كل ذلك كان دافعاً في إلقاء القبض عليهما، وتم قتلهما بأمر من أرغون سنة 688هـ/ 1289م[4].

وفي هذا الوقت كان قد ارتفع شأن سعد الدولة بن الصفي اليهودي عند أرغون الذي اسند له الوزارة، فاستغل هذا منصبه واخذ في توزيع مناصب الدولة على إخوته، فكانت ديار بكر ومضر من مسؤولية أمين الدولة[5].

ويبدو ان مصير أمين الدولة كان مرتبطاً الى حد كبير بمستقبل بقاء سعد الدولة، لذلك ما ان قتل سعد الدولة سنة 690هـ/ 1291م بسبب اتهامه بقتل أرغون بالسم حتى بطش المغول بإخوته بما فيهم أمين الدولة الذي قتل على يد الأمير بايدو[6].

وتولى الأمير سبغا نيابة ديار بكر في عهد السلطان غازان، ولم يبق في حكمها فترة طويلة اذ عزل سنة 695هـ/ 1296م وعين بدلاً منه الأمير بولاي، فتولى هذا مهمة القضاء على الأمراء المنشقين على غازان والذين كانوا قد اتخذوا من الجزيرة ملجأ لهم[1]

---

(1) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 2/ 128. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 437.

(2) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 2/ 140-149.

(3) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 2/ 143. غنيمة، يوسف رزق الله، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق: 142، ط1، بغداد، 1924م.

(4) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 2/ 141، 147-149. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 457.

(5) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 394. رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 2/ 150-152. الشيرازي: وصاف الحضرة: م3/ 237.

(6) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 399. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 466 وسماه أمير الدولة. العزاوي، عباس: تاريخ العراق بين احتلالين: 1/ 346، مطبعة بغداد، 1935م.

وفي حدود سنة 698هـ/ 1299م كان الأمير جنكلي بن محمد بن البابا بن جنكلي بن خليل يحكم ديار بكر[2] وكان هذا يكاتب المماليك ويطلعهم على أخبار المغول، وخوفاً من افتضاح أمره لدى غازان هرب من ديار بكر سنة 703هـ/ 1303م فاستقبله المماليك بترحاب[3].

أعقب جنكلي على نيابة ديار بكر الأمير قبرنو[4] ثم أعقبه الأمير انتوين بك باصمبش واستمر هذا في نيابة ديار بكر حتى سنة 709هـ/ 1309م[5] ورتب بعده الأمير سيف الدين سوتاي الذي بقي على نيابة ديار بكر حتى وفاته سنة 732هـ/ 1331م[6] وقد عرف هذا بشجاعته ودهائه لوصفه صاحب عقد الجمان بانه كان (... من اكبر المغل

---

(1) ابن أيبك: كنز الدرر: 9/ 9، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة: 1960، تحقيق هانس روبرت، ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات: 8/ 203–204 ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: 5/ 547 وسماه مولان.

(2) المقريزي: السلوك: 1/ ق2/ 871.

(3) ابن أيبك: كنز الدرر: 9/ 113؛ ابن كثير: البداية والنهاية: 14/ 29. العسقلاني، شهاب الدين احمد بن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: 2/ 76–77، 4/ 36، دار الكتب الحديثة، القاهرة، تحقيق محمد سيد جاد الحق. جيهرل: نصوص عن المماليك: 138، ليدن، 1919م، تحقيق زيتر شتاين.

(4) المقريزي: السلوك: 1 / ق2/ 955–956.

(5) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: نكت الهميان في نكت العميان: 161–162، مكتبة المثنى بغداد، 1911م. العسقلاني: الدرر الكامنة: 2/ 275. وقد اعتمدت سنة 709هـ نهاية لحكمه لأن سوتاي عين فيها. المقريزي: السلوك: 2/ ق1/ 55.

(6) حافظ ابرو، شهاب الدين عبد الله بن لطف الله بن عبد الرشيد: ذيل جامع التواريخ: 154، شركة تضامني، علي طراني، 1317 هـ تحقيق خانبابابياني. المقريزي: السلوك: 1 / ق1/ 55. العسقلاني: الدرر الكامنة: 2/ 275.

واخبثهم واقرسهم ...) [1] وقال ابن تغري بردي عنه (كان ملكاً جليلاً ذا رياسة ووقار وعمر طويلاً، وكان من اجل ملوك ديار بكر) [2].

أعقب سوتاي ابنه حاجي طوغاي، فكان هذا عوناً للمسلمين امام همجية المغول، وقد جرت بينه وبين سلطان المماليك الناصر محمد بن قلاوون 693-741هـ/ 1294-1340م عدة اتصالات عرض فيها الناصر على طوغاي عقد تحالف ومصاهرة، فأجاب طوغاي بان الوقت ليس مناسباً للتفكير في الزواج، ورجاه ان يبعث له بضعة آلاف من جنده الى حلب لمساعدته عند الضرورة لمواجهة أعدائه من جماعة علي بادشاه خال السلطان ابو سعيد بهادر[3].

وبوفاة السلطان ابو سعيد بهادر سنة 736هـ/ 1335م عمت الفوضى السياسية أقاليم الدولة المغولية ومنها بلاد الجزيرة بسبب تنافس الأمراء على السلطة، فتمكن الأمير حسن الكبير الجلائري[4] من الاستيلاء على إيران والعراق وما يليها من ديار بكر وربيعة، وأسس في هذه البلاد ما عرف باسم الدولة الجلائرية، اما بقية ديار بكر فقد خضعت للأمير إبراهيم شاه بن بارنباي بن سوتاي[5].

---

(1) العزاوي، عباس: تاريخ العراق بين احتلالين: 1/ 413 نقلاً عن عقد الجمان.

(2) النجوم الزاهرة: 9/ 296.

(3) العسقلاني: الدرر الكامنة: 2/ 322. سرور: دولة بني قلاوون في مصر: 213، 215-216.

(4) ضبط نسبه الديار بكري على النحو الاتي: الشيخ حسن بن أمير حسين بن اق بوقا بن ايلكان جلاير ابن أخت السلطان محمد خدابنده. ملحق خلاصة السير 49.

(5) ابن بطوطة، ابو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي: رحلة ابن بطوطة: 231، دار صادر، بيروت، 1964م. ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف: 44. القلقشندي: صبح الأعشى: 4/ 421. العسقلاني: الدرر الكامنة: 1/ 20.

ب – حكام المدن:

1- الموصل

أصبحت الموصل بعد احتلالها من قبل المغول العاصمة الإدارية لإقليم ديار بكر والجزيرة[1]. وكان حكامها الذين يتم تعيينهم من قبل الايلخان مباشرة من أبناء الموصل وأعمالها، باستثناء الحكام الذين هم من أصل مغولي.

لم يعتمد المغول عند اختيارهم حكام الموصل والجزيرة على من تتوفر فيه صفة النزاهة وعراقة النسب والموهبة السياسية والإدارية بل اعتمدوا في الاختيار على من يدفع لهم أموالاً أكثر، ومن يقدم لهم خدمة متواصلة وخضوعاً تاماً، وعلى حد تعبير ابن العبري فانهم (... لم يخصوا بالإكرام من يستحق الإكرام بل لم يولوا المدن التي احتلوها من تسلسل الأسر الملكية. اذ لا فرق عندهم بين العبد والحر والمؤمن والكافر والمسيحي واليهودي فهم يسوسونهم بصولجان واحد. واذا اختلف اليهم احد وقدم لهم شيئاً من المال التقفوه منه وعززوه ولبوا طلبه مهما كان سواء أكان متضلعاً خبيراً أم جاهلاً غبياً. انما يطلبون خدمة متواصلة وخضوعاً وانقياداً تاماً وكفى ...)[2].

قدمت لنا المصادر أسماء حكام الموصل وبعض أعمالهم فذكر ان سند اغونويان عين سنة 660هـ/ 1262م الأمير شمس الدين محمد بن يونس الباعشيقي على حكم الموصل مكافأة له على ما قدمه من معلومات ساعدت المغول في احتلال الموصل[3]، غير انه قتل سنة 661هـ/ 1263م بأمر من هولاكو بسبب افتضاح أمره في سرقة أموال الخزينة، ودفعه مبلغ ستة عشر ألف دينار لشحنه المغول على الموصل رشوة مقابل تعهد هذا

---

(1) ابو الفداء: المختصر: 4/ 3.

(2) تاريخ الدول السرياني: 398-399.

(3) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 284. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 347 واخطأ الكتبي بأن الباعشيقي كان حاكماً على الجزيرة. عيون التواريخ: 20/ 299.

الأمير بعدم كشف سرقته ولكن افتضح أمره فقتل، وعين هولاكو في مكانه احد جند الموصل المدعو الزكي الاربلي[1] لدوره في كشف اختلاسات باصشيقي[2].

ويبدو ان المغول لم يكونوا مطمئنين لحكم الاربلي، لذلك استحصل رضي الدين بابا بن نصرة الدين محمد الافتخاري القزويني[3] امراً من اباقاخان سنة 663هـ/ 1265م بقتل الاربلي وتولى هو حكم الموصل[4].

وفي سنة 666هـ/ 1267م عزل رضي الدين بابا وعين بدلاً منه مسعود البرقوطي[5] بن اعلم الدين يعقوب[6] وقد جاء ذلك تكريماً لأبيه اعلم الدين الذي كان يعد اخص المقربين لأباقاخان[7] وفي سنة668هـ/ 1269م رفع رضي الدين بابا شكوى ضد مسعود

---

(1) ذكره ابن العبري باسم (زكي الاربلي). تاريخ الدول السرياني: 146.

(2) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: 20/ 236. الكتبي: عيون التواريخ: 20/ 299 واخطأ عماد عبد السلام رؤوف في تحديد سنة 662 هـ كبداية لحكم الزكي لاربلي. حكام العراق وموظفوه في عهد المغول الايلخانيين: سنة 661هـ/ . انظر: ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 284.

(3) اختلفت المصادر في ضبط اسمه، فذكر ابن الفوطي بـ (رضي الدين البابا) الحوادث الجامعة: 354. وابن العبري ذكره بـ (ناصر الدين بابا). تاريخ الدول السرياني: 146 وفي المصدر نفسه: 262، 265 ذكره بـ (اتفاقاً الفارسي). والتسمية الصحيحة وردت عند ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 4/ ق2/ 683، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1963م، تحقيق مصطفى جواد.

(4) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 354. وذكر ابن العبري انه حكم سنة 1266م وهي توافق سنة 664هـ. تاريخ الدول السرياني: 146.

(5) برقوطي: نسبة الى برقوط، وهي من قرى اربل، انظر: ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 260.

(6) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 361. العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين: 1/ 265 وذكر ابن العبري ان مسعود بدأ حكمه للموصل واربل سنة 1276م وهي توافق سنة 675-676هـ. تاريخ الدول السرياني: 260.

(7) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 260.

متهماً إياه بالاختلاس وهيأ لذلك شهود زور ورشا القضاة الذين جلسوا للحكم في امر شكواه، فحكموا له وعزل مسعود، وسلمت الموصل لرضي الدين بابا "للمرة الثانية"[1].

وفي سنة 676هـ/ 1277م توجه مسعود البرقوطي الى اباقاخان، وعرض عليه انه ظلم في المحاسبة، فأمر اباقا بإجراء تحقيق وانتهى الأمر بتجريم رضي الدين بابا وقتله، فقتل وعلق رأسه على باب الجسر في الموصل وأعيد مسعود البرقوطي لحكم الموصل "للمرة الثانية"[2].

وفي صيف سنة 680هـ/ 1281م ثار أصحاب رضي الدين بابا على مسعود البرقوطي واتهموه بنهب أموال احد أصحاب رضي الدين بابا، فقبضوا عليه ونكلوا به وبأصحابه، وتمكن مسعود بعد مضي ايام على احتجازه من الهرب والاختفاء[3].

وخلال حكم احمد تكودار 680-683هـ/ 1281-1284م الذي خلف اباقاخان في الحكم تم الاتفاق بين المماليك في مصر والمغول على تقرير الصلح بينهما وتفويض حكم الموصل وبغداد لأبن بدر الدين لؤلؤ، ولكن مقتل تكودار سنة 683هـ/ 1284م حال دون تحقيق ذلك[4].

وفي سنة 683هـ/ 1284م، وفي عهد الايلخان أرغون أعيد مسعود البرقوطي لحكم الموصل "للمرة الثالثة"[5]. وكان مسعود من اشد المقربين لبوقا وزير أرغون، وحدث ان اتهم بوقا بالخيانة، فأمر أرغون بقتله مع أصحابه، فأرسل الى الموصل الأمير بيتمش

---

(1) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 367. وذكر ابن العبري ان بابا بدأ حكمه "للمرة الثانية" في شتاء سنة 1278م وهي توافق 677هـ. تاريخ الدول السرياني: 262.

(2) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 397-398. وذكر ابن العبري ان مسعود بدأ حكمه "للمرة الثانية" سنة 1280م وهي توافق سنة 679هـ. تاريخ الدول السرياني: 265.

(3) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 266.

(4) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 269.

(5) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 273.

القوشجي الذي قبض على مسعود، فنكل به وبأصحابه، ومن ثم قتله يوم الاثنين الرابع من ربيع الثاني سنة 688هـ/ 1289م[1] وسلمت الموصل ليتمش[2].

ويبدو ان يتمش لم يحكم سوى بضعة أشهر، اذ عزل وعين بدلاً منه أمين الدولة اخو سعد الدولة، وكان هذا في الأصل من يهود الموصل[3] وقد ارتفع شأن اليهود في فترة حكمه، غير ان ذلك لم يدم طويلاً، اذ بطش المغول به وبأخوته سنة 690هـ/ 1291م[4].

وفي عهد السلطان محمود غازان كان يحكم الموصل فخر الدولة ابو محمد عيسى بن هبة الله النصراني الموصلي[5] الذي قتل سنة 701هـ/ 1301م[6] على يد صاحب ماردين الملك المنصور نجم الدين غازي بن ارتق الذي حل محل فخر الدولة في حكم الموصل[7] ويبدو ان الملك المنصور لم يستقر طويلاً في حكم الموصل نظراً لتحمله مسؤولية حكم ماردين.

---

(1) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 390-392. وأورد رشيد الدين اسمه "ايتمش القوشجي". جامع التواريخ: م2/ 2/ 147.

(2) العزاوي، عباس: تاريخ العراق بين احتلالين: 1/ 346. عماد عبد السلام: حكام العراق وموظفوه: 70.

(3) ذكر ابو الفداء ان سعد الدولة كان في بداية حياته العملية دلالاً بسوق الصاغة في الموصل. المختصر: 4/ 17.

(4) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 394، 399. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 466 وذكر الأخير اسمه بامير الدولة هذا خطأ والصحيح أمين الدولة: انظر رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 2/ 151-152 والنص الفارسي م2/ 820. خيمة: نزهة المشتاق: 142-143.

(5) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 4/ ق3/ 277. وورد اسمه عند ابن الطقطقا بـ"فخر الملة والدين عيسى بن إبراهيم" الفخري في الآداب السلطانية: 8.

(6) في هذا التاريخ أهدى ابن الطقطقا كتابه الى فخر الدين ونسبه اليه "الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية". انظر: 339 من كتاب الفخري.

(7) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 4/ ق3/ 277 والحاشية.

وتولى الأمير إيليا حيش مسؤولية حكم الموصل في عهد السلطان اولجايتو خدا بنداء ثم عزل من منصبه سنة 708هـ/ 1308م وعين بدلاً منه سيف الدين سوتاي لنيابة ديار بكر والموصل[1].

وخلال عهد السلطان ابو سعيد بهادر كان يحكم الموصل علاء الدين علي بن شمس الدين محمد الملقب بحيدر[2]. وكان هذا الأمير يحتل منزلة كبيرة عند ابو سعيد وذكره ابن بطوطة خلال زيارته للموصل سنة 728هـ/ 1327م[3] واستمر في الحكم الى حدود سنة 731هـ/ 1330م[4].

وفي سنة 736هـ/ 1335م وعلى اثر وفاة السلطان ابو سعيد عمت الفوضى أقاليم الدولة المغولية فاستغل إبرهيم شاه بن بارنباري بن سوتاي فرصة انشغال أمراء المغول في صراعهم على السلطة وتمكن من السيطرة على الموصل وديار بكر بمساعدة والده سوتاي الذي كان قبله والياً على ديار بكر[5].

2- اربل

انيطت مسؤولية اربل بعد احتلالها من قبل المغول سنة 657هـ/ 1259م الى بدر الدين لؤلؤ الذي تسلمها ضماناً من المغول بمبلغ (70) ألف دينار. وتمكن شرف الدين

---

(1) العسقلاني: الدرر الكامنة: 2/ 275. العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين: 1/ 412-413. عماد عبد السلام: حكام العراق وموظفوه: 70.

(2) هكذا ورد اسمه عند ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة: 236. اما نقولا سيوفي فيورد اسمه بالاعتماد على نص اثري على الشكل الآتي: احمد ابو العباس محي الدين حيدر بن محمد شرف الدين بن محمد عبد الله الحسيني. مجموع الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل 106، مطبعة شفيق، بغداد، 1956م، تحقيق سعيد الديوه جي.

(3) رحلة ابن بطوطة: 236.

(4) سيوفي: مجموع الكتابات: 106. يوسف ذنون: دراسة جديدة لكتابات الموصل الأثرية: 230 والحاشية، مجلة سومر، م23، 1967م.

(5) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة: 231.

جلالي بعد مضي أشهر قليلة من طرد حفظة بدر الدين لؤلؤ منها بأمر من هولاكو فتولى حكمها، ولكن بدر الدين لؤلؤ لم يمهله، إذ أرسل من اغتاله[1] فأعقبه في الحكم رجل نصراني يدعي المختص سليمان، وخلفه بعد موته ابنه تاج الدين عيسى بن المختص[2]، ورتب في سنة 660هـ/ 1262م على اربل مجد الدين صالح بن الهذيل، فأمضى هذا في الحكم فترة زمنية ثم عزل[3] ورتب سنة 666هـ/ 1267م مسعود البرقوطي بن اعلم الدين يعقوب لحكم اربل والموصل[4]، فاستمر هذا في الحكم الى ان عزل سنة 668هـ/ 1269م وعين بدلاً منه رضي الدين بابا بن نصرة الدين محمد الافتخاري القزويني الذي استمر في الحكم حتى سنة 676هـ/ 1277م، فعزل وأعيد مسعود البرقوطي لحكم اربل والموصل[5] فاستمر هذا في الحكم حتى سنة 680هـ/ 1281م[6].

---

(1) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 134. وذكر ابن عبد الظاهر اسمه بـ"جلال الدين الكلالي" صاحب اربل، وقال انه قدم مصر، فاستقبله الملك الظاهر بيبرس واحسن إكرامه. الروض الزاهر: 88. وهذا يناقض ما أورده ابن العبري. ويبدو ان حكم شرف الدين استمر الى حدود سنة 658هـ على اعتبار ان الظاهر بيبرس بدأ حكمه لمصر في هذه السنة.

(2) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 134.

(3) جاء في ترجمته في كتاب الحوادث الجامعة: 340، 418 انه رتب حاكماً على اربل، بعد عزله عن واسط سنة 660هـ ثم عزل ورتب صدراً لخراسان.

(4) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 361. العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين: 1/ 265 وذكر ابن العبري ان مسعود بدأ حكمه لاربل والموصل سنة 1276م وهي توافق سنة 675-676هـ. تاريخ الدول السرياني:260.

(5) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 367، 397-398. وذكر ابن العبري ان مسعود عزل سنة 1278م وهي توافق 677هـ. وأعيد سنة 1280 وهي توافق سنة 679. تاريخ الدول السرياني: 262، 265.

(6) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 266.

وفي حدود سنة 683هـ/ 1284م كان يحكم اربل بهاء الدين الأمير الكردي الذي تصدى لجيش الشام أثناء إغارته على اربل في هذه السنة[1]، وقد جاءت هذه الغارة في أعقاب فشل اتفاقية الصلح بين المغول والمماليك على اثر مقتل السلطان احمد تكودار.

وفي عهد أرغون خان أعيد الى حكم اربل تاج الدين عيسى بن المختص للمرة الثانية، فاستمر هذا في الحكم حتى عزل سنة 688هـ/ 1289م بعد ان عذبه المغول، وغرموه خمسين الف دينار لمصاحبته لمسعود البرقوطي الذي اتهم باشتراكه مع بوقا بتدبير مؤامرة ضد أرغون[2] ورتب بدلاً منه مبارز بك الأمير الكردي، ولم تمض أشهر قليلة على حكمه حتى عزل، وأعيد تاج الدين عيسى بن المختص لحكم اربل. ويبدو ان سعد الدولة اليهودي قد شفع عند أرغون وبرءه ساحته، فأعاده هذا لحكم اربل مع أخيه أمين الدولة الذي عين لحكم الموصل[3]. والواضح ان تاج الدين عيسى بن المختص قد عزل في نفس الفترة التي عزل فيها سعد الدولة وأمين الدولة ذلك لأن سعد الدولة هو الذي رتب تاج الدين بولايته الأخيرة، ومن المعروف عن المغول انهم كانوا يعزلون الحكام الموالين للوزراء الذين يتهمون بالخيانة[4].

وورد اسم ابو الفتح بن الفخر عيسى الاربلي انه تولى حكم اربل قبل سنة 692هـ/ 1293م[5] وفي سنة 697هـ/ 1298م ثار زين الدين بالو على المغول، وكان هذا يترأس فريقاً من الجند يقال لهم كياجي يعملون ضمن حامية اربل، فتمكن بمساعدة العرب والأكراد من مقاومة المغول، وحكم اربل لمدة ثلاث عشرة سنة[6] حتى تمكن منه

---

(1) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 386.

(2) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 391-392.

(3) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 394، 395.

(4) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 396، 399.

(5) الكتبي: فوات الوفيات: 3/ 57. عماد عبد السلام: حكام العراق وموظفوه: 74.

(6) زكي بك، محمد أمين: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان: 167-168، ترجمة محمد علي عون، مطبعة السعادة، مصر، 1939م.

عماد الدين ناصر بن ركن الدين بن ابي طالب المعروف بالدلقندي وأجهض ثورته بدعم من السلطان اولجايتو خدابندا، فتولى عماد الدين ناصر حكم اربل حتى وفاته، وأعقبه في الحكم ابن أخيه علي بن عز الدين طالب، فاستمر هذا في الحكم حتى وفاته، فأعقبه ابن عمه الأمير يحيى بن ناصر، وكان هذا معروف بتقواه[1].

ولم تذكر المصادر أسماء حكام اربل بعد ذلك، وربما يعود السبب الى هجرة العلماء منها بما فيهم المؤرخون الذين كانوا يأخذون على عاتقهم كتابة تاريخ المدينة.

3- سنجار

انتقل حكم سنجار سنة 657هـ/ 1259م الى الملك العادل نور الدين بن الملك الصالح ركن الدين، بعد ان هرب صاحبها المظفر علاء الدين بن بدر الدين لؤلؤ الى مصر[2].

بقيَ العادل بحكم سنجار الى أن خرج مع والده الملك الصالح ركن الدين الى مصر سنة 659هـ/ 1261م[3] فتولى حكمها قاضيها فخر الدين، وحينما قدم الأمير شمس الدين اقوش البرلي لنجدة الملك الصالح ركن الدين في أثناء حصار المغول الموصل، استولى هذا على سنجار وعزل قاضيها. ولم يدم حكمه لسنجار طويلاً حيث هرب بعد انكساره على يد المغول سنة 660هـ/ 1262م[4] فدخل المغول سنجار، واستولوا عليها ورتبوا فيها حاكماً يدعى علم الدين قيصر الموصلي[5]، فحكم هذا فترة ثم رتب بدلاً

(1) ابن عنبه، احمد بن علي بن الحسين: كتاب عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب: 314، بومبي، 1318هـ.

(2) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 207-208.

(3) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 208.

(4) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 209-211.

(5) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 212.

عنه قوام الدين محمد اليزدي، ومما يذكر عن الأخير أنه قام بتجديد مشهد علي (ﷺ) الذي كان المغول قد خربوه[1].

ومن حكم سنجار ناصر الدين يحيى بن إبراهيم السنجاري الذي قتل في شوال سنة 711هـ/ 1311م بسبب تواطئه مع الوزير سعد الدين الساوجي في مؤامرة لقتل خدابندا[2].

4- العمادية

كانت العمادية تابعة للموصل، وكان عز الدين ابو المظفر ايبك بن عبد الله البدري المعروف بالطويل حاكماً عليها من قبل بدر الدين لؤلؤ[3].

وبعد احتلال المغول الموصل، دخل عز الدين في طاعة المغول صلحاً في سنة 661هـ/ 1263م وحصل على تفويض من هولاكو لحكم العمادية. وفي محاولة منه لكسب ود المغول زار اباقاخان في مراغة سنة 667هـ/ 1268م[4].

وتنقطع أخبار عز الدين بعد هذا التاريخ. وفي أواخر العهد المغولي للجزيرة كان يحكم العمادية الحاجي بن عمر حتى سنة 740هـ/ 1339م ثم حكم من بعده أولاده[5].

5- جزيرة ابن عمر

دخلت في طاعة المغول سنة 660هـ/ 1262م وعين المغول لها حاكماً نصرانياً اسمه مرحسيا[6] ولم يدم حكمه طويلاً، اذ تمكن مار حننيشوع مطران جزيرة ابن عمر من

---

(1) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 155.

(2) المستوفي القزويني: تاريخ كزيدة: 597. ابن ابي الفضائل، المفضل: النهج السديد والدرر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد: 214-215، بلا طبعة ومكان الطبع.

(3) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 142. ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 4/ ق/ 388-389. الحوادث الجامعة: 431.

(4) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 4/ ق1/ 38-39. الحوادث الجامعة: 431.

(5) القلقشندي: صبح الأعشى: 7/ 256.

(6) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 348.

الفوز بفرمان من هولاكو سنة 661هـ/ 1263م وبموجبه تولى جمال الدين جولبغ حكم الجزيرة على ان يكون كل من عزاز باس ومحمد راس وصبين، وان يكون المطران مار حنيشوع مشيراً ومدبراً[1]. وفي سنة 662هـ/ 1264م قتل جمال الدين جولبغ والوصيين لاتهامهما بالتجسس لصالح حكام مصر، ونصب بدلاً منهما المطران مار حنيشوع[2] فاستمر هذا في الحكم حتى قتل سنة 667هـ/ 1268م بسبب انهماكه في الملذات[3].

وورد اسم الصفي القرقوبي على انه كان متولي حكم الجزيرة، ونجهل سنة توليته إلا ما ذكر بأنه قتل سنة 679هـ/ 1280م لاتهامه في مقتل احد امراء المغول[4] وفي سنة 681هـ/ 1282م كان يحكم الجزيرة هومين، ووقع هذا أسيراً بيد المماليك في أثناء غارتهم على الجزيرة خلال هذه السنة[5].

6- آمد

كانت آمد تابعة لميافارقين، ويحكمها نائب عن الكامل ناصر الدين. وعند محاصرة المغول ميافارقين سنة 657هـ/ 1259م استدعى هولاكو نائب آمد سيف الدين ذل بن مجلي وطلب منه تسليم آمد، فسلمها اليه دون أية مقاومة، ثم سلمها هولاكو الى عز الدين وأخيه ركن الدين قليج ارسلان صاحبي بلاد الروم، وعندما اقتسما بلاد الروم بينهما أصبحت آمد من نصيب ركن الدين الذي عين نائباً عنه لحكمه الى جانب نواب المغول[6].

(1) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 143.
(2) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 144.
(3) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 147.
(4) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 289.
(5) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 268.
(6) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 526-527.

ثم انتقل حكم آمد بعد ان قتل ركن الدين سنة 666هـ/ 1267م الى ولده غياث الدين، فبقيت خاضعة له[1] الى ان انتقل حكمها الى صاحب ماردين الذي عين نواباً عنه فيها، ومنهم الأمير علم الدين الذي اضطر الى ترك آمد والهرب الى ماردين بعد ان انتفض أهالي آمد عليه وعلى الملك الصالح صاحب ماردين وذلك في سنة 697هـ/ 1298م[2].

واتخذ الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا مقامه في آمد، ويبدو ان نيابة آمد كانت تحكم من قبله، وقد استمر هذا في الحكم حتى سنة 703هـ/ 1303م[3].

وتنقطع عنا بعد هذا التاريخ أخبار حكامها، وربما يرجع سبب ذلك الى ما لحق بهذه المدينة من إهمال من قبل المغول اذ أصبحت لا تثير اهتمام المؤرخين لتدوين تاريخها في هذه الفترة.

7- حصن كيفا

دخل حصن كيفا في طاعة المغول صلحاً في أوائل سنة 658هـ/ 1260م عندما توجه صاحبها الملك الأوحد تقي الدين عبد الله الأيوبي[4] الى هولاكو، وقدم له هدية، وأعلن طاعته، فأبقاه هولاكو على الحصن[5].

---

(1) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 527.

(2) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 414.

(3) ابن أيبك: كنز الدرر: 9/ 113، ابن كثير: البداية والنهاية: 14/ 29.

(4) اختلفت بعض المصادر في ضبط اسمه فذكر ابن شداد اسمه بالملك الأوحد عبد الله. الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 535. وورد عند آخرين باسم الملك الموحد تقي الدين عبد الله بن أيوب ... وينتهي نسبه عند الملك العادل سيف الدين الأيوبي. العسقلاني: الدرر الكامنة: 1/ 462 - 463 الزبيدي، المرتضى: ترويح القلوب في ذكر بني أيوب: 83 ، دمشق، 1971، تحقيق صلاح الدين منجد.

(5) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 535.

ولا نعرف بالضبط نهاية حكمه، ولكن ابن شداد يذكر أنه كان موجوداً في سنة 679هـ/ 1280م في حكم الحصن[1] وبعد وفاته تولى ابنه الملك الكامل ابو بكر[2] الذي حكم حتى سنة 726هـ/ 1325م وفي هذه السنة انتهز أخوه العادل مجير الدين فرصة ذهاب الملك الكامل الى مكة للحج، فاستولى على الحصن، وعندما رجع الكامل وثب عليه العادل مجير الدين وقتله في أوائل سنة 727هـ/ 1326م[3].

حكم العادل مجير الدين فترة من الزمن وتولى من بعده أخوه الملك العادل غازي، ثم أعقبه ابنه الملك الصالح ابي بكر[4] وتولى من بعد الصالح الملك العادل سليمان[5] الذي استمر في الحكم حتى وفاته سنة 736هـ/ 1335م، فقام مقامه ابنه الملك محمد الذي شهدت بداية حكمه اضمحلال الدولة المغولية[6] وبقي ملوك بني أيوب يتعاقبون على حكم حصن كيفا الى سنة 866هـ/ 1461م[7].

---

(1) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 535.

(2) لم تضبط المصادر اسمه، فورد تحت اسم الملك الكامل ابو بكر عند كل من العسقلاني: الدرر الكامنة: 1/ 463 ولين بول: تاريخ الدول الإسلامية: 1528، وباسم الملك الصالح عند ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف: 33، وباسم الملك الصالح يوسف وقبل أيوب بن شاذي، وقيل محمد بن عبد الله بن توران شاه بن أيوب عند الحنبلي، احمد بن ابراهيم: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب: 467، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1978 م، تحقيق ناظم رشيد.

(3) ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف: 33. العسقلاني: الدرر الكامنة: 1/ 43 وذكر الحنبلي مقتله سنة 726هـ. شفاء القلوب: 468.

(4) الحنبلي: شفاء القلوب: 469.

(5) الحنبلي: شفاء القلوب: 469. وذكر البدليسي اسمه بالملك سليمان فقط. شرفنامه: 174.

(6) البدليسي: شرفنامه: 174-175.

(7) لين بول: تاريخ الدول الإسلامية: 1/ 152.

8- ميافارقين

المعلومات التي وردتنا عن حكام هذه المدينة قليلة، فبعد احتلالها سنة 658هـ/ 1260م تولى شرف الدين عبد الله الاوي[1] – احد كبار أمراء الملك الكامل ناصر الدين – الذي كاتب المغول ووعدهم بتسليم ميافارقين، فكافأه المغول بها، واستمر يحكم المدينة الى حدود سنة 679هـ/ 1280م[2].

ويظهر لنا ان الميش تولى حكم المدينة، اذ ورد ذكره في حكمها، ووصف بأنه عدو النصارى اذ قتل صاحب موسى النصراني ونكل برهبان دير مار توما، فسارع احد الرهبان النكوريين الى أرغون الذي اصدر أمراً بقتله، فقتل سنة 688هـ/ 1289م[3].

9- حران

كانت حران تابعة لأملاك الناصر يوسف الأيوبي صاحب الشام عندما قصدها هولاكو في بداية سنة 658هـ/ 1260م ونازلها مدة قصيرة من الزمن لـ وقبل ان يتمكن من احتلالها، أعلن أهلها بذل الطاعة، مقابل عدم الاستمرار في التعرض لهم، فأجابهم هولاكو، وكتب يرليغ بذلك، وتسلم المغول البلد، وعين هولاكو عليهما رجل من سادة حران يدعى علي الصوراني[4].

بقيت حران بيد علي الصوراني الى ان كسر كتبغا في عين جالوت سنة 658هـ/ 1260م، فاضطر المغول الى الانسحاب منها خوفاً من مهاجمة جيش الظاهر بيبرس لها[5].

---

(1) ورد ابن العبري اسمه بـ" الأمير عبد الله"، تاريخ مختصر الدول: 280.

(2) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 488، 510. ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 137.

(3) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 394.

(4) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 60-61.

(5) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 61-62.

استغل شمس الدين أقوش البرلي الذي كان قد تمرد على الظاهر بيبرس هذه الفرصة، وسيطر على حران، وبقيت في يده حتى هزيمته على يد المغول في منطقة سنجار في الرابع من جمادي الأخرى سنة 660هـ/ 1262م.

وعاد نواب المغول الى حران حتى سنة 670هـ/ 1271م ففي هذه السنة قام المغول بتخريبها، بعد ان عجزوا عن حفظها من هجمات المماليك المستمر لها[1].

ج- الوظائف الإدارية:

1- الشحنة

وظيفة استحدثها السلاجقة عند دخولهم بغداد سنة 447هـ/ 1055م وهي اقرب ما تكون الى وظيفة حاكم عسكري او صاحب شرطة في الوقت الحاضر فهو المسؤول عن المحافظة على الأمن بالقضاء على الثورات والعصيان وحوادث الشغب[2].

وظلت هذه الوظيفة معمول بها في فترة حكم بدر الدين لؤلؤ على الموصل[3] وفي العهد المغولي استمر العمل بها، وقد وسعت صلاحيات متوليها، فأضيفت اليه مسؤوليات جديدة هي مراقبة حاكم المدينة والدفاع عن البلاد ضد التهديدات الخارجية، وقيادة الجيوش لقمع حركات التمرد[4].

ويلاحظ ان جميع من تولي هذه الوظيفة في الموصل طوال العهد المغولي كانوا من المغول، ويرجع ذلك الى أهمية هذه الوظيفة، والى عدم ثقة خانات المغول بغير أبناء جنسهم، فيما يتعلق بالأمور العسكرية.

---

(1) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 62.

(2) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: 3/ 477. حسين أمين: نظام الحكم في العصر السلجوقي: 220، مجلة سومر، م 20، 1964م.

(3) ابن الأثير: الكامل: 9/ 323.

(4) انظر ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 141-142، 150في الحديث عن تورين.

وكان ياسان أول من تولى هذه الوظيفة في الموصل من المغول في عهد الملك الصالح ركن الدين منها وقد تمكن هذا من سيطرته على الموصل بعد خروج الملك الصالح ركن الدين منها سنة 659هـ/ 1261م[1].

ورتب تورين شحنة للموصل سنة 660هـ/ 1262م[2] وقاد هذا كتيبة من المغول قوامها ثلاثمائة فارس للقبض على الملك المجاهد سيف الدين صاحب جزيرة ابن عمر الذي تمكن من الهرب، وصادف خلال ذلك ان زحف عز الدين ايباغ للاستيلاء على جزيرة ابن عمر، فالتقى به تورين، وتمكن من الانتصار عليه[3].

وفي سنة 666هـ/ 1267 تلى هذا المنصب أشموط[4] الايغوري الذي استمر في هذا الوظيفة حتى عزل سنة 668هـ/ 1269م بسبب اتهامه بالرشوة[5]، وورد في احداث سنة 673هـ/ 1274م اسم الطرغاشي، ويبدو انه كان شحنة في الموصل، اذ قام بإخماد فتنة حدثت في الموصل[6].

وأعيد في سنة 676هـ/ 1277م اشموط لمنصب شحنة الموصل[7] للمرة الثانية، واستمر هذا في وظيفته حتى ثار عليه جماعة من مناهضيه وتمكنوا من قتله سنة 683هـ/ 1284م[8].

---

(1) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 141.

(2) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 347 وسماه نور الدين.

(3) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 142.

(4) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 361.

(5) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 367.

(6) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 150.

(7) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 397-398.

(8) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 273.

2- الإشراف المالي

كانت هذه الوظيفة معروفة منذ الحكم السلجوقي للعراق، وهي تعني مراقب ومساعد او مفتش مالي وهي من الوظائف المهمة، وشاغلها يشرف على ضبط الحسابات والصادرات والواردات والموازنة بينهما[1] وفي العهد المغولي استمر العمل به، مما استحدث منصب "مشرف الممالك" وهو بمثابة مشرف عام على الإدارة المالية للدولة، ويكون المشرفون على الولايات مسؤولون أمامه. وأول من تولى هذا المنصب هو مجد الدين اليزدي في سنة 679هـ/ 1280م من قبل أباقاخان فقام هذا بتعيين نواباً عنه في الولايات[2].

ويلاحظ ان المغول لم يشترطوا على متولي هذه الوظيفة ان يكون من المغول دائماً، فقد تركت في أكثر الأحيان بيد أبناء البلاد المفتوحة، ويرجع ذلك الى امتلاك هؤلاء الخبرة الإدارية والمالية التي يتفوقون بها على المغول.

وأول من تولى هذه الوظيفة هو ايلجكتاي الذي عينه كيوك خان ليكون مشرفاً على الموصل والجزيرة وبلاد الروم، بحيث يكون ملوك هذه البلاد مسؤولين أمامه عن أموالها[3]. وفوض منكوخان سنة 650هـ/ 1252م هذه المهمة للأمير أرغون[4].

وعين هولاكو سنة 660هـ/ 1262م سليمان بن مؤيد بن عامر زين الدين العقرباني المعروف بالحافظي مشرفاً على الموصل والجزيرة، واستمر هذا في وظيفته حتى قتله هولاكو سنة 662هـ/ 1264م بسبب اختلاسه أموال الولاية[5].

---

(1) إقبال: وزارة عهد سلاطين بزرك سلجوق: 31، مطبعة سيكون محمد هويني، طهران: 1338. هـ. ش. أمين، حسين: تاريخ العراق في العصر السلجوقي: 199، مطبعة الإرشاد، بغداد 1965م.

(2) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة:412- 413.

(3) رشيد الدين: جامع التواريخ: تاريخ خلفاء جنكيزخان: 183.

(4) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 262. رشيد الدين: جامع التواريخ: تاريخ خلفاء جنكيزخان: 215.

(5) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: ج2/ 236. الكتبي: عيون التواريخ: 20/ 299.

وعندما تولى اباقاخان سلطنة المغول سنة 663هـ/ 1265م عهد مهمة الإشراف على ولاية ديار بكر الى جلال الدين طرير والملك رضا الدين بابا، وعلى ديار ربيعة الى الملك مظفر فخر الدين قرا ارسلان[1].

ورتب سنة 677هـ/ 1278م مجد الملك بن صفي الملك اليزيدي[2] مشرفاً على الموصل وديار بكر، فادى هذا عمله على أحسن وجه حتى أثارت كفاءته في العمل وحسن تدبيره حسد السعيد شمس الدين صاحب ديوان المملكة الأمر الذي دفع بمجد الملك الى ترك منصبه خوفاً من ان تدبر ضده مؤامرة من قبل صاحب الديوان تطيح برأسه[3].

وفي سنة 689هـ/ 1290م عين أرغون الأمير متي الشجاع مشرفاً على الموصل، فاغتاظ المسلمون منه، وثاروا عليه وبطشوا به، فتقدم أولاد المقتول شكوى عند أرغون، فأمر هذا بقتل القاتلين وتغريم للمشاركين في التحريض عشرة ربوات[4] ذهب[5].

وممن تولى هذه الوظيفة في مدينة اربل رجل يدعى يعقوب النصراني الذي بقي فترة في هذا المنصب ثم حبس وعزل سنة 656هـ/ 1258م عين بدلاً منه المختص النصراني[6].

---

(1) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 2/ 11-13.

(2) ذكر رشيد الدين اسمه بمجد الملك فقط: جامع التواريخ: م2/ 2/ 76. وذكر الصياد اسمه الكامل. مؤرخ المغول الكبير: 59 والحاشية.

(3) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 2/ 76.

(4) الربوة: تساوي عشرة الاف. دوزي، رينهارت: تكملة المعاجم العربية: 5/ 81، ترجمة محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982م.

(5) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 397-398.

(6) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م1/ 117، الكتبي: عيون التواريخ: 20/ 162-163.

3- القضاء

موضوع القضاء هو النظر في الأحكام الشرعية، وتنفيذ قضاياها، وهي من أحسن الوظائف وأعلاها قدراً وأجلها رتبة[1]، ولا يتولى هذه الوظيفة إلا من تتوفر فيه جملة شروط تؤهله للقيام بها، منها ان يكون رجلاً بالغاً، مسلماً، عاقلاً، حراً، عادلاً سليم الجسد، عالماً بأحكام الشرع[2].

اما أهم الواجبات التي كان يمارسها، فهي الفصل في الخصومات واستيفاء الحقوق والوصايا على اليتامى والمجانين والقاصرين وأمور الزواج والطلاق والميراث والنظر في الأوقاف وغيرها[3].

وكان يساعد القاضي عادة عدد من الشهود العدول، وهم أشخاص معروفين بحسن سيرتهم، وتتمثل واجباتهم بالشهادة بين يدي القاضي أو تزكية الشهود[4].

وكان قضاة الموصل والجزيرة تابعين لكمال الدين عمر بن بندار التفليسي الذي عينه هولاكو بمنصب قاضي القضاة عند استيلاء المغول على الجزيرة والشام سنة 658هـ/ 1260م، واتخذ هذا من دمشق مركزاً لعمله[5]، ولكن هذا النظام لم يستمر طويلاً،

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى: 4/ 34-35.

(2) الماوردي: ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية: 65-66، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م. النويري: شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب: 6/ 248، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

(3) الماوردي: الأحكام السلطانية: 70-71. السبكي: كتاب معيد النعم ومبيد النقم: 42، الناشر مصطفى البابي الحلبي، مصر. النويري: نهاية الأرب: 6/ 255-256.

(4) السبكي: كتاب معيد النعم: 47. خصباك: العراق في عهد المغول الايلخانيين: 71. ماجد، عبد المنعم: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى: 47-48، 4، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1978م.

(5) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: 1/ 350. الاسنوي، جمال الدين عبد الرحيم: طبقات الشافعية: 1/ 317، مطبعة الإرشاد، بغداد، تحقيق: عبد الله الجبوري.

اذ تمكن المماليك من تحرير بلاد الشام في السنة ذاتها، فأصبح قضاة الموصل والجزيرة تابعين لقاضي قضاة المماليك، فكان هذا يعين القضاة في جميع ولايات الدولة المغولية، ويتلقى هؤلاء التعليمات منه بأستثناء قاضي قضاة بغداد فانه يعين القضاة في العراق[1].

وممن تولى قضاة الموصل موسى بن محمد بن موسى بن يونس الاربلي المعروف بكمال الدين بن الرضي، وهو من بيت معروف بالعلم والفضل والعدالة، وقد ارتفعت منزلته عند السلطان غازان الذي اختاره عضواً في الوفد الذي أرسله سنة 698هـ/ 1298م الى السلطان ناصر الدين محمد بن قلاوون لأمور تتعلق بالصلح، وتوفي هذا في جمادي الأولى سنة 715هـ/ 1315م[2]. وتولى القضاء كذلك يوسف بن محمد بن موسى بن يونس بن منعه الموصلي، وقد اشترك مع الوفد الذي أرسله غازان سنة 700هـ/ 1300م[3] الى ناصر الدين محمد الذي أكرمه، وكان بن منعه محتشماً مهيباً، وتوفي بمدينة السلطانية[4] سنة 716هـ/ 1316م[5].

وورد اسم عبد العزيز بن عدي بن عبد العزيز عز الدين البلدي الذي كان قاضياً لمدينة ارزن في زمن غازان، وبسبب ظلمه وفساده وقتله لأحد أفراد المدينة، اضطر الى ترك أرزن، وقدم الى الموصل، فدرس بها وتولى قضاءها فترة من الزمن ثم ما لبث ان عاد الى ارزن ثانية وبقي فيها[6] حتى وفاته سنة 710هـ/ 1310م[7].

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى: 4/ 424.

(2) العسقلاني: الدرر الكامنة: 5/ 152. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: 8/ 135.

(3) ثبتنا السنة من المقريزي: السلوك: 1/ ق3/ 903.

(4) السلطانية: مدينة بناها خدابندا وجعلها عاصمة لملكه وتقع بالقرب من جبال كيلان. ابو الفداء: تقويم البلدان: 407.

(5) العسقلاني: الدرر الكامنة: 5/ 251.

(6) العسقلاني: الدرر الكامنة: 2/ 487- 488.

(7) وقد اختلف في سنة وفاته، فيقال توفي سنة 710هـ أو 717 هـ أو 719هـ. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 257 والحاشية. العسقلاني: الدرر الكامنة: 2/ 287-288.

وفيما يتعلق بأربل فقد تولى قضاءها مجد الدين ابو الفضل عبد المجيد بن ابي بكر بن محمد الاربلي الذي زار مراغه سنة 665/ 1266م[1]، وكذلك علي بن موسى بن يوسف بن محمد الزرزاري القطبي[2].

وتولى قضاء جزيرة ابن عمر جمال الدين محمد بن العجمية الذي كانت نهايته مفزعة، اذ قتله المغول مع جميع أولاده بسبب اتهامهم له ظلماً بتسميم احد أمراء المغول سنة 680هـ/ 1281م[3].

وتولى قضاء سنجار علم الدين ابو الفضل بن تاج الدين ابي بكر السنجاري؛ وهو من بيت معروف بالحكمة والعلم والقضاء، وقد زار السلطانية سنة 675هـ/ 1276م[4].

وكان كمال الدين احمد بن علي البوازيجي متولي القضاء في مدينة البوازيج[5] التابعة لأعمال الموصل[6].

4- ناظر الأوقاف

النظر في الأوقاف وتسمى الاحباس، وهي وظيفة جليلة، وموضوعها هو الإشراف على أرزاق الجوامع والمساجد والربط والزوايا والمدارس[7]. وكان هناك نوعين من الوقف الوقف الخيري أو المديني الذي كانت تحبس الأموال لغرض النفع العام. والآخر الوقف الذري الذي انتشر بشكل واسع في العهد المغولي والغاية منه هو تأميم الحماية اللازمة للملكية ضد التجزئة بحكم الوراثة أي ان الشخص كان يوقف أرضه أو

---

(1) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: ج5/ 120، كتاب اللام والميم ، لاهور 1940م، تحقيق الحافظ محمد عبد القدوس.

(2) العسقلاني: الدرر الكامنة: 5/ 149.

(3) ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 248. ابن الفرات: تاريخ الفرات: م7/ 235.

(4) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 4/ ق1/ 621.

(5) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 5/ 123، "كتاب الكاف".

(6) ياقوت: معجم البلدان: م1/ 503.

(7) القلقشندي: صبح الأعشى: 4/ 38.

أملاكه على عائلته كي يستفاد من واردها ولا يمتلك حق بيعها حتى لا تسيطر الدولة عليها[1].

استندت هذه الوظيفة في بداية الحكم الايلخاني للجزيرة الى قاضي القضاة كامل الدين عمر بن بندار التفليسي[2]، ثم وضعت جميع الأوقاف الإسلامية تحت إشراف نصير الدين الطوسي[3].

وأصبحت مسؤولية الأوقاف في عهد السلطان احمد تكودار مناطة بكمال الدين عبد الرحمن بن مسعود البغدادي المعروف بالشيخ عبد الرحمن[4] حتى وفاته سنة 683هـ/ 1284م[5]، وانتقلت المسؤولية بعده الى أبناء نصير الدين الطوسي، فكان أول من تقلدها فخر الدين احمد[6]، وأعقبه صدر الدين، وأخيراً تولاها أصيل الدين ابو محمد الذي كان ناظراً أوقاف المملكة في زمن غازان[7].

وكان ناظر أوقاف المملكة يعين في كل بلد نائباً عنه يستغل الأوقاف ويأخذ عشرها ويرسله الى مراغة ليصرفه الطوسي على مرصده[8].

وممن تولى هذه الوظيفة بالموصل عماد الدين ابو الفتح عبد الرحمن بن بلدجي الموصلي، وهو من بيت عرف بالعلم والفضل والعدالة، وقد زار السلطانية سنة

---

(1) كاهن: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية: م1/ 124، الدوري: مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي: 105، ط2، الطليعة، بيروت، 1978.

(2) ابو شامة: الذيل على الروضتين: 204، اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م3/ 350.

(3) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 286-287.

(4) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 5/ 200 (كتاب الكاف).

(5) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م4/ 212، 215.

(6) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 443.

(7) ابن أيبك: كنز الدرر: 9/ 32، الكتبي: فوات الوفيات: 3/ 251.

(8) الكتبي: فوات الوفيات: 3/ 250.

706هـ/ 1306م وكان من المقربين لأصيل الدين الطوسي[1]. وورد اسم السيد ركن الدين الحسن بن محمد بن شرف شاه الاسترابادي المتوفى سنة 715هـ/ 1315م على انه كان متولي النظر في أوقافها[2].

5- **نقابة العلويين**

ترجع بداية ظهور هذه الوظيفة الى أواخر القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع[3] وكان يطلق عليها اسم نقابة الإشراف. والإشراف هم المنتمين الى أسرة النبي محمد (ﷺ) نسباً أي أهل البيت، ولكن هذا اللقب انحصر بالعلويين والعباسيين الذين هم أهم فروع بني هاشم[4].

وفي العصر العباسي الأخير كانت نقابة العباسيين والعلويين من الوظائف المهمة حيث كان الخليفة هو الذي يعين النقيب، وله ديوان خاص بنقابته، غير ان نقابة العباسيين فقدت أهميتها في عهد المغول في حين اكتسب العلويون احترام الحكام المغول[5] حتى صار لبعض منهم نفوذ واسع في الموصل[6].

كان متولي هذه النقابة بمثابة زعيم لأسرة العلويين، وعمله يتمثل في "000 التحدث على ولدي علي بن ابي طالب كرم الله تعالى وجهه 000" فضلاً عن الاهتمام

---

(1) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 4/ ق2/ 758-759.

(2) السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: 1/ 521-522، ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1964م، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم.

(3) ارندنك: دائرة المعارف الإسلامية: مادة شريف: م 13/ 272.

(4) ارندنك: دائرة المعارف الإسلامية: مادة شريف: م 13/ 267-279. فهد: تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير: 231.

(5) خصباك: العراق في عهد المغول الايلخانيين: 73. فهد: تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير: 232.

(6) انظر: سيوفي: مجموع الكتابات: 106.

بأمور العلويين كـ (... الفحص عن أنسابهم والتحدث في أقاربهم والأخذ على يد المعتدي منهم ونحو ذلك ...)[1].

وأول من تولاها في الموصل في العهد الايلخاني مجد الدين ابو منصور محمد بن ضياء الدين زيد بن كمال الشرف محمد العبيدلي العلوي الموصلي المتوفي سنة 661هـ/ 1263م[2] ويذكر ان نقيب الموصل كمال الدين حيدر بن النقيب ركن الدين الحسن بن محي الدين محمد بن كمال الدين حيدر الحسيني الموصلي مات غرقاً في نهر دجلة سنة 674هـ/ 1275م[3].

ويفهم من الشريط الكتابي الموجود في أسفل محراب بنجة علي في الموصل ان نصير الدين محمد بن محمد بن المرتضى بن عبد المطلب بن المرتضى بن محمد بن زيد بن عبد الله الحسيني كان نقيباً للموصل سنة 686هـ/ 1287م[4].

ومن نقباء الموصل الذين لم يحدد ابن الفوطي سنوات وفاتهم وتولوا هذا المنصب في هذه الفترة مجد الدين ابو المظفر علي بن محمد بن زيد العلوي الموصلي، ومجد الدين ابو جعفر احمد بن زيد بن عبد الله الحسيني الموصلي[5] والنقيب كمال الدين ابو الحسن علي بن احمد بن زيد العلوي الموصلي[6].

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى: 4/ 37–38. وانظر: ارندنك: دائرة المعارف الإسلامية: مادة شريف: م13/ 272.

(2) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 5/ 234 "كتاب اللام والميم".

(3) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 5/ 122. الحوادث الجامعة: 386.

(4) احمد قاسم عبد الله الجمعة: الآثار الرخامية في الموصل خلال العهدين الاتابكي والايلخاني: 2/ 596 رسالة دكتوراه مطبوعة على الآلة الكاتبة مقدمة الى كلية الآثار جامعة القاهرة 1975م.

(5) تلخيص مجمع الآداب: 5/ 54/ 192، "كتاب اللام والميم".

(6) تلخيص مجمع الآداب: 5/ 217 "كتاب الكاف".

وينسب الى نقيب الموصل احمد ابو العباس محي الدين حيدر بن محمد شرف الدين بن محمد بن عبيد الله الحسيني بأنه قد جدد سنة 731هـ/ 1330م بناء المدرسة النظامية في الموصل[1].

(1) سيوفي: مجموع الكتابات: 106 والحاشية.

الفصل الرابع

الحياة الاقتصادية والحركة الأدبية
والعلمية في الموصل والجزيرة الفراتية

الفصل الرابع

أولاً: الحياة الاقتصادية:

أ- الزراعة ومستوى الإنتاج الزراعي

1- الزراعة

بالرغم من الخراب الذي لحق ببلاد الجزيرة الفراتية من جراء الاحتلال المغولي لها، فإنها احتفظت ببعض نشاطها الزراعي، ويرجع ذلك الى امتلاكها مقومات الإنتاج الزراعي المتمثل بتربة خصبة ومياه وفيرة، وأحوال مناخية مشجعة[1].

وقد تحدث عن ثرواتها الزراعية الجغرافيون والرحالة والمؤرخون وبخاصة المعاصرون لحقبة الاحتلال المغولي لها، فتحدث ابن بطوطة عن اتصال القرى والعمائر على طول الطريق الممتد من تكريت الى الموصل[2] ولاشك ان هذه القرى كانت تعتمد في نشاطها الاقتصادي على الزراعة بالدرجة الأولى لوفرة المياه القريبة، والمتمثلة بنهر دجلة.

وتعد الموصل من المناطق الزراعية المهمة، وقد أثارت بساتينها وجمال منظرها الجغرافي ابن سعيد المغربي[3] وامتدح القزويني نزاهة بساتينها وطيب جواسقها، وأشاد بنشاط أهلها وانتفاعهم من مياه دجلة بشكل جيد عن طريق شق القنوات ونصب

---

(1) محمد، سوادي عبد: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في اتابكيات الجزيرة الفراتية وعلاقتها السياسية في القرن السادس الهجري: 183–184، رسالة الدكتوراه مطبوعة على الآلة الكاتبة، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم 1975م.

(2) رحلة ابن بطوطة: 234.

(3) كتاب الجغرافيا: 157، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، 1970م، تحقيق إسماعيل العربي.

النواعير والطواحين على هذا النهر والتي يديرها الماء بنفسه[1]، إضافة الى ما ذكر عنها بأنها ذات ضياع ومزارع ورساتيق عديدة، ولكن بساتينها قليلة[2]، وقد وصلت مواردها الى 328.000 دينار[3] على عهد حكم المغول الايلخانيين.

وشبه ابن بطوطة سنجار بمدينة دمشق في كثرة أنهارها وبساتينها[4]، وتعد جبالها من أخصب الجبال، وتكثر فيها أشجار الجوز واللوز والرمان والتين[5] والزيتون والعنب والسماق[6]، وفي سهولها تنتشر أشجار النخيل[7]، ويصل موردها الى 147.500 دينار[8]. وتكثر في تل أعفر البساتين والأشجار[9] والنخيل الذي يجلب رطبه الى الموصل[10].

وينتشر حول الموصل عدد من المدن الصغيرة والقرى المشهورة بالبساتين الكثيرة منها باعشيقا التي اشتهرت بأشجار الزيتون والنخل والنارنج[11]، وباصفرا بالبساتين

---

(1) آثار البلاد: 461-462.

(2) ابن الوردي: فريدة العجائب وفريدة الغرائب: 44، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 193م.

(3) Mustawfi of Qazwin , Hamd – Allah: Nuzhat – Al Qulub: 102 " Translated- by G-Le-Strange , Leyden – Brill , London , 1919.

(4) رحلة ابن بطوطة: 237.

(5) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا: 157. القلقشندي: صبح الأعشى: 4/ 322.

(6) Mustawfi: Nuzhat- Al- Qulub: 104 .

(7) ابو الفداء تقويم البلدان: 283.

(8)Mustawfi: Nuzhat- Al- Qulub: 104 .

(9) القلقشندي: صبح الأعشى: 4/ 323.

(10) ياقوت: معجم البلدان: م2/ 39. ويذكر الديوه جي بأن لا اثر للنخل فيها في الوقت الحاضر غير ان فيها ارض واسعة تسمى "خورمالغ" أي ارض التمر مما يدل على انها كانت بساتين نخل. انظر: العمري: منهل الأولياء: 1/ حاشية 70.

(11) ياقوت: معجم البلدان: م1/ 325.

والكروم[1]، فيما تميزت مدينة برطلي بالبقول والخس الجيد، وقد بلغت موارد الأخيرة 13.200 دينار[2]، ومدينة العقر بكثرة الأعناب التي كان موردها يصل الى 27.400 دينار[3].

وتقع العمادية على جبل من الصخر وتحتها عيون كثيرة وبساتين، وبلغت قيمة مواردها 68.000 دينار[4]، وتميزت كل من اربل وارزن بكثافة إنتاجهما من الحبوب والقطن الممتاز وبلغ مورد الأولى 22.000 ديناراً والثانية 275.500 دينار[5].

وظلت نصيبين محافظة على شهرتها الزراعية، اذ كان فيها لوحدها أكثر من أربعين الف بستان[6] لإنتاج الفواكه والأعناب[7] وتنتشر حولها القرى الكثيرة المتصلة بعضها بالآخر[8].

وعرفت جزيرة ابن عمر بكثرة قراها الخصبة[9] والتي تبلغ حوالي المائة قرية تنتج الكروم الكثيرة وقد بلغت مواردها 170.200 دينار[10]

---

(1) ياقوت: معجم البلدان: م1/ 324.

(2) ياقوت: معجم البلدان: م1/ 385.

Mustawfi: Nuzhat- Al- Qulub: 103.

(3) Mustawfi: Nuzhat- Al- Qulub: 104.

(4) القلقشندي: صبح الأعشى: 4/ 325.

.Mustawfi: Nuzhat- Al- Qulub: 104

(5) Mustawfi: Nuzhat- Al- Qulub: 104.

(6) القزويني: آثار البلاد: 467 .

(7) Mustawfi: Nuzhat- Al- Qulub: 105.

(8) ابن الوردي: فريدة العجائب: 43.

(9) انظر: ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: 1/ 333، ط1، دار إحياء الكتب العربية: 1955م، تحقيق علي محمد البجاوي، في الحديث عن الرساتيق.

(10)Mustawfi: Nuzhat- Al- Qulub: 103.

واشتهرت سعرت بكثرة فاكهتها من التين والرمان والكروم[1] وقد بلغ موردها 46.500 دينار[2] وكان لحصن كيفا عدد كبير من البساتين ومزارع واسعة يزرع فيها القمح والشعير والحبوب والكروم، وتكفي غلاتها أهلها من سنة الى أخرى[3] وبلغت مواردها 82.500 دينار[4] .

ومدينة ميافارقين لا تقل شهرة من نصيبين، اذ وصفها ابن سعيد المغربي بقوله (وهي مثل نصيبين في أحداق المياه والبساتين ...)[5] ويصل موردها الى 224.000 ديناراً[6]. وقد وصفت آمد بأنها كثيرة الخصب والمياه، ذات بساتين ومزارع كثيرة[7]، وبلغت مواردها 30.000 دينار[8].

واشتهرت ماردين بوفرة إنتاجها من الحبوب والقطن والفواكه[9] وبخاصة الأعناب، اذ كانت تنتج لوحدها أكثر من سبعين صنفاً[10] ويوجد بالقرب من المدينة

---

(1) ابو الفداء: تقويم البلدان: 289.

(2)Mustawfi: Nuzhat- Al- Qulub: 104.

(3) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 529، 531.

(4) Mustawfi: Nuzhat- Al- Qulub: 103.

(5) كتاب الجغرافيا: 171، وانظر ابو الفداء: تقويم البلدان: 279.

(6) Mustawfi: Nuzhat- Al- Qulub: 103.

(7) القزويني: اثار البلاد: 491، القلقشندي: صبح الأعشى: 4/ 324، الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار: 3، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، تحقيق احسان عباس.

(8) Mustawfi: Nuzhat- Al- Qulub: 102.

(9) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو: 37، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية: 126.

(10) القرماني، ابو العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ: 488، عالم الكتب، بيروت.

سهل بمساحة عشرة فراسخ مربعة تزرع فيه محاصيل متنوعة، ويستمد هذا السهل مياهه من نهر صور. وتبلغ مواردها 236.200 ديناراً [1].

وثمة مدن صغيرة لا تقل أهميتها الزراعية عن باقي مدن الجزيرة، ومنها حاني وسيلوان، ويصل موردها الى 171.000 دينار[2] وحيران والرها وسروج، وقد اشتهرت هذه المدن بوفرة إنتاجها من الفاكهة كالتين والرمان والكروم والكمثرى والعنب والخوخ والسفرجل والبندق[3].

ورأس العين كانت تعد مركزاً مهماً للإنتاج الزراعي، خاصة إنتاج الحبوب والقطن والأعناب[4] وكانت هذه المحاصيل تزرع في السهول المحيطة بها التي ترويها أكثر من ثلاثمائة عين[5].

2- مستوى الإنتاج الزراعي

نلاحظ من خلال استقراء بعض النصوص التي وصلتنا بأن مستوى الإنتاج الزراعي قد انخفض كثيراً في العهد المغولي عما كان عليه قبل الاحتلال، ويؤكد هذه الحقيقة المستوفي القزويني فيشير الى ان واردات هذا الإقليم التي تستحصل بصورة رئيسية من الضرائب المفروضة على الإنتاج الزراعي (000 كانت تبلغ في زمن الاتابكية ويدر

---

(1) Mustawfi: Nuzhat- Al- Qulub: 105.

(2) Mustawfi: Nuzhat- Al- Qulub: 103.

(3) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 101. ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا: 155. ابو الفداء: تقويم البلدان: 277، 283 . القلقشندي: صبح الأعشى: 4/ 139، 320-321، 324. الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك: 51، مطبعة الجمهورية، باريس، 1894م.

(4)Mustawfi: Nuzhat- Al- Qulub: 103.

(5) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 145. ابو الفداء: تقويم البلدان: 279. واستطرد الحميري في وصف هذه العيون: انظر: الروض المعطار: 265.

الدين لؤلؤ عشرة ملايين دينار، فأصبح الآن – أي في نهاية الدولة الايلخانية – تساوي 925.000 دينار) [1] ويعني هذا ان تدهوراً كبيراً قد لحق بالإنتاج الزراعي.

ويعزى هذا التدهور في الإنتاج الى ترك عدد كبير من الفلاحين أراضيهم الزراعية والهجرة الى البلاد المجاورة [2] إضافة الى القتل الجماعي الذي تعرض له السكان والذي أدى الى حدوث نقص في الأيدي العاملة في الإنتاج الزراعي هذا ما أشار اليه ابن فضل الله العمري عند سؤاله لأحد المزارعين عن سبب هذا التدهور رغم سعة مساحة العراق والبلاد المجاورة ومنها الجزيرة، فقال (قلة الزروع مع ما استهلكه القتل زمن هولاكو وحيزه للعراق والبلاد المجاورة) [3] فضلاً عن الصراع ما بين المغول والمماليك الذي لعب دوراً في هذا التدهور، فقد تعرضت الجزيرة الى سلسلة من الحروب جعلت المتحاربين يتعمدون تخريب الأراضي المزروعة، فهناك من يذكر وجود مناطق متعددة بين الموصل وسنجار تسمى بالمحروقات، كانت بساتينها وزروعها تحرق في هذه الفترة من قبل المماليك، لكي لا يتمكن المغول من الحصول على العلف اللازم لخيلهم، وقد تفنن المماليك في ابتكار طرق متعددة لنشر الحريق في أماكن زراعية واسعة وبسرعة كبيرة [4]. كل ذلك أدى الى خراب قنوات الري وتصدع جدران القناطر والسدود التي كانت تؤمن انسياب المياه الى الأراضي الزراعية من نهر دجلة والفرات وروافدهما.

ب- الصناعة

أصيبت الصناعة بالركود شأنها في ذلك شأن النواحي الاقتصادية الأخرى وذلك بسبب ما لحق بأصحاب المهن من الخيف والقتل والأسر بدليل ما طرحه رشيد الدين من معلومات حول ذلك في معرض حديثه عن احتلال المغول للموصل سنة 660هـ/ 1262م

---

(1) Mustawfi: Nuzhat- Al- Qulub: 102.

(2) ابن الصابوني: تكملة الإكمال حاشية 105. ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 142 في الحديث عن الأكراد.

(3) القلقشندي: صبح الأعشى: 4/ 332 نقلاً عن مالك الابصار.

(4) القلقشندي: صبح الأعشى: 14/ 401-402.

فيقول (...وقتلوا بقية سكان المدينة بحد السيف، واسروا بعضاً من أرباب الحرف والصنائع بحيث لم يبق احد في الموصل)[1].

وبعد ان ثبت المغول سلطتهم في الجزيرة، واستقرت الأوضاع السياسية لصالحهم، تمكن أصحاب المهن الصناعية من إعادة نشاطهم الصناعي، وهذا ما نلاحظه من مشاهدات الرحالة الذين زاروا المنطقة في فترة الاحتلال المغولي والتي سنعرضها بشكل مفصل عند الحديث عن أنواع الصناعات.

أنواع الصناعات:

أولاً: صناعة المنسوجات والثياب

تعد الموصل من المراكز المهمة لصناعة المنسوجات ويرجع ذلك الى امتلاكها المقومات الأساسية لهذه الصناعة المتمثلة بوجود الأيدي العاملة الماهرة، واعتدال مناخها، وخصوبة الأراضي المحيطة بها الصالحة لزراعة القطن، إضافة الى موقعها الجغرافي الممتاز الذي جعل منها مركزاً تجارياً مهماً لهذه المنتوجات[2].

وقد ذكر لنا المؤرخون والرحالة أنواعاً من المنسوجات التي تصنع فيها، فابن سعيد المغربي يذكر بان في الموصل صناعات عديدة منها صناعة (... ثياب الحرير التي تنسج بها ...)[3] ويؤكد ذلك ماركوبولو ويضيف بأن (... جميع الأنسجة الذهبية والحريرية التي نسميها بالموسيليني[4] هي من صنع[1] الموصل ...)[2] كما اشتهرت هذه المدينة بنوع آخر من

---

(1) جامع التواريخ: م2/ 1/ 330.

(2) Al-Feel, Muhammad Rashid: The Historical Geography of Iraq Between the Mongolian and ottoman Conquests: 1/265 , Al-Adab – Press , Negef , 1965.

(3) كتاب الجغرافيا: 157.

(4) الموسليني: هو ثوب رقيق من القطن اكتسب شهرة عالمية منذ القرون الوسطى، فعرف بهذا الاسم في أوربا والشرق كما هو معروف في العراق. يوسف غنيمة: صناعات العراق في عهد العباسيين: 566، مجلة غرفة تجارة بغداد، ج8، تشرين الأول 1941، السنة الرابعة.

القماش يطلق عليه (الخروات) وهو قماش مزيج من القطن والحرير، ولا يقل القماش الصوفي المنتج فيها شهرة عن الأنواع الأخرى[3].

وعرفت الموصل صناعة التطريز ذات العلاقة بالمنسوجات، فيذكر ان عز الدين ابو الفضل الحسن بن الحسين بن يوسف الموصلي المتوفي سنة 710هـ/ 1310م كان يتعاطى فيها (... صناعة النقش وخياطة الزركش ...)[4] وكان يوسف بن عبد الكريم بن هبيل الموصلي الذي هاجر من الموصل الى اليمن في حدود سنة 680هـ/ 1281م ماهراً في تطريز نسيج الحرير بخيوط الذهب[5].

وبقيت صناع المنسوجات والثياب قائمة بالموصل حتى بعد انهيار دولة المغول، ومما يدل على هذا النشاط ما ورد ضمن أحداث سنة 786هـ/ 1384م من ان الثياب المعروفة بالموصلية كانت تصدر الى مصر[6].

---

(1) يذكر داود الجلبي ان المناسج التي تنتج هذا النوع من القماش لا تزال موجودة في الموصل في الوقت الحاضر ولكن باعداد قليلة. مكانة الموصل في الاقتصاد العام: 597، مجلة غرفة تجارة بغداد، ج8، تشرين الأول 1941، السنة الرابعة.

(2) رحلات ماركوبولو: 37.

(3) Al-Fee: The Historical Geography of Iraq: 1/268.

(4) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 4/ ق1/ 66.

(5) العسقلاني: الدرر الكامنة: 5/ 227-238. الديوه جي: اعلام الصناعة المواصلة: 67، مطبعة الجمهورية، الموصل، 1970.

(6) المقريزي: السلوك: 3/ ق2/ 525، مطبعة دار الكتب، 1970، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور.

والحق ان ازدهار هذه الصناعة لم يكن مقتصراً على الموصل، بل شمل معظم إقليم الجزيرة، فقد ذكر ان هذا الإقليم في عهد المغول كان ينتج الأقمشة الفاخرة كالنخ والكمخا والنصافي[1] والعتابي[2] والمخمل[3].

ومن المدن التي عرفت فيها هذه المنسوجات: بلدة حزة القريبة من اربل التي تصنع فيها الثياب المعروفة بالنصافي الحزية[4] ومدينة ارزن بصناعة الازر[5] والإبراد والنصافي والبطاين[6]، وكانت لقرية السلامية القريبة من الموصل قيسارية متخصصة ببيع البز[7]، وهناك ما يشير الى ان عون الدين ابو زيد عبد الرحمن بن عثمان بن ابي الفوارس الاربلي كانت له في اربل دكان يبيع فيها البز[8] وكانت عقر – والتي هي موضع من بلاد الجزيرة – توشى فيها الثياب[9].

---

(1) النخ والكمخا: ثياب مصنوعة من الحرير المذهب. ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة 304. خصباك: العراق في عهد المغول الايلخانيين: 131. والنصافي قماش مصنوع من الحرير والكتان. المقريزي: السلوك: 3/ ق2/ حاشية 525.

(2) العتابي: قماش ينسب الى محلة العتابية في بغداد. يوسف غنيمة: صناعات العراق في عهد العباسيين: 566.

(3) القلقشندي: صبح الأعشى: 4/ 408، نقلاً عن مسالك الابصار.

(4) ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع: 1/ 400.

(5) الازر: وهو نوع من الثياب لتغطية الأرداف والأعضاء الطبيعية (العورة) ويستعملها الناس عادة في الحمامات. العبيدي، صلاح حسين: الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي: 181-182، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980.

(6) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ 2/ 536.

(7) ياقوت: معجم البلدان: م3/ 234. والبز نوع من الثياب، ونسبة من البز حرفة البزاز وهي البزازة. ابن منظور: ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب: م5/ 311-312، دار صادر، بيروت، 1956.

(8) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 4/ ق2/ 986.

(9) ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع: 2/ 916.

واشتهرت ماردين بصيغة المنسوجات، ومنها القماش القطني المعروف بالبوكاسيني[1]، فضلاً عن الثياب المنسوبة اليها والمصنوعة من الصوف المعروف بالمرعز[2] والتي تحمل منها الأكسية الى البلاد[3].

وبقيت مدينة آمد مركزاً للغزل والنسيج، فكان يصنع فيهما قماش الحرير المسمى الراشي، وأنواع النسيج الصوفي المسمى الطيالسة Al- Tayalisa إضافة الى المناديل اليدوية[4].

ثانياً: الصناعات المعدنية

بقيت صناعة التحف المعدنية وفن التكفيت، والتي كانت الموصل قد اشتهرت بهما قائمين خلال هذه الفترة، اذ ذكر ان مدينة الموصل اشتهرت (... فيها صناعات جمة، ولاسيما اواني النحاس المطعم يحمل منها للملوك ...)[5] والقزويني يقول عنها (... وأهلها أهل الخير ... والتدقيق في الصناعات ...)[6].

ويستدل من هذه الشواهد ان مدينة الموصل كان إنتاجها للتحف المعدنية من الدقة بحيث أصبح الطلب عليها يقترن بطبقة الملوك، كما ان إنتاجها من الوفرة بحيث جعلها على رأس المدن المنتجة والمصدرة لهذه التحف[7].

وكان للموصل أسلوبها الخاص في صناعة التحف المعدنية، اذ انفردت عن باقي مدن الجزيرة في هذه الصناعة[1]، وكان لها الفضل في انتقال هذه الصناعة الى الشام ومصر

---

(1) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو: 37.

(2) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، 238.

(3) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا: 157.

(4) Al-Fee: The Historical Geography of Iraq: 1/270.

(5) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا: 157.

(6) اثار البلاد: 462.

(7) العبيدي، صلاح حسين: التحف المعدنية الموصلية في العصر العباسي: 23–24، مطبعة المعارف، بغداد، 1970م.

وانتشارها فيهما، حيث هاجر الكثير من صناع التحف المعدنية من الموصل الى هذه البلاد[2] ومع ذلك حافظت الموصل على شهرتها في هذه الصناعة طوال العهد المغولي، وحتى عهد تيمورلنك[3]. وثمة عدد لا بأس به من التحف المعدنية الموصلية التي تعود صناعتها الى القرن السابع الهجري منتشرة في عدد من متاحف العالم[4].

واشتهرت اسعرد بكثرة استخراج النحاس الذي يستثمره أهلها بشكل جيد ويصنعون منه الأواني النحاسية الفاخرة[5] ويلمح ابن تغري بردي بان آمد عرفت فيها صناعة الأواني[6].

ولوفرة معدن الحديد في الموصل[7] نمت الصناعة التي تقوم عليه، وهذا ما تؤكده مشاهدات ابن بطوطة لشبابيك وأبواب الحديد في مسجد الجامع وقيسارية المدينة والتي هي من عمل صناعها[8]، كما ان صناعة استخراج الحديد كانت قائمة في مدينة حاني، ولوفرة الإنتاج يصدر قسم منه الى سائر البلاد[9].

---

(1) انظر: حسن، زكي محمد: فنون الإسلام: 3/ 541-542، دار الرائد العربي، بيروت، 1981. الدبوه جي: اعلام الصناع المواصلة: 71-73.

(2) حسن: فنون الإسلام: 3/ 553. العبيدي: التحف المعدنية الموصلية: 25-26.

(3) يوسف غنيمة: صناعات العراق في عهد العباسيين: 576.

(4) للاطلاع انظر: حسن: فنون الإسلام: 3/ 542-547. العبيدي: التحف المعدنية الموصلية: 27-132.

(5) ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية: 145-146.
Mustawfi: Nuzhat- Al- Qulub: 104.

(6) النجوم الزاهرة: 10/ 44.

(7) المقدسي: أحسن التقاسيم: 145.

(8) رحلة ابن بطوطة: 235.

(9) ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع: 1/ 373.

ثالثاً: صناعات أخرى

انتشرت صناعة الخمور في الأديرة وبعض مراكز المدن بسبب كثرة مزارع الكروم، وإقبال أهل الذمة وغيرهم على شربها وقد امتدح المستوفي القزويني خمر نصيبين في حين قال عن خمر مدينة العقر بانه ردئ[1] وأطرى ابن فضل الله العمري شراب دير الزعفران المفضل على غيره في اللون والرائحة والعتق[2]، وكانت القوافل تقف عند دير ابي يوسف القريب من بلد[3] لتأخذ حاجتها من الخمر منه[4] واشتهر دير عمر اخويشا المطل على ارزن بجودة خمره الذي يحمل منه الى البلدان[5].

واشتهرت نصيبين بصناعة ماء الورد الذي يفضل على سائر الأنواع[6] لطيب عطارته[7]، وكانت العطور تعرض في حوانيت لبيعها في سوق العطارين في الموصل[8] الذي كان يضم كل ما يحتاجه المتزل والأطباء من توابل ونباتات طبية.

وكانت صناعة طحن الحبوب معروفة على نطاق واسع، اذ كانت تنتشر أعداد كثيرة من الطواحين (الرحاء) في معظم مدن الجزيرة[9].

---

(1) Mustawfi: Nuzhat- Al- Qulub: 104 -105.

(2) مسالك الابصار: 1/ 255.

(3) بلد أو بلط: مدينة قديمة تقع على دجلة فوق الموصل بينهما سبعة فراسخ. ياقوت: معجم البلدان: م1/ 481. وتعرف الان اسكي موصل.

(4) ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع: 2/ 550 والحاشية. ابن فضل الله العمري: مسالك الابصار: 1/ 302-303.

(5) ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع: 2/ 551. ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار: 1/ 310.

(6) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا: 156.

(7) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة: 237.

(8) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م2/ 262.

(9) انظر: القزويني: اثار البلاد: 461-462، 477. ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 86، 145. ابن فضل الله العمري: مسالك الابصار: 1/ 310. الخطيب العمري: منهل الأولياء: 1/ 69.

اما صناعة الأدوية: فقد كانت صناعتها قائمة على يد عدد من العلماء والحكماء الذين عرفوا بأنهم اشتغلوا بهذه الصنعة، ومنهم مجد الدين ابو طاهر إبراهيم الاسعردي الحشائشي المتوفي سنة 706هـ/ 1306م[1] وعلاء الدين ابو الحسن حيدر بن إبراهيم الاسعردي[2].

اما الورق فصناعته كانت معروفة وعلى نطاق ضيق، ومن المدن التي اشتهرت بهذه الصناعة مدينة الرها التي ينسب اليها الورق الجيد من ورق المصاحف[3] وربما يعود وجود صناعة الورق فيها الى كونها من المراكز الثقافية القديمة.

وهناك من ينسب اليهم مهمة الوراقة التي يقصد بها صناعة الخط والاستنساخ[4]، ومن الأسماء التي عرفت بهذه المهنة محمد بن علي بن ابي القاسم الوراق الموصلي ويعرف بابن الوراق المتوفي سنة 727هـ/ 1326م[5].

ولدينا ما يشير الى التوسع في صناعة النشاب في نصيبين لغرض المتاجرة، بحيث اختصت إحدى أسواقها المعروف بسوق النشابين ببيعه[6] وكان اسعد بن إبراهيم بن الحسن بن علي النشابي الاربلي المتوفي سنة 656هـ/ 1258م يعمل النشاب في اربل[7].

وتقدمت صناعة الأواني الفخارية والخزفية في بعض مدن الجزيرة وخاصة سنجار، اذ يزخر متحف الموصل بنماذج عديدة ومزخرفة تعود فترتها الى عهد المغول.

---

(1) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 5/ 91، كتاب اللام والميم.

(2) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 4/ ق2/ 1015.

(3) الحميري: الروض المعطار: 273.

(4) ابن منظور: لسان العرب: 10/ 375.

(5) ابن رجب: زين الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن شهاب: كتاب الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 381-382، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1953م. العسقلاني: الدرر الكامنة: 4/ 195.

(6) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 125.

(7) الكتبي: عيون التواريخ: 20/ 159.

ولم تتوفر لدينا معلومات تؤكد أن صناعة الزجاج كانت منتشرة في الجزيرة في هذه الفترة، ولكن حاجة شبابيك الدور والمساجد والقصور للزجاج كانت إحدى العوامل التي دفعت الناس الى معرفة هذه الصناعة الى جانب وجود ما يشير الى وفرة جواهر الزجاج في جبل ماردين[1] ووجود جامات على سقوف حمامات سنجار، وذلك على هيئة نقوش ملونة بالأحمر والأصفر والأخضر والأبيض[2] ولكن لا توجد أشارات الى أماكن صناعتها.

واخيراً لابد من القول ان صناعة ضرب النقود المعدنية كانت قائمة في العهد المغولي، ومن مراكز الضرب في الجزيرة المدن الآتية: الموصل، اربل، سنجار، ماردين، حصن كيفا[3].

ج- التجارة وطرق المواصلات

1- التجارة

لقد كانت الغارات التي شنها المغول على الجزيرة أثرها البالغ على التجارة والأمن بسبب قطعهم سبل الاتصال التجاري فيها عن طريق مهاجمة القوافل التجارية[4] ولكن ما أن استقرت الأحوال فيها بعد الاحتلال، حتى استعادت مدن الجزيرة بعض نشاطها التجاري.

تنقسم التجارة الى داخلية وخارجية، تقوم الداخلية منها بين المدن وبينها وبين القرى والأرياف، أما التجارة الخارجية فتقوم بين مدن الجزيرة والبلاد المجاورة والبعيدة[5].

---

(1) ابو الفداء: تقويم البلدان: 9/ 279. القلقشندي: صبح الأعشى: 4/ 316.

(2) القزويني: اثار البلاد: 393.

(3) انظر: العزاوي: تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية: 46-56، طبع شركة التجارة والطباعة، بغداد، 1958. وفقرة النقود والنظام النقدي.

(4) انظر: سبط بن الجوزي: مرآة الزمان: م8 / 2/ 522.

(5) محمد: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية: 274.

أولاً: التجارة الداخلية والأسواق

اكتسب الموصل أهمية تجارية من خلال كونها قاعدة مهمة للتجارة في الجزيرة، فضلاً عن ارتباطها بسلسلة من خطوط المواصلات البرية مع مدن الجزيرة والشام والعراق، ووقوعها على نهر دجلة الذي ارتبطت بواسطته مع ديار بكر والعراق، اذ كانت السفن تصل اليها من أرمينية وأذربيجان جزيرة ابن عمر ونواحي ميافارقين مشحونة بالتجارة[1]، وكان التجار يتنقلون بين الموصل والعمادية لغرض المتاجرة[2]، وأشار ابن العبري ضمن أحداث سنة 685هـ/ 1286م الى كثرة فنادق الموصل التي كان ينزل بها عدد كبير من التجار النصارى والمسلمين القادمين الى المدينة المحملين بالبضائع الكثيرة: منها الثياب والذهب والفضة، وأمتعة أخرى، وكانت الثياب تعرض في سوق البزازين[3] ويوحي كلام هذا المؤرخ بوجود سوق[4] للدواب وسوق الغنم والبقر، إضافة الى ان في المدينة عدد كبير من العبيد والجواري[5] ويستدل من هذه الاشارة على ان تجارة العبيد والجواري كانت رائجة في الموصل في هذه الفترة.

وأعطى الرحالة ابن بطوطة صورة واضحة لمظاهر النشاط التجاري من خلال وصفه للمدينة، فيقول (وللموصل ربض كبير فيه المساجد والحمامات والفنادق والأسواق ... وقيسارية الموصل مليحة لها أبواب حديد ويدور بها دكاكين وبيوت بعضها

---

(1) ابن حوقل: صور الأرض: 202-203.

(2) انظر: ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 385-386 في الحديث عن النشاط التجاري للشيخ عبد الرحمن.

(3) ذكر سعيد الديوه جي بأن خلال فترة الاحتلال المغولي، أعيد بناء سوق الجامع النوري والسوق المعروف سوق الصغير. انظر: قلعة الموصل في مختلف العصور: 14، مطبعة الرابطة، بغداد، 1954.

(4) بلغت عدد أسواق الموصل أيام بدر الدين لؤلؤ (26) سوقاً. العمري: ياسين بن خير الله الخطيب: منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء: 57، مطبعة الهدف، الموصل، 1955، تحقيق: سعيد الديوه جي.

(5) تاريخ الدول السرياني: 387-388.

فوق بعض متقنة البناء)[1] وذكر ابو الفداء ان للموصل سوقاً خاصاً بالصاغة[2] وآخر لبيع العطر[3].

واعتمدت اربل في حياتها الاقتصادية بشكل واضح على القرى والأرياف، فكانت سوقاً دائماً لمنتوجات المنطقة الجبلية الزراعية[4].

واشتهرت نصيبين بسوق النشاب الذي يصنع النشاب فيه ويباع[5]. ووصفت جزيرة ابن عمر بأن لها سوقاً حسنة[6] وكان لميافارقين ربض يسمى المحدثة فيه الخانات والأسواق، وبجانب هذا الربض يوجد سوق الخيل[7] وكان في حران أسواق كثيرة خربها المغول سنة 670هـ/ 1271م[8].

كما عرفت آمد بأنها مشهورة بكثرة أغنياء التجار ووجود الملاهي والمساخر.

وماردين لا تقل في نشاطها التجاري عن الموصل، وقد وصفها ابن بطوطة بأنها (... من أحسن مدن الإسلام وأبدعها وأتقنها وأحسنها أسواقها ...) [9].

وكان لسنجار أسواق عامرة[10] وتصدر منها منتوجاتها الزراعية من الرمان والتين المشقق والجوز واللوز الى مدن الجزيرة[11].

---

(1) رحلة ابن بطوطة: 235.

(2) المختصر: 4/ 17.

(3) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: م2/ 262.

(4) ياقوت: معجم البلدان: م1/ 138. ابن عبد الحق. مراصد الاطلاع: 2/ 805.

(5) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 125 والخاشبة والنشاب هي السهام.

(6) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة: 236.

(7) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 276.

(8) الكتبي: عيون التواريخ: 20/ 420.

(9) رحلة ابن بطوطة: 238، وانظر: القزويني: اثار البلاد: 259 -260.

(10) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 156.

(11) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا: 157.

ومن مظاهر النشاط التجاري للجزيرة كذلك وجود الخانات وهي محطات استراحة للقوافل التجارية، وتقع الخانات على الطرق الرئيسية التي تربط مدن الجزيرة، وأشهر هذه الخانات خان الحديد الذي يقع على طريق الموصل تكريت، وخان قرية عين الرصد الذي يقع الى الشمال من الموصل على طريق جزيرة ابن عمر[1]، إضافة الى خان الخراب الذي يقع على طريق الموصل سنجار وعلى مسافة بضعة أميال من سنجار، ولا تزال آثاره باقية الى عهد قريب[2].

ثانياً: التجارة الخارجية

كان لموقع الجزيرة الجغرافي اثر كبير في استمرار الحركة التجارية بين مدنها والبلاد المجاورة والبعيدة، فالطرق التجارية الرئيسية بين العراق وبلاد فارس وأرمينيا والروم والشام تمر عبر مدن الجزيرة الفراتية.

ولاشك ان العلاقة التجارية للجزيرة مع دولة المماليك، في بلاد الشام ومصر قد ضعفت لأسباب سياسية، ولكن هذه العلاقة لم تنعدم، فهناك ما يشير الى ان جماعة من تجار حران قد استقروا في دمشق سنة 667هـ/ 1268م[3] فضلاً عن وجود ودائع كثيرة لتجار من أهل حران عند قاضي قضاة الديار المصرية سنة 670هـ/ 1271م[4]، ونشطت تجارة الجزيرة مع هذه البلاد في الفترة المحصورة بين 680-683هـ/ 1281م -1284م اعتماداً على اتفاقية الصلح التي عقدت بين الايلخان احمد تكودار وسلطان المماليك المنصور سيف الدين قلاوون، وقد جاء في رسالة أحمد تكودار ما نصه (... وانا أطلقنا سبيل التجار المترددين الى تلك البلاد ليسافروا بحسب اختيار هم على أحسن قواعدهم،

---

(1) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة: 234، 236.

(2) سبوفي: مجموع الكتابات: 166، وهناك خانات اخرى منها خان قرية المؤنسة بين الموصل ونصيبين وخان حسام الدين الحاجب المتوفي سنة 626هـ ويقع بين حران ونصيبين. ابن واصل: مفرج الكروب: 4/ 264.

(3) الكتبي: عيون التواريخ: 20/ 380.

(4) المقريزي: السلوك: 1/ ق2/ 603.

وحرمنا على العساكر والقراغول والشحاني في الأطراف التعرض بهم في مصادرهم ومواردهم ...) [1].

واجابه المنصور سيف الدين قلاوون ما نصه (... واما تحريمه على العساكر والقراغولات والشحاني بالأطراف التعرض الى احد بالأذى واصفاء موارد الواردين والصادرين من شراشب القلدى فمن حين بلغنا تقدمه بمثل ذلك تقدمنا ايضا بمثله الى سائر نوابنا بالرحبة والبيرة وعينتاب والى مقدمي العساكر بأطراف تلك الممالك...) [2]. وبموجب هذه الاتفاقية (... فتحت الطرق واخذ التجار يسافرون من بغداد والموصل والعجم الى سورية، ومن سورية ومصر الى بلاد التتر دون أدنى اذى...) [3] .

واستفاد تجار الجزيرة كذلك من الاتفاقية التجارية التي عقدت سنة 684هـ/ 1285م بين سلطان المماليك وملك الأرمن ليفون بن هيثوم[4] والذي نصت على (...انه من دخل الى بلد الأرمن من بلد الروم وبلد المشرق والمغرب والعراق وبغداد وسائر البلاد قاصداً البلاد السلطانية من التجار والرعية والوافدين وسائر الناس أجمعين يفسح لهم في الحضور الى البلاد السلطانية ولا يعوقهم ولا يمنعهم ...) [5].

ولكن الطريق بين الجزيرة وبلاد الشام في فترات الصراع بين المغول والمماليك كان غير مأمون، ففي سنة 717هـ/ 1317م تعرضت قافلة تجارية كانت خارجة من ماردين تقصد بلاد الشام الى هجوم عند رأس العين من قبل قوة من المغول، وذهب ضحية ذلك أكثر من ستمائة تاجر[6].

---

(1) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام: 8-9.

(2) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام: 13-14.

(3) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 269.

(4) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام: 93-94.

(5) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام: 99-100.

(6) ابن كثير: البداية والنهاية: 14/ 83.

غير ان هذه الهجمات التي كانت تعرقل التجارة لم تستمر بعد ان عقدت اتفاقية الصلح سنة 723هـ/ 1323م بين المغول والمماليك التي ضمنت في إحدى نصوصها ان (...تكون الطريق بين المملكتين مفتوحة تسير تجارة كل مملكة الى أخرى ...)[1].

اما عن تجارة الجزيرة مع بلاد الروم فقد ذكر بان (غالب قنية أهل الشام وديار بكر والعراق وبلاد العجم وذبائحهم مما يفضل عنها ويجلب اليهما منها وهي أطيب أغنام البلاد لحماً وأشهاها شحماً ويترتب على ذلك في كثرة الوجود الألبان وما يتحصل من السمن والجبن وغير ذلك)[2].

ولعبت الجزيرة الفراتية دوراً في تنشيط الروابط الاقتصادية التي كانت قائمة بين بعض دول أوربا والمغول[3] وقد استفادت مدن الجزيرة – التي هي احد أقاليم الدولة المغولية – من هذه الروابط، فكان قسم كبير من تجارة أوربا وأواسط آسيا تمر عبر الجزيرة[4] ويقوم بها في الغالب وسطاء من العراق وإيران وبلاد الجزيرة[5] كما لقيت كثير من البضائع المنتجة محلياً رواجاً كبير في بلدان أوربا لعل أبرزها الأنسجة الذهبية والحريرية التي يسميها الأوربيون بالموسليني المصنوعة في الموصل وقماش البوكاسيني المصنوع في ماردين[6].

احتفظت الجزيرة بعلاقات تجارية مع باقي أقاليم الدولة المغولية ويرجع السبب في ذلك الى ان سلاطين المغول عملوا جهد أمكانهم على تشجيع التجارة وتنميتها، وتقديم

---

(1) المقريزي: السلوك: 2/ ق1/ 209–210، 242.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى: 5/ 356 (نقلاً عن صاحب مسالك الابصار).

(3) اليوسف: علاقات بين الشرق والغرب: 203.

(4) حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول: 259–261.

(5) هامرتن: تاريخ العالم: م5/ 309.

(6) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو: 37.

كل التسهيلات للتجار[1] بما فيها تأمين الطرق التجارية، وضمان حماية ممتلكاتهم[2] وكان تجار الجزيرة يقومون بالمتاجرة ببضائعهم مع العراق وينقلون ما تحتاجه بغداد من منتوجات الجزيرة الغذائية خاصة في أوقات الأزمات كما حدث سنة 684هـ/ 1285م عندما ارتفعت أسعار الحنطة والشعير في بغداد ارتفاعاً كبيراً، فنقل اليها من الموصل دقيق وخبز مرقق[3].

وأشار مركوبولو الى ان تجار الموصل كانوا يفدون مع غيرهم من تجار البلاد الى تبريز عاصمة الدولة الايلخانية (... ليشتروا ويبيعوا فيها طائفة من السلع ...)، وكان هؤلاء التجار يحصلون من تجارتهم هذه على ثروات ضخمة[4].

وأخيراً أوردت المصادر أسماء التجار من مدن الجزيرة كانوا يزاولون نشاطهم التجاري داخل الجزيرة وخارجها منهم محمد بن داؤد بن محمد بن منتاب شمس الدين الموصلي التاجر (670-728هـ/ 1271-1327م) الذي تعاطى التجارة ومهر فيها، وكان التجار يخضعون له ويحتكمون اليه[5] وعلي بن محمد بن عبد العزيز بن فتوح الثعلبي الشافعي، تاج الدين المعروف بابن الدريهم (712-762هـ/ 1312-1360م الذي سافر من الموصل الى دمشق والقاهرة تاجراً أكثر من مرة[6] وكان القاسم بن ابي بكر بن

---

(1) محمد رشيد الفياض: الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد أثناء الحكم الايلخاني: 322، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد السادس، 1963.

(2) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو: 46.

(3) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 446-447.

(4) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو: 42.

(5) العسقلاني: الدرر الكامنة: 4/ 57-58.

(6) العسقلاني: الدرر الكامنة: 3/ 106. الزركلي، خير الدين: الاعلام: 5/ 6، ط4، دار العلم للملايين، 1979.

القاسم الاربلي التاجر المنعوت بأمين الدين المعروف بالمقرئ من أعيان التجار تردد بين اربل والديار المصرية وبلاد العجم وخوارزم لإغراض تجارية[1].

ب- طرق المواصلات

أولاً: طرق المواصلات البرية

من الممكن تصنيف طرق المواصلات البرية بين مدن الجزيرة بعضها مع البعض الآخر، وبين هذه المدن والبلاد المجاورة خلال فترة الحكم الايلخاني على الشكل الآتي:

أ- الطرق التي تربط بمدينة الموصل وهي:

1- طريق الموصل – بغداد:

الموصل – قيارة – قرية العقر – تكريت – سر من رأى – بغداد[2].

أو الموصل – حديثة – السن – سر من رأى – القادسية – عكبري – البردان – بغداد[3].

أو الموصل – تكريت – حربي – بغداد[4].

أو الموصل – الزاب الأعلى – الزاب الأسفل – التون كوبري – كركوك – دقوق – طوزخرماتو – كفري – زانكباد – ثم تعبر جبل حرين الى الخانص – معظم – بغداد[5].

2- طريق الموصل – الانبار:

الموصل – تكريت – الانبار[6].

---

(1) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: 4/ 121.

(2) اعتمد في تتبع هذا الخط على الطريق الذي سلكه ابن بطوطة في رحلته من بغداد الى الموصل، انظر: رحلة ابن بطوطة: 234.

(3) القلقشندي: صبح الأعشى: 4/ 403،

Mustawfi: Nuzhat- Al- Qulub: 167.

(4) ياقوت: معجم البلدان: 2/ 237؛ القلقشندي: صبح الأعشى: 4/ 403.

(5) محمد رشيد: الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد: 321.

(6) ابو الفداء: تقويم البلدان: 275.

3- **طريق الموصل – حلب:**

الموصل – بلد – نصيبين – دارا – كفرتوثا – رأس العين – الرقة – الرستن – منبج – حلب[1].

أو الموصل – حران – جسر منبج – منبج – حلب[2].

4- **طريق الموصل – ماردين:**

الموصل – عين الرصد – المويلحة – جزيرة ابن عمر – نصيبين – سنجار – دارا – ماردين[3].

5- **طريق الموصل – ميافارقين:**

الموصل – حصن كيفا – ميافارقين أو الموصل – ماردين – ميافارقين. والطريق الأول اقصر من الثاني[4].

6- **طريق الموصل – الرها:**

الموصل – نصيبين – رأس العين – حران – الرها[5].

7- **طريق الموصل – ملطية:**

الموصل – آمد – سيماط[6] – ملطية[7].

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى: 4/ 402.

(2) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا: 155-156. ويسمي منبج باسم نجم ويضيف بأن حران تقع في (000 جادة الموصل من حلب000).

(3) الطريق الذي سلكه ابن بطوطة: انظر: رحلة ابن بطوطة: 236-238.

(4) ابو الفداء: تقويم البلدان: 285.

(5) ابو الفداء: تقويم البلدان: 273-274.

(6) ابو الفداء: تقويم البلدان: 273.

(7) محمد: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية: 270.

8- طرق اقل أهمية وتتمثل:

الموصل – بلد – برقعيد[1].

الموصل – بلد – تل أعفر – سنجار[2].

ب- **الطرق التي ترتبط بماردين[3]:**

1- طريق ماردين – حلب:

ماردين – الرها – البيرة – حلب[4].

2- طريق ماردين – حصن كيفا – تبريز:

ماردين – حصن كيفا – سعرت – وان – وسطان – سلماس – تبريز[5].

ت- **الطرق التي ترتبط بميافارقين[6]:**

1- طريق ميافارقين – حلب:

ميافارقين – آمد – الرها – حلب[7].

2- طريق ميافارقين – تبريز:

ميافارقين – ارزن – خلاط – باركري – خوي (وخوي في جنوب أرمينيا – مرند – تبريز[8] ويبدو ان هذا الطريق قد حافظ على اتجاهه في العهد الايلخاني.

---

(1) ابو الفداء: تقويم البلدان: 274.

(2) انظر ابو الفداء: تقويم البلدان: 285، القلقشندي: صبح الأعشى: 4/ 322-323. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية: 129-130.

(3) سبق الإشارة لطريق الموصل – ماردين.

(4) القلقشندي: صبح الأعشى: 4/ 403.

(5) القلقشندي: صبح الأعشى: 405.

(6) سبق الإشارة لطريق الموصل – ميافارقين.

(7) محمد: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية: 272.

(8) محمد: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية: 271.

ثانياً: الطرق المائية:

وتتمثل الطرق المائية بنهري دجلة والفرات وروافدهما، فضلاً عن بعض البحيرات الصغيرة. ولا تمتلك معلومات وافية عن مدى استخدام مجاري هذه الأنهار للنقل: ولكن من الثابت لدينا ان بعض مدن الجزيرة التي تقع على نهر دجلة كانت تستخدم هذا النهر على نطاق أوسع من المدن التي تقع على نهر الفرات.

ويبدو ان سبب قلة استخدام نهر الفرات للملاحة يرجع بالأساس الى كثرة تعرجاته التي تطيل كثيراً من امتداده، وكذلك بسبب ما يعترضه من جنادل وشلالات تؤدي الى زيادة سرعة التيار، وقد استغل سكان المدن ميزة قوة التيار المائي في إدارة النواعير لري المزروعات خاصة في المنطقة الممتدة بين هيت وشمال عانة[1].

وعن مدى استخدام نهر دجلة للملاحة فيظهر انه ظل محتفظاً بأهميته للنقل منذ القرن الرابع الهجري[2] وحتى نهاية القرن السابع الهجري، فذكر ضمن أحداث سنة 688هـ/ 1289م بأن مائتي رجل من الافرنجة ركبوا نهر دجلة وعمر الموصل 000 قاصدين الذهاب الى بغداد ليهيئوا المراكب وينحدروا الى البصرة 000) [3] وان السفرة النهرية بين الموصل وبغداد كانت تتم خلال (15) يوماً، اما في أثناء موسم الفيضانات فتستغرق (3 أو 4) أيام[4] ويذكر ابن سعيد المغربي ان مجرى نهر دجلة جنوب آمد كانت تسير فيه الاكلاك، وان المراكب كانت تبحر بين بحيرة ارجيش التي تقع في الشمال الشرقي من الجزيرة الى خلاط[5].

---

(1) شريف، إبراهيم: الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الإسلامي: 1/ 127، 131، مطبعة شفيق، بغداد.

(2) ابن حوقل: صورة الأرض: 202-203.

(3) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 395.

(4) محمد رشيد: الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد: 316.

(5) كتاب الجغرافيا: 171.

ث – الضرائب وأسلوب جبايتها:

الضرائب:

تصنف الضرائب الى شرعية وغير شرعية، ويدخل في الصف الأول ضريبة الخراج والجزية وعشور التجارة والصدقات وخمس المعادن وأرث من يموت بدون وارث، ويدخل في الصف الثاني كل ما استحدث من ضرائب أخرى غيرها[1].

كانت الدولة الإسلامية في بداية عهدها تعتمد في مواردها المالية على الزكاة والغنائم والضرائب الشرعية، وفي العهد العباسي أصبحت الضرائب الشرعية وحدها غير قادرة على سد متطلبات نفقات الحكم المتزايدة، بسبب توقف حركة الفتوحات الإسلامية، وتقلص رقعة الخلافة نتيجة لحركات الانفصال الكثيرة التي أدت الى حرمان بيت المال من مصادر مالية كبيرة، وانعكس كل ذلك على الضرائب خاصة الضرائب غير الشرعية التي زاد الاعتماد عليها والتي أصبحت تضم عدة أنواع تسمى سوكس، وقد فرضت على الحوانيت والأسواق والإرث ونقل البضائع التجارية والطواحين والدور والدخل والمراعي[2].

ورث المغول النظام المالي هذا ولم يميزوا فيه بين الضرائب الشرعية وغيرها ما دام ذلك يوفر لهم اكبر قدر ممكن من المال، واعتبروا كل أنواع الضرائب التي كانت معمولاً بها في العهد العباسي مصدراً يهتدى به[3].

---

(1) قدامة ابن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة: 209-210، 224 – 225، 238، 241-243، 245، 251-255، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981، تحقيق محمد حسين الزبيدي. محمد: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية: 223 والحاشية.

(2) الدوري، عبد العزيز: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري: 182، 192-196، ط1، دار المشرق، بيروت، 1974. خصباك: العراق في عهد المغول الايلخانيين، 107-108.

(3) القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية: 252-253.

1- الخراج:

عرفت الدولة العربية ضريبة الخراج، وكانت في العهد العباسي تؤخذ بالمقاسمة ثم خفضها الخليفة المأمون الى الخمسين[1].

وكان الفلاح يدفع الضريبة اما نقداً او عيناً او بكليهما معاً تخفيفاً عنه[2] ولا يوجد هناك ما يشير الى ان المغول قد أحدثوا تغييراً في نظام هذه الضريبة[3] سوى بعض التلاعب في نسبها قام به الجباة او الولاة، وكثيراً ما كان سلاطين المغول يرفعون ما تجدد من زيادات على هذه الضريبة لغرض التحقيق من الرعية، من ذلك ما فعله مانكوخان بعد ان وصل الظلم والجور أشده لدرجة ان محصول المزارعين (000 لم يعد يفي بنصف ما يطلب منهم ...) [4] عند ذاك أمر الجباة بإتباع طريق المساحة والمواساة وان يؤدي كل شخص على قدر استطاعته وقدرته، وكذلك ما فعله أرغون عندما أمر بقتل أروق الذي كان نائباً عنه في ديار بكر بسبب شكوى الناس منه لتعسفه في جميع الضرائب ولاختلاسه أموال الولاية[5]. ولعل أفضل إجراء اتخذ خلال الحكم المغولي هو ما قام به غازان من إصدار أمر بمسح جميع الأراضي من جديد وتتخذ نتائج ذلك أساساً في فرض الضريبة لغرض تشجيع التطور الاقتصادي والقضاء على أهواء الحكام من المغول في التلاعب بهذه الضريبة[6] وأخيراً ما قام به اولجايتو من إلغاء لبعض الضرائب الإضافية التي كانت تجبى مع الخراج[7].

---

(1) ابن الطقطقا: الفخري في الآداب السلطانية: 182، 216.

(2) انظر: ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 493. محمد رشيد: الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد: 310.

(3) محمد رشيد: الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد: 310.

(4) رشيد الدين: جامع التواريخ: تاريخ خلفاء جنكيزخان، 216.

(5) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 2/ 143.

(6) بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية: 392، ترجمة أمين فارس، منير البعلبكي، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1977.

(7) حافظ ابرو: ذيل جامع التواريخ: 55.

2- الجزية:

فرضت ضريبة الجزية على أهل الذمة لقاء ما تقدمه الدولة لهم من خدمات إلى جانب إعفائهم من الجيش على وفق ما اقره عمر بن الخطاب (ﷺ) وتسقط هذه الضريبة عن الشخص اذا اعتنق الإسلام[1] وقد استمر العمل بهذه الضريبة على هذا النحو حتى العصر العباسي الأخير. اما في العهد المغولي فقد شملت الجزيرة الجميع دون تمييز بين أهل الذمة والمسلمين، وقد حددها منكوخان بسبعة دنانير يدفعها الغني، ودينار واحد يدفعه الفقير، ويستثنى منها طبقة رجال الدين من المسلمين والنصارى. وكبار السن والعاجزين عن العمل[2].

ويبدو ان المغول لم يبتعدوا كثيراً عن التحديد الذي وضعه منكوخان[3]. وفي عهد احمد تكودار الذي أعلن إسلامه تحدد موقف الدولة التي أصبح الإسلام ديناً رسمياً لها، من أهل الذمة ففرضت عليهم الجزية[4].

واعفيت منها الكنائس والأديرة والقسس والرهبان بمقتضى الإعفاءات الشرعية[5]

---

(1) قدامة ابن جعفر: الخراج وصنعة الكتابة: 224-225.

(2) رشيد الدين: جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيز خان: 217.

(3) قرر على أهل بغداد سنة 657هـ بأن يدفع كل واحد منهم جزية كل سنة على قدر حاله ما عدا الشيخ الكبير ومن هو غير بالغ. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 339.

(4) جاء في رسالة احمد تكودار الى السلطان قلاوون ما نصه (000 قرننا ابتدائنا – بتوفيق الله تعالى – بإعلاء أعلام الدين وإظهاره – في إيراد كل أمر وإصداره تقديماً، وإقامة نواميس الشرع المحمدي على مقتضى قانون العدل الأحمدي إجلالاً وتعظيماً 000)، ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام: 8 واحد جوانب الشرع هو فرض الجزية على أهل الذمة.

(5) الشيرازي: وصاف الحضرة: م3/ 324. السمعاني، يوسف توما: كتاب تواريخ كافة الخليقة: 210، مخطوطة في المكتبة العامة في الموصل تحت رقم 8، الاعظمي، علي ظريف: مختصر 09؛ تاريخ بغداد: 135، مطبعة الفرات، بغداد، 1926.

وفي عهد أرغون لم يستثنى المسلمون من هذه الضريبة وهذا ما يؤكده ابن العبري، اذ يشير الى ان المغول أرسلوا متي الشجاع عمود النصارى بالموصل كي يجبي الجزية من أهلها غير ان السعود بين أتباع سعد الدولة اليهودي خصوم المسيحيين استشاطوا غضباً لتسليط رجل مسيحي عليهم، فهجموا على متى وأردوه قتيلاً، وحدث ذلك سنة 689هـ وتحديداً في شهر تموز 1290م، فسارع أبناء المقتول الى أرغون الذين اصدر لهم أمر الانتقام لأبيهم وتغريم السعود عشر ربوات ذهب[1].

وتشدد غازان مع اليهود واحتقرهم، ومنع النصارى من التظاهر في المحافل، وأهان رؤساءهم بالشتائم وأجبروا على مفارقة دينهم وألزمهم مع اليهود بدفع الجزية[2] والبس الغيار[3]، وعلى ذات المنوال سار خدابندا وابو سعيد[4].

3- المكوس:

وهي من الضرائب غير الشرعية التي كانت معروفة في الجاهلية، وقد ندد بها الإسلام[5]، وكانت تفرض عادة على السلع التي تباع في الأسواق[6]، وعلى البضائع المنقولة من منطقة الى أخرى براً ونهراً داخل الإقليم الواحد[7]، وعلى التجارة الواردة من الخارج[8].

---

(1) تاريخ الدول السرياني: 397-398.

(2) الشيرازي: وصاف الحضرة: م3/ 324، مجهول: نصوص عن المماليك: 36، نصري الكلداني: ذخيرة الأذهان: 2/ 19، 20.

(3) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 483.

(4) انظر: المقريزي: السلوك: 2/ ق1/ 211، نصري الكلداني: ذخيرة الأذهان: 2/ 20.

(5) العزاوي: تاريخ الضرائب العراقية: 11، طبع شركة التجارة والطباعة، بغداد، 1959.

(6) محمد: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية: 230 والحاشية ويطلق عليها في الوقت الحاضر اسم السلع الاستهلاكية والسلع الإنتاجية.

(7) الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري: 192.

(8) المقريزي: السلوك: 2/ ق1/ 215، وقد فرضت الدولة العربية على التجارة ضريبة العشر، ويبدو ان المغول، لم يلتزموا بالتطبيق الشرعي لهذه الضريبة لذلك عدت مكساً.

وقد أثقلت هذه الضريبة كاهل الناس التجار خاصة ويؤخذ من نقش يرجع عهده الى شهر رجب سنة 731هـ/ 1330م وجد في ديار بكر نموذج مما كان التجار يتحملونه من إضافات وقد جاء فيه: (ان يسقط عن تجار آمد المحروسة ما كان يؤخذ منهم من الأوزان والمقررات والوظائف والطارقات، وان يطلق لهم ويزال عنهم ضمان الكمري، وان يستمر الكيل عندهم على عادته المستمرة وقاعدته المستقرة 000) [1] واصدر ابو سعيد مرسومين فيما يتعلق بالمكوس الأول في سنة 720هـ/ 1320م ابطل بموجبه المكوس التي تجبى من التجارة الواردة الى دولته من البلاد الخارجية[2] والثاني في سنة 736هـ/ 1335م اسقط بموجبه المكوس التي تجبى من تبريز وبغداد والموصل[3].

4- حصة الدولة من الأوقاف:

كان ناظر أوقاف الدولة المغولية يأخذ عشر مستغلات الأوقاف في كل سنة، وله في كل بلد نواب معتمدون يأخذون الضريبة نيابة عنه ويرسلونها الى نصير الدين الطوسي الذي تولى مسؤولية الإشراف عليها ليصرفها على مرصده في مراغة[4] ثم أصبحت هذه المسؤولية مناطة بالشيخ عبد الرحمن بن عبد الله[5] ثم انتقلت الى أبناء الطوسي[6].

5- ضريبة المصادرة:

وهي ان يقبض على احد الولاة أو موظفي الدولة بمختلف درجاتهم بعد عزله، فيصادر أو تؤخذ منه أموال يحدد مقدارها بغض النظر عن قدرة متحملها على الدفع وغالباً ما كان يرافق ذلك تعريض حياة المصادر الى التعذيب، كما حدث لمسعود البرقوطي حاكم الموصل عندما عزل عن ولايته سنة 668هـ/ 1269م وحوسب واخذ منه

---

(1) القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية: 261.

(2) المقريزي: السلوك: 2/ ق1/ 211.

(3) المقريزي: السلوك: 2/ ق2/ 389.

(4) الكتبي: فوات الوفيات: 3/ 250.

(5) اليونيني: ذيل مرآة الزمان : 4/ 206.

(6) ابن أيبك: كنز الدرر: 9/ 32. الكتبي: فوات الوفيات: 3/ 251.

ما وصل اليه من أموال خلال فترة حكمه[1]، وتجددت هذه الحالة مع مسعود خلال فترة حكمه الأخيرة، اذ عزل سنة 688هـ/ 1289م وطولب بدفع عشر ربوات ذهب، وكذلك حدث مع تاج الدين عيسى بن المختص حاكم اربل اذ عزل سنة 688هـ/ 1289م وانزل به المغول اشد العذاب حتى استحصلوا منه خمسين ألف دينار[2].

6- ضريبة القوبجور:

وتسمى بضريبة المراعي، وتقرر على أصحاب المواشي في كل سنة في مقابل ما رعته مواشيهم من نبات الأرض[3] وقد حدد مقدارها منكوخان بان يدفع كل من يملك مائة رأس من كل صنف من المواشي التي ترعى في المراعي المسماة قوبجور رأس واحد[4].

ثانياً: أسلوب جباية الضرائب:

اتبع المغول ثلاثة أساليب في جباية الضرائب وهي الإقطاع والضمان والجباية المباشرة.

والإقطاع: هو أن تقطع القرية ونحوها لحد الأفراد ويقرر على مقطعها مبلغ من المال يؤديه للدولة كل سنة[5]. وهذا النوع من الإقطاع كان معمولاً به منذ العهد العباسي الأول[6].

قدمت المصادر لنا أسماء عدد من المقطعين، فأباقاخان اقطع قوتي خاتون زوجة هولاكو وإحدى محظيات زوجها بعض المواضع من ديار بكر وميافارقين، وكان يجبى

---

(1) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 367.

(2) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 391-392.

(3) النويري: نهاية الإرب: 8/ 262.

(4) رشيد الدين: جامع التواريخ "تاريخ خلفاء جنكيزخان": 217.

(5) القلقشندي: صبح الأعشى: 13/ 123.

(6) كاهن: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية: 123-124.

منها ما يقارب مائة ألف دينار[1]. ويذكر ان مقطع ديار بكر بهاء الدين بن حسام الدين يبجار النابتري تمرد على المغول سنة 674هـ/ 1275م وتحالف مع مماليك الشام ومصر، واتفق معهم على ان يقدم ضم ما كان يؤديه للمغول[2]. وكان منكوتمر بن هولاكو قد نزل جزيرة ابن عمر سنة 680هـ/ 1281م، وكان أبوه قد اقطعها لأمه[3]، وهناك من يشير الى ان محمد خدابندا قد ملك احد بن عمير زعيم عشيرة الفضل الموصل[4] على سبيل الإقطاع.

والضمان: هو أكثر الأساليب شيوعاً في جباية الخراج والكري والأسماك والخمور والفواحش[5] وضرائب الأسواق، وكان متوليها يسمى الضامن حيث يتكفل احد الناس بتقديم مبلغ معين للدولة عن منطقة من المناطق أو عدة مناطق مما قبل جباية ضرائبها لنفسه، وعادة كان حكام المدن هم الضامنون الرئيسيون لضرائب مدنهم، والتي يقدمونها للحكومة المركزية، ويقوم الحاكم بدورهم بتضمين كل منطقة لآخرين يتعهدون بتقديم المبلغ المتفق عليه، ويحتفظون بالباقي لأنفسهم[6] من ذلك ان بدر الدين لؤلؤ ضمن مدينة اربل من هولاكو بمبلغ قدره سبعين ألف دينار سنوياً[7] ثم أعطاها لشرف الدين الجلالي[8] وان الملك المظفر قرا ارسلان صاحب ماردين ضمن مدينة نصيبين من المغول

---

(1) رشيد الدين: جامع التواريخ: م2/ 2/ 17.

(2) اليونيني: ذيل مرآة الزمان : م3/ 116-117.

(3) ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 248، المقريزي: السلوك: 1/ ق2/ 699.

(4) طلس، محمد اسعد: عصر الانحدار: 23-24 (ط1، دار الأندلس، بيروت، 1963م).

(5) العسقلاني: الدرر الكامنة: 1/ 12، القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية: 266.

(6) كاهن: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية: م1/ 123، خصباك: العراق في عهد المغول الايلخانيين: 114-115، محمد: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية: 234.

(7) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 134، الاعظمي: مختصر تاريخ بغداد 1/ 7.

(8) الصائغ: تاريخ الموصل: 1/ 247، إسماعيل، زبير بلال: اربل في أدوارها التاريخية: 200، مطبعة النعمان، النجف، 1971م.

في سنة 661هـ/ 1263م[1] وعقد ضمان جزيرة ابن عمر لابن القرقوبي. ويبدو ان هذا قد عجز عن الإيفاء بالتزاماته، فقتله المغول حوالي سنة 680هـ/ 1281م[2].

اما الجباية المباشرة: فهي ان يكون للدولة موظفون لهم معرفة بشؤون الضرائب يقومون بجبايتها بناءاً على أوامر تصدر لهم واهم الضرائب التي كانت تجبى بهذه الطريقة هي الجزية والأوقاف[3].

ج- النقود والنظام النقدي:

كان التعامل النقدي في الجزيرة في العهد المغولي قائماً على أساس الدينار الذهبي والدرهم الفضي والفلوس النحاسية. ويبدو ان النقود الفضية والنحاسية كانت هي الأكثر تعاملاً في السوق لسهولة الحصول على خامات الفضة والنحاس محلياً[4] من بلاد إيران القريبة من الجزيرة[5] في حين ان خامات الذهب غير متوفرة محلياً، بل كانت تستورد من أماكن بعيدة لا يضمن استمرار تدفقها على دور الضرب بسبب الظروف السياسية المتقلبة التي كانت سائدة في هذه الفترة[6].

---

(1) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 139.

(2) ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 248. ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات: م7/ 235.

(3) انظر: ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 397-398.

(4) ابن الأثير: الكامل 8/ 310.

Mustawfi: Nuzhat – al –Qulub: 104.

وهناك من يذكر ان للموصل مناجم فضة كانت قد سيطرت عليها بعض الدول الشمالية في العهد الاتابكي. الحسيني: العملة الإسلامية في العهد الاتابكي: 79. ويبدو أن الموصل قد استعادت سيطرتها على هذه المناجم.

(5) الحسيني: العملة الإسلامية في العهد الاتابكي: 79 وعن مناطق وجود الفضة في إيران. انظر: لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية: 332، 354، 389.

(6) كثيراً ما كان تجار الذهب يتعرضون الى النهب، ويورد ابن العبري مثالاً على ذلك في ان التجار النصارى والمسلمين القادمين الى الموصل بأحمالهم من الذهب قد نهبت جميع أحمالهم في قيسارية المدينة عندما هاجم الموصل جند الشام سنة 685هـ. تاريخ الدول السرياني: 387-388.

ويلاحظ على النظام النقدي في إقليم الجزيرة ظاهرة تعدد دور الضرب التي تتوزع على الموصل واربل وسنجار وماردين وغيرها من المدن، إضافة الى تباين النقود المضروبة من حيث الوزن والحجم بين المدينة الواحدة،وبينها وبين مدن أخرى داخل الإقليم[1]. كما ان كثير من العملات المتداولة يبطل استعمالها وتعاد للتداول ثانية بعد مرور فترة زمنية قصيرة قد لا تتعدى السنة، كما حدث في الموصل سنة 660هـ/ 1262م اذ كان فيها دراهم تسمى (الدراهم السود) كل أربعين درهم بدينار، فهذه أبطلت وضربت مكانها دراهم نقرة (فضة) وفلوس[2]، وفي سنة 682هـ/ 1283م أبطلت الفلوس النحاسية وضرب بدلها فلوس فضية كل اثني عشر فلساً منها بدرهم وسميت "دناكش"، وسرعان ما بطلت هذه في السنة التالية أي 683هـ/ 1284م وأعيدت الفلوس النحاسية ثانية للتداول[3].

ان هذه الظواهر التي ذكرناها تدل على عدم استقرار الوضع الاقتصادي واضطراب السوق، ولعل أسباب ذلك يرجع الى اضطراب الوضع السياسي للدولة الايلخانية بصورة عامة وإقليم الجزيرة بصورة خاصة جراء الحروب التي نشبت على أرضها بين المماليك والمغول بين الفينة والأخرى وما صاحب ذلك من تدمير للبنى الاقتصادية للإقليم[4]. إضافة الى عدم توفر معدن الذهب والفضة بكميات كبيرة تسد حاجة السوق.

ويبدو ان السلطان غازان قد تنبه الى ما لحق بالاقتصاد من أضرار جراء غياب سياسة نقدية موحدة للدولة تلتزم بها كافة الأقاليم، وفي محاولة منه لإصلاح ذلك عمل على توحيد العملة في جميع انحاء الإمبراطورية الايلخانية مع ضمان سلامة العملة من

(1) لاحظ هذا التباين والاختلاف في النماذج التي استشهدت بها كأمثلة في الصفحات التالية.

(2) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 348. العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين: 1/ 244.

(3) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 430-431.

(4) عن هذه الاضطرابات وما خلفته من أضرار اقتصادية انظر: الفصل الثاني.

الغش[1] ومن ذلك ما ذكره ابن الفوطي من ان غازان أمر سنة 698هـ/ 1299م ان يصفى الذهب والفضة من الغش وتضرب دراهم متساوية الوزن ليتعامل بها الناس بحيث يكون وزن الدرهم نصف مثقال، ودراهم أخرى وزن الواحد منهما ثلاثة مثاقيل وأخرى وزن الواحد منها مثقال واحد، ويكون كل مثقال من الذهب بأربعة وعشرين درهماً، وضرب من الذهب نقوداً من وزن خمسة مثاقيل وثلاثة مثاقيل ومثقالان ونصف مثقال وربع مثقال وأمر ان يعمل مثل هذا في جميع أقاليم الدولة الايلخانية فعمل وانتفع به الناس[2].

وتتوفر في المتحف العراقي قطع نقدية مختلفة الأحجام والأوزان وفيما يخص النقود الذهبية توجد ثلاثة دنانير ضربت في الموصل سنة 658هـ/ 1260م و 672هـ/ 1273م ودينار آخر من ضرب اربل ومؤرخ سنة 703هـ/ 1303م وأقطارها على التوالي (27) ملماً و (27.5) ملماً و (25) ملماً، اما أوزانها فتتراوح بين (3.350) غم و (4.953) غم و (7.790) غم[3].

وفيما يأتي تفاصيل لنموذجين من هذه النقود.

1- الوجه	الظهر
مركز الوجه:	منكو
الحمد لله	قان الأعظم
لا إله إلا الله	هولاكو ايلخان
وحده لا شريك له	المعظم
محمد رسول الله	زيدت عظمتها
صلى الله عليه وسلم	الأمم

---

(1) خصباك: العراق في عهد المغول الايلخانيين: 123. وانظر بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية: 392.

(2) الحوادث الجامعة: 498.

(3) ساجدة الشكري وتصر النقشبندي: الدينار الإسلامي: 64-65، مجلة سومر، جزء الأول، المجلد الحادي عشر 1955.

النطاق: بسم الله ضرب هذا الدينار المبارك

بالموصل سنة ثمان وخمسين وست مائة[1].

الطوق: لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ

يفرح المؤمنون بنصر الله

2- الدينار الذي ضرب سنة 672هـ/ 1273م بالموصل مدون عليه نفس ما مدون على الذي قبله ما عدا زيادة عبارة:

العظمة لله

لا اله الا الله — في مركز الوجه

3- **الوجه** — **الظهر**

الوجه	الظهر	
مركز الوجه:	المركز	
الله	(تكركين)	"زخرفة"
لا اله إلا الله	قوجندوز	= الله بقدرة
ضرب اربل	غازان محمود	= القدرة الله
محمد	(غازانو)	= غازان
رسول الله	تلتكه كوتك	= مضروب سن

الطوق:

ضرب / اربل / سنة / ثلاث و / سبعمائة[2].

---

(1) تذكر السيدة مهاب درويش البكري ان ما مدون على هذا النقد هو 668هـ وليس 658هـ وان تاريخ الأخير هو الصحيح وان كان النقشبندي قد صحح هذا الخطأ دون قصد. العملة الإسلامية في العهد الايلخاني، 97، 99، مجلة سومر، الجزء الأول والثاني، المجلد الثاني والعشرون، 1966.

(2) عبد الرزاق ناهض المسكوكات: 121، الناشر جامعة بغداد، طبع في مطابع دار السياسة، الكويت. ماجدة الشكري وناصر النقشبندي، الدينار الإسلامي: 64-65؛ مهاب درويش: العملة الإسلامية في العهد الايلخاني: 97-98.

ويلاحظ على هذه الدنانير خلوها من ظاهرة الصور الآدمية والحيوانية وغيرها من الأشكال التي سنجدها بكثرة على النقود النحاسية. كما قد حدث خطأ في كتابة تاريخ الدينار رقم (2) حيث كتب عليه سنة 672هـ/ 1273م وهذا لا يتفق وحكم هولاكو الذي توفي سنة 663هـ/ 1265م ويبدو ان النقاش قد وقع في هذا الخطأ مستنداً في ذلك على اللقب والدعاء الممنوح له (هولاكو ايلخان المعظم زيدت عظمتها الأمم) وان هذا اللقب والدعاء لا يمنح لشخص متوفي[1].

ثانياً: الحركة الأدبية والعلمية والمدارس:

أ- الحركة الأدبية والعلمية

كان للغزو المغولي على الجزيرة أثره الكبير في إضعاف الموارد الثقافية فيها، وقد تمثلت بذلك التراث الثقافي النفيس الذي تعرض معظمه الى التلف والسرقة والضياع والتدليل على ذلك ما قاله الخطيب العمري من ان المغول عندما دخلوا الموصل سنة 660هـ/ 1262م استباحوا المدينة (... قتلاً وأسرا ونهبا والقوا الكتب في دجلة كما فعلوا في بغداد)[2] وهناك ما يشير الى ان أكثر من (400) ألف كتاب ضمتها مكتبة نصير الدين الطوسي في مراغة كانت قد نهبت من بغداد والشام والجزيرة[3].

ولم تنحصر الكارثة في هذه الموارد بل امتدت فأهلكت من العلماء العدد الكبير ومن نجوا من القتل تركوا البلاد هاربين بأنفسهم الى العراق الذي كان قد استتب فيه الأمن بعد مرور أربع سنوات على احتلاله والشام ومصر وغيرها من البلاد القريبة وواصلوا هناك علومهم وتركوا لنا بعض نتاجاتهم الثقافية والعلمية[4].

---

(1) عبد الرزاق: المسكوكات: 121.

(2) منهل الأولياء: 1/ 126.

(3) الكتبي: فوات الوفيات:3/ 247. الصفدي: الوافي بالوفيات: 1/ 179، منشورات فرانز سبادن، 1961، تحقيق هلمرت ريتر.

(4) كان عدد من هاجر من علماء الموصل والجزيرة الى البلاد المجاورة كثيراً بسبب الاحتلال المغولي، وقد أحصيت عدد منهم من كتاب الدرر الكامنة، العسقلاني فبلغ (52) عالماً. للاطلاع انظر:

وأما من بقي منهم في الجزيرة فقد انتزعت منه حرية التفكير والإبداع، على ان الأمر لم يستمر كذلك طويلاً فسرعان ما غير المغول سياستهم تجاه العلماء والأدباء بعد ان استتب لهم الأمر.

وقد وصف بعض المؤرخين هولاكو بأنه (... كان يحب العلماء والفضلاء ويحسن اليهم ويجزل صلاتهم ...)[1] وكان نصير الدين الطوسي – الذي درس في الموصل على يد كمال الدين بن يونس الموصلي-[2] الساعد الأيمن لهولاكو وبنى له مرصداً فلكياً كبيراً في مدينة مراغة[3] وقد قلده هولاكو الأوقاف، وفوضه ان يصرف منها على العلماء[4] فقرب هذا عدداً من علماء الجزيرة اليه ودعاهم الى العمل في مرصده،[5] كما كان يصرف الأموال على إدارات المدارس في بغداد والموصل، وعلى المعلمين والطلبة[6] وبلغت رواتب بعض معلمي الموصل ألف وثمانمائة درهم في الشهر[7].

ج1/ 85، 102، 110، 143، 176، 185، 210، 212، 267، 271، 345، 360، 380، 381، 469، 476، 478، 480، 484، 490، 493، ج2/ 143، 227، 226، 287، 270، 429، ج3/ 8، 20، 30، 33، 52، 65، 82، 90، 91، 112، 134، 197، 203، 218، 237، 366، ج4/ 472، 55، 57، 72، 86، 138، 139، ج5/ 208، 3، 363.

(1) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 353. وذكر الكتبي بأنه كان (000 ذا همة عالية 00 وعجبة في العلوم العقلية من غير أن يتعقل منها شيئاً. اجتمع عنده جماعة من فضلاء العالم، وجمع حكماء مملكته وامرهم ان يرصد الكواكب 000) فوات الوفيات: 4/ 240.

(2) الكتبي: فوات الوفيات: 3/ 249.

(3) الصفدي: الوافي بالوفيات: 1/ 179. بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية: 389.

(4) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 151.

(5) انظر: ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 4/ ق3/ 215-216 و 3/ 228، كتاب الكاف. ابن العماد: شذرات الذهب: 6/ 48 .

(6) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني:

(7) الذهبي: من ذيول العبر: 83، مطبعة حكومة الكويت، تحقيق محمد رشاد عبد المطلب.

كما يمكن ان نعد تعمير جامع النبي يونس والنبي جرجيس في الموصل وتوسيعهما أيام أباقاخان[1] جزءاً من اهتمام اباقاخان بالمؤسسات الدينية التي تقام عادة فيها بعض النشاطات الثقافية ذات الطابع الديني.

وعرفنا من السلطان احمد تكودار رغبة صادقة في تنشيط حركة العلم واحتضان العلماء وممن كانت له الحظوة عنده الشيخ عبد الرحمن[2] وكان هذا شغوفاً بالعلماء وتتلمذ على يد عالم الموصل موفق الدين الكواشي[3] ويستدل كذلك من رسالته التي بعثها الى سلطان مصر المنصور سيف الدين قلاوون والتي جاء فيها (... وتقدمنا بإصلاح أمور أوقاف المسلمين من المساجد والمشاهد والمدارس وعمارة بقاع البر والربط الدوارس ...)[4].

وتوسعت حركة العلم كثيراً في عهد غازان وحاول ان يعوض بعض ما لحق بالبلاد من خسائر جراء الجرائم التي اقترفها أسلافه فاصدر أمراً الى سائر أنحاء مملكته بان تستأصل معابد الأوثان وان تشيد مكانها المدارس لأبناء المسلمين[5] كما أوقف أموالاً طائلة على دور العلم وشيد مرصداً فلكياً ومدرسة العلوم الدنيوية التي كان هو وغيره من محبي العلم يقدرونها قدراً كبيراً لما لها من الفائدة العلمية[6] كما قرر إنشاء دور في كل من بغداد والموصل وتبريز والحلة اسماها دور السيادة الغرض منها الاهتمام بآل البيت[7] ولاشك ان بعض النشاطات الثقافية ذات الطابع الديني كانت تمارس في هذه الأماكن.

---

(1) نافع توفيق عبود: مدارس العراقية في عهد الاحتلال الايلخاني: 241، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد الأول، بغداد، 1981.

(2) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 431-432.

(3) ابن أيبك: كنز الدرر: 8/ 262-263.

(4) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: 290-291. بن عبد الظاهر: تشريف الأيام: 8.

(5) ابن العبري: تاريخ الدول السرياني: 595.

(6) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية: 391، 393.

(7) الغياث، عبد الله بن فتح الله البغدادي: التاريخ الغياثي، 5/ 53، مطبعة اسعد، بغداد، 1975، تحقيق طارق نافع الحمداني.

وكان يستدعي العلماء البارزين ويرعاهم ويكرمهم وممن حظي عنده مجد الدين ابو طاهر إبراهيم الاسعردي الذي أحبه غازان وأمر بتخصيص راتب سنوي له[1].

وفي عهده كان لحاكم الموصل فخر الدولة أبو محمد عيسى بن هبة الله النصراني الموصلي فضل كبير في تشجيع الحركة الثقافية، فقصده الشعراء والأدباء فأحسن صلتهم وانعم عليهم[2] وقد امتدح ابن الطقطقا الحركة العلمية في الموصل، وأكد ان معظم العلوم التي كانت في بلاد المغول تدرس في الموصل[3].

ولاشك ان الحركة الثقافية قد استمرت على هذا النمط لدى خلفاء غازان، اذ لا يوجد ما يشير الى حدوث اية مضايقات للعلماء أو أي تخريب للمؤسسات العلمية، بل ذكر ان أحوال الموصل قد تحسنت في زمن ابو سعيد الذي استعمل على الموصل علاء الدين علي بن شمس الدين الملقب بحيدر، فأحسن هذا إدارتها وأعاد للموصل حضارتها وعمرانها[4] وجدد بنايات بعض مدارسها، ومنها المدرسة النظامية[5].

ولعل من المفيد هنا ان نستعرض أهم النشاطات الثقافية العلمية التي كان يقوم بها علماء الجزيرة في هذه الفترة.

فما يخص الحركة الشعرية نجد ان موضوعات التصوف قد طغت على الشعراء لتعسف المغول وجورهم وبطشهم على أهل الجزيرة بحيث دفعت هؤلاء الناس على حسرت الأيام التي كانوا عليها قبل الاحتلال، فاتجهوا الى الله سبحانه وتعالى وتركوا ملذات الدنيا[6] ولكن هذا لا يعني ان باقي الموضوعات الشعرية قد أهملت فهناك

---

(1) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 5/ 91 (كتاب اللام والميم).

(2) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 4/ ق3/ 277.

(3) الفخري: في الآداب السلطانية: 19.

(4) الصائغ: تاريخ الموصل: 1/ 249.

(5) الديوه جي: مدارس الموصل في العهد الاتابكي: 3، مطبعة الرابطة، بغداد، 1957.

(6) حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول: 267.

شعراء أجادوا في الغزل وطال المدح والرثاء والهجاء والفخر وغيرها أبواباً سعى اليها الشعراء[1].

وذكرت المصادر لنا أسماء عدد من شعراء الموصل والجزيرة ومنهم الشاعر كمال الدين ابو الغنائم المظفر بن محمد بن عليش الموصلي الشاعر الذي كان حياً سنة 671هـ/ 1272م وله شعر حسن وينقل ابن الفوطي بيتاً من شعره[2]:

بالله يا نفحات البان والضال لا تهتكي سر وجدي بين عذالي

ويذكر ابن الفوطي ان كمال الدين ابو علي احمد بن عبد العزيز المعروف بالخلعي الموصلي الشاعر بأنه كان أديباً له أشعار كثيرة وديوان انشد له منه[3].

وهناك من يقال لنا بيتين للشاعر محمد بن حباك الموصلي المتوفي سنة 714هـ/ 1315م دون ان يعطي لنا ترجمة عن حياته[4]:

إذا الحب لم يشغلك عن كل شاغل

فما ظفرت كفاك منه بطائل

وما الحب إلا خمرة تسكر الفتى

فيصبح نشواناً لطيف الشمائل

والى جانب هؤلاء يذكر ابن الفوطي نقلاً عن الشيخ جمال الدين الربعي السنجاري ان الشاعر قوام الدين ابو بكر عبد الله بن إبراهيم بن محمد المعروف بالقنواتي السنجاري كان أديباً فاضلاً له شعر حسن وهو باق في سنجار وانشد له[1]:

---

(1) للاطلاع على أبيات شعرية لهذه الأبواب: انظر: ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 4/ ق1/ 278 والحاشية و 4/ ق2/ 793 . العسقلاني: الدرر الكامنة: 1/ 365، 4/ 175. الظاهري: زبدة كشف الممالك: 149 -151، نقلاً عن ديوان الملك الكامل صاحب حصن كيفا والمتوفي سنة 726هـ.

(2) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 5/ 20-291 "كتاب الكاف".

(3) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 5/ 119 "كتاب الكاف".

(4) ابن القاضي: ابو العباس احمد بن محمد المكناسي: ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في اسماء الرجال: 2/ 310-311، دار التراث، القاهرة، تحقيق محمد الأحمدي ابو النور.

ولائـــم لا مـــني في يـــوم بينهم

وقـد بكيـت دمـاً مـن دمعـي الجـاري

قلـت اعتـب بـصحابي بعـد بعـدهم

ولا تلمـــني فـــرأي رأي ســـنجاري

وعرف اسعد بن إبراهيم المعروف بالمجد النشابي بشعره الحسن[2]. وكان كمال الدين ابو الفضل احمد بن ابي بكر عبد الكريم المعروف بالكميش القزويني الموصلي في مقدمة شعراء الموصل وأدبائها وقد التقاه ابن الفوطي في مراغة سنة 668هـ/ 1269م وأثنى عليه، غير انه لم يذكر لنا شيئاً من شعره[3].

وكانت لعلماء الجزيرة جهود طيبة في علوم اللغة خاصة في مجال النحو ومن نحاتها وأدبائها المشاهير السيد ركن الدين حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الاسترابادي المتوفى سنة 715هـ/ 1315م[4] تتلمذ على يد نصير الدين الطوسي وأصبح رئيساً لأصحابه في مراغة، ثم استوطن الموصل وصنف فيها شرح مختصر ابن الحاجب ومقدمة ابن الحاجب في النحو وتسمى بالكافية، وعمل لها ثلاثة شروح كبير ومتوسط وسماه الوافية في شرح الكافية وصغير، وشرح التصريف لأبن الحاجب ايضا ويسمى بالشافية، إضافة الى مصنفه شرح الحاوي في الفقه للماوردي في أربع مجلدات وكتاب قواعد العقائد وشرح المطالع في المنطق[5].

---

(1) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 4/ ق4/ 793.

(2) وللاطلاع على نماذج من شعره انظر: ابن حبيب: حضرة النديم من تاريخ ابن العديم: 51- 52، مخطوطة في مكتبة أوقاف الموصل تحت رقم ي.ق 17/

(3) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 5/ 113 "كتاب الكاف".

(4) الذهبي: دول الإسلام: 2/ 220.

(5) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: 9/ 231 والحاشية. ابن العماد: شذرات الذهب: 9/ 48.

وبرع محمد بن قيصر عبد الله البغدادي الماردیني نجم الدين النحوي المتوفى سنة 721هـ/ 1321م في النحو والتصوف والعروض والمعاني والقراءات وله في جميع ذلك مصنفات[1].

ووضع احمد بن المبارك بن نوفل الإمام تقي الدين ابو العباس النصيبي المتوفى سنة 664هـ/ 1266م كتاباً في العروض[2]. وذكر السيوطي ان صالح بن إبراهيم بن احمد بن نصر بن فرش ضياء الدين النحوي الفارقي المتوفى سنة 665هـ/ 1266م كان متصدراً غيره في تعليم النحو[3]. وكان علي بن عدلان بن حماد بن علي الإمام عفيف الدين ابو الحسن الموصلي النحوي المتوفى سنة 666هـ/ 1267م علامة في النحو والأدب[4]. وذكر السيوطي ان علي بن الحسين بن القاسم بن منصور بن علي المعروف بزين الدين الموصلي ابن شيخ العوينة 681–755هـ/ 1282 – 1354م عارفاً بعلوم النحو والفقه وله مصنفات عدة في هذين المجالين[5]. واشتغل عبد المطلب بن مرتضى الحسيني الشريف الجزري النحوي الموصلي المتوفى سنة 735هـ/ 1334م في النحو والفقه وتخرج على يده فضلاء الموصل[6]. وعكف جلال الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن احمد بن محمد بن عبد الكريم القزويني المتوفى سنة 739هـ/ 1338م والمولود في الموصل على دراسة الأصول والمعاني والبيان وأثنى عليه ابن فضل الله العمري فقال عنه (000

---

(1) السيوطي: بغية الوعاة: 1/ 216.

(2) السيوطي: بغية الوعاة: 1/ 355.

(3) بغية الوعاة: 2/ 8.

(4) السيوطي: بغية الوعاة: 2/ 179.

(5) السيوطي: بغية الوعاة: 2/ 161. وانظر الشوكاني، محمد بن علي: البدر الطالع بمحاسن بعد القرن السابع: 1/ 442-443، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1348هـ.

(6) العسقلاني: الدرر الكامنة: 3/ 28.

كان صدر المحافل اذا عقدت، وصير في المسائل اذا انتقدت ...)[1] ومن تصانيفه تلخيص المفتاح في علوم البلاغة وإيضاح التلخيص أو الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان[2].

وهناك علماء ذكرتهم المصادر بانهم ينتمون الى طبقة النحاة ولعل أبرزهم محمد بن مكيال بن احمد بن راشد مجد الدين الموصلي الفرضي النحوي المتوفى سنة 680هـ/ 1281م[3] ومحمد بن علي بن احمد الاربلي الموصلي بدر الدين ابو المعالي بن الخطيب الشافعي النحوي المولود سنة 686هـ/ 1287م[4] ومحمد بن علي بن ابي القاسم بن ابي العشرين الوراق الموصلي المتوفي 727هـ/ 1326م المقرئ الفقيه المحدث النحوي[5].

اما في العلوم الدينية فهناك ما يشير الى وجود علماء لمعوا في هذا الجانب، فقد كان احمد بن يوسف بن حسن الشيباني الموصلي المعروف بموفق الدين الكواشي المتوفى سنة 680هـ/ 1281م من العلماء المتميزين ولأهل الموصل اعتقاد فيه، وله كشف وكرامات، برع في القراءات والتفسير والعربية والفضائل وصنف التفسير الكبير والصغير[6] واعتمد السيوطي في تفسيره عليه[7].

وتفنن عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله بن ابي بكر الرسعني المتوفي سنة 661هـ/ 1263م في العلوم العقلية والنقلية وتفقه على الشيخ موفق الدين الكواشي

---

(1) الدجيلي، عبد الصاحب عمران: أعلام العرب في العلوم والفنون : 2/ 155، ط2، 1966، نقلاً عن مسالك الأبصار.

(2) الدجيلي: اعلام العرب: 2/ 156.

(3) السيوطي: بغية الوعاة: 1/ 254.

(4) السيوطي: بغية الوعاة: 1/ 175. ابن القاضي: درة الحجال: 2/ 125.

(5) ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة: 2/ 381-382.

(6) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: 4/ 104-105. الصفدي: الوافي بالوفيات: 8/ 291-292، فيسبادن، 1971، تحقيق محمد يونس نجم. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى: 8/ 42.

(7) بغية الوعاة: 1/ 401.

واصبح ذا حظوة لدى ملوك الجزيرة وتولى مشيخة دار الحديث بالموصل، وصنف تفسيراً حسناً في أربع مجلدات ضخمة سماه رموز الكنوز وكتاب مصرع الحسين[1].

وعرف الإمام مجد الدين ابو الفضل عبد الله بن محمود بن مودود بن بلدجي الموصلي المتوفي سنة 683هـ/ 1284م بكثرة مصنفاته في العلوم الدينية أشهرها شرح الجامع الكبير للشيباني والمختار في الفتوى والاختيار بتعليم المختار والمشتمل على مسائل المختصر[2] وتتلمذ عليه وسمع منه كثير من علماء عصره[3].

واشتهر علي بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان المارديني 683-750هـ/ 1284-1349م بكثرة علومه، وكان إماماً في الفقه والتفسير والحديث والأصول والفرائض والحساب والشعر وله كتاب المنتخب في علوم الحديث والمؤتلف والمختلف وكتاب الضعفاء والمتروكين وكتاب الجوهر النقي في الرد على البيهقي وغيرها من المصنفات[4].

واهتم عماد الدين ابو الرضا عبد القادر بن محمد بن مقلد بن درع الموصلي المحدث في طلب العلم وكتابة الحديث[5].

وصنف محمد بن عبد الله بن علي بن المعافي بن إسماعيل بن الحسين بن الحسن بن عز الدين الموصلي المتوفي سنة 771هـ/ 1369م كتاب الكامل في الفقه وكتاب البيان في التفسير[6].

---

(1) ابن العماد: شذرات الذهب: 5/ 305. أطلس: عصر الأتابكة: 161-162.

(2) ابن حبيب: تذكرة النبيه: 1/ 90 والحاشية.

(3) السلامي: ابي المعالي محمد بن رافع: تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار: 75- 77، انتخبه التقي الفاسي المكي، مطبعة الأهالي بغداد 1938، تحقيق عباس العزاوي.

(4) ابن قطلوبغا: ابو العدل زين الدين قاسم: تاج التراجم في طبقات الحنفية: 44، مكتبة المثنى، بغداد 1962.

(5) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 4/ ق2/ 769.

(6) العسقلاني: الدرر الكامنة: 4/ 97-98.

ونظم ضياء الدين ابو محمد عبد الله بن إبراهيم بن محمود بن رفيعا الجدري نزيل الموصل والمتوفي سنة 679هـ/ 1377م تصانيف في القراءات والفرائض وتتلمذ عليه ابن خروف الموصلي الحنبلي، وسمع منه الأحكام الشيخ مجد الدين بن تيمية[1].

وحذف علي بن محمد بن عبد العزيز بن فتوح بن إبراهيم بن ابي بكر بن القاسم الموصلي المعروف بابن الدريهم 712-762هـ/ 1312-1360م بمختلف العلوم خاصة الفقه والحديث والتفسير والحساب وله تصانيف كثيرة منها التسمات الفاتحة في آيات الفاتحة وكنز الدرر في حروف أوائل السور وغاية المغنم في الاسم الأعظم والآثار الرائعة في أسرار الواقعة والفوائد في حساب القواعد والمبهم في حل المترجم والزين في معاني العين وسر الصرف في سر الحرف وأشراف النفس في الجدلات الخمس وغيرها[2].

ووصف ابن الفوطي العالم فخر الدين ابو الفخر محمد بن كمال الدين المظفر بن الحسن بن ابي السنان الموصلي بأنه كان من العلماء والمحدثين الأمناء وقد اجتمع به سنة 705هـ / 1305م[3].

وأجاز فخر الدين ابو الحسن علي بن ابي السعادات بن سكن الموصلي المحدث لعدد من علماء الموصل رواية الحديث عنه سنة 673هـ/ 1274م[4].

واحتضنت الجزيرة علماء أغنت مؤلفاتهم التراث الإسلامي في موضوعات التاريخ، فصنف احمد بن علي الصاحب شرف الدين ابو الفداء الشيباني الامدي المعروف بابن الثيي المتوفي سنة 673هـ/ 1274م كتاباً عن تاريخ آمد[5] وقدم حاكم الموصل فخر الدولة العون والمؤازرة لمحمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا

---

(1) ابن العماد: شذرات الذهب: 5/ 363.

(2) العسقلاني: الدرر الكامنة: 3/ 181-183، الشوكاني: البدر الطالع: 1/ 477.

(3) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 4/ ق3/ 377.

(4) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 4/ ق3/ 248.

(5) الصفدي: الوافي بالوفيات: 7/ 242، فيسبادن، 1969، تحقيق إحسان عباس.

لوضع مؤلفه الشهير (الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية)[1]. وعاش غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري (624-685هـ/ 1226-1286م شطراً من حياته في الموصل[2] ودفن فيها[3] وكتب تاريخه المعروف (تاريخ الدول السرياني) باللغة السريانية وبناءاً على طلب بعض علماء المسلمين من المقربين له ترجمه الى العربية. وسماه (مختصر تاريخ الدول) [4] وقد خلف إضافة الى ذلك تركه ثمينة تضمنت نيفاً وثلاثين كتاباً في العلوم المختلفة[5].

اما في علوم الطب فيذكر المؤرخون أسماء عدد من علماء الجزيرة ممن اشتغلوا فيها وكان بعضهم موضع رعاية سلاطين المغول وممن كنا نسمع عن جهودهم فخر الدين أبو الفضل عبد العزيز بن عبد الجبار بن عمر الخلاطي الحكيم الطبيب، كان حاذقاً بعلم الطب ويعد احد الحكماء الخمسة الذين اختارهم نصير الدين الطوسي واستدعاهم هولاكو سنة 657هـ/ 1259م للعمل في مرصده في مراغة[6] وحظي سعد الدولة اليهودي المتوفي سنة 690هـ/ 1291م والذي عاش فترة طويلة من حياته في الموصل[7] بتكريم أرغون الذي قربه اليه وجعله المسؤول الأول عن طبابة البلاط الايلخاني[8] وكان مجد الدين ابو طاهر إبراهيم محمد بن عبد الله الاسعردي الحشاشي المتطب

---

(1) الفخري في الآداب السلطانية: 8-13. ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 4/ 3/ 277.

(2) براون: تاريخ الأداب في إيران: 2/ 593-594.

(3) كحالة، عمر رضا: التاريخ والجغرافية في العصور الإسلامية: 193، الطبعة التعاونية، دمشق، 1972.

(4) براون: تاريخ الأداب في إيران: 2/ 594. وانظر: مختصر تاريخ الدول: مقدمة ترجمة ابن العبري.

(5) أرملة السرياني، القس إسحاق: انباء الزمان في جثالقة المشرق ومفارنه السريان: 41، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1924.

(6) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 4/ ق3/ 215-216.

(7) ابو الفداء: المختصر: 4/ 17.

(8) الرازي: تاريخ مفصل إيران: 310.

والمتوفي سنة 706هـ/ 1306م يتصف بمعرفته التامة بالحشائش ومواضعها وخواصها ومنافعها، وقد استدعاه غازان وخرج معه الى إحدى الجبال وعرفه على أنواع الحشائش واحبه لذلك وخصص له راتباً سنوياً[1]، واشاد ابن العبري بموهبة الموفق النصيبي الطبيب النصراني الذي تمكن من إنقاذ حياة حاكم الموصل الزكي الاربلي من سم دس له[2]. ومهر علي بن احمد بن زغو بن احمد بن مظفر الاربلي ويدعى عز الدين الصوفي 630 – 726هـ/ 1232–1325م في معرفة الطب[3] وبرع جلال الدين ابو محمد عبد الجبار بن عبد الخالق بن محمد بن نصر 610– 681هـ / 1213–1283م في الطب وكان قد أسره المغول عند احتلالهم بغداد، فاشتراه منهم بدر الدين لؤلؤ لكي ينتفع منه[4].

وظهر علماء في الحساب والهيئة والفلسفة فكان كمال الدولة ابو علي بن الفرج ويعرف بابن الداعي الإسرائيلي الاربلي الذي لقي الحظوة عند هولاكو والتحق بخدمة نصير الدين الطوسي عالماً بالحساب والهيئة[5] وصنف كمال الدين ابو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن الفضل بن يحيى البوازيجي 612–700هـ/ 1215–1300م كتاباً في الحساب سماه الروضة[6] وكان لعبد الله بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني 666–727هـ/ 1267–1326م آراء قيمة في الفرائض والحساب والهيئة[7].

واشتهر عبد يشوع أسقف سنجار سنة 684هـ/ 1285م بكثرة نتاجاته العلمية والفلسفية، وذكرها في مقالته المعروفة بتقويم المؤلفين، وتضمنت كتاب الأسرار الغامضة

(1) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 5/ 91 "كتاب اللام والميم".
(2) تاريخ الدول السرياني: 144.
(3) العسقلاني: الدرر الكامنة: 3/ 82.
(4) ابن العماد: شذرات الذهب: 5/ 374.
(5) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 5/ 228 "كتاب الفاء".
(6) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 5/ 109 "كتاب الكاف".
(7) الحسيني البخاري، ابو الطيب صديق بن حسن بن علي بن لطف الله: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول: 269، المطبعة الهندية العربية، بمباي، 1963، تحقيق عبد الحكيم شرف الدين.

في فلسفة اليونان، وكتاب مدرسي لحل كل هرطقة، وشرح رسالة أرسطو في الكيمياء، ومقالة في تقويم السنة ألفها لأجل أمين الدولة حاكم الموصل، ومجموع مختصرة لقوانين الجامع[1].

وأخيراً يمكن القول ان دور هذا العدد من العلماء والمفكرين من الذين عاشوا في العهد المغولي يمثل بلا شك مساهمة في رفد الحركة العلمية، الى جانب كون جهودهم ونتاجاتهم تمثل حركة التواصل العلمي ضمن إطار حركة التواصل الحضاري للأمة العربية وتاريخها المجيد.

ب- المدارس

أولاً: مدارس الموصل

شهد العهد الاتابكي في الموصل إنشاء عدد وافر من المدارس بلغت في عهد بدر الدين لؤلؤ (28) مدرسة[2] وصلت الينا أخبار تسع عشرة مدرسة منها[3].

ولدى تقصي أخبار هذه المدارس خلال العهد الايلخاني وجد ان الدراسة كانت مستمرة في ستة منها، علما بأنه لم يعثر على أية معلومات تشير الى بناء أية مدرسة في الموصل طوال هذا العهد، ومن المحتمل ان تكون هناك مدارس أقيمت ولم تصل أخبارها لنا بعد، وفيما يلي دراسة لمدارس الموصل في عهد المغول:

---

(1) السمعاني: كتاب تواريخ كافة الجثالقة: 215 وما بعدها (مخطوطة). نصري الكلداني: ذخيرة الأذهان: 2/ 24-25.

(2) العمري: منية الأدباء: 66.

(3) للاطلاع على أسماء هذه المدارس انظر: السلامي: تاريخ علماء بغداد المسمى المنتخب المختار: 76. الجلبي داود: كتاب مخطوطات الموصل: 6، 21، 22 (مطبعة الفرات، بغداد، 1927). ناجي توفيق عبود: مدارس المدن العراقية خارج بغداد في أواخر العصر العباسي: 30-33، مجلة المورد، العدد الثاني 1980.

1- المدرسة النظامية:

أمر بإنشاء هذه المدرسة الوزير السلجوقي نظام الملك 408-485هـ/ 1017-1092م واختار قاضي الموصل ابا بكر محمد بن ابي علي الحسن بن ابي خالد الخالدي المعروف بالسديد ليدرس فيها، وتقع بالقرب من الجامع النوري[1].

واستمر نشاط المدرسة النظامية خلال عهد بدر الدين لؤلؤ[2] وفي العهد المغولي جددت بنايتها على يد نقيب الموصل احمد ابو العباس محي الدين حيدرة بن محمد شرف الدين بن محمد بن عبد الله الحسيني وذلك في سنة 731هـ/ 1330م[3] ويستنتج من هذا العمل ان الدراسة قد استمرت فيها.

2- المدرسة الصارمية:

ورد ذكر هذه المدرسة في ترجمة مجد الدين عبد الله بن محمود بن مودود بن محمود بن بلدجي الموصلي المتوفي سنة 683هـ/ 1284م[4] الذي قال عنه السلامي بأنه (... سمع بالمدرسة الصارمية في الموصل عمر بن محمد بن طبرز ومن مسمار بن عمر بن العويس اخلاق حملة القرآن للآجري ومن والده محمود بن ابي العز الواسطي ...)[5].

ولم نعثر على ذكر لهذه المدرسة في باقي المصادر، ولكن مما ذكر ان عائلة بلدجي كانت لهم مدرسة بالموصل تنسب الى جدهم الأعلى بلدجي والتي كانت قائمة في عهد بدر الدين لؤلؤ[6].

---

(1) ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب: 1/ 414، مكتبة المثنى، بغداد.

(2) الرويشدي: إمارة الموصل: 205.

(3) سيوفي: مجموع الكتابات: 106. الديوه جي: مدارس الموصل في العهد الاتابكي: 3 والحاشية.

(4) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 445. السلامي: تاريخ علماء بغداد: 75- 77.

(5) السلامي: تاريخ علماء بغداد: 76.

(6) الديوه جي: مدارس الموصل في العهد الاتابكي: 18.

3- المدرسة النورية:

انشأ هذه المدرسة نور الدين ارسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود 589-607هـ/ 1193-1210م[1] وجعل الهدف من إنشائها تدريس ودعم المذهب الشافعي[2] ووصف بأنها من أحسن مدارس الموصل[3].

ومن العلماء المتميزين الذين كان لهم شأن كبير في تدريس المذهب الشافعي فيها محمد بن يونس بن محمد بن ملك بن محمد ابو حامد عماد الدين الذي كان متقدماً على غيره في دولة نور الدين[4].

استمرت الدراسة في هذه المدرسة بعد وفاة نور الدين ارسلان[5] وفي العهد المغولي لم يخفت نشاطها، وجاء ما يؤيد ذلك ان ركن الدين حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الاسترابادي المتوفي سنة 715هـ/ 1315م والذي تلقى علومه على نصر الدين الطوسي، قد قدم الموصل وتولى التدريس فيها والنظر في اوقافها[6].

وجاء في ترجمة عبد المطلب بن مرتضى الحسيني الشريف الجزري المولود في حدود 650هـ/ 1252م والمتوفي سنة 735هـ/ 1334م بأنه احد مدرسي المدرسة النورية وتخرج على يده فضلاء الموصل[7].

---

(1) ابن الأثير: التاريخ الباهر: 201.

(2) الذهبي: دول الإسلام: 2/ 113.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان: 1/ 193، الغساني: المسجد المسبوك: 334.

(4) ابن ابي عذيبة: إنسان العيون في مشاهير سادس القرون: 141 (مخطوطة).

(5) نافع توفيق: مدارس المدن العراقية خارج بغداد في عهد الاحتلال الايلخاني: 245.

(6) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: 9/ 231، ابن العماد: شذرات الذهب: 6/ 45، السيوطي: بغية الوعاة: 1/ 522.

(7) العسقلاني: الدرر الكامنة: 3/ 28.

4- مدرسة الجامع النوري:

تنسب هذه المدرسة الى الجامع النوري الذي بناه نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي سنة 568هـ/ 1172م[1] والحق به نور الدين المدرسة ليجمع فيه بين الدين والعلم، وعين كل من الفقيه عماد الدين ابو بكر النوقاني الشافعي ليكون مدرساً، والشيخ عمر الملا خطيباً ومدرساً فيها، وكتب لهما منشوراً بذلك[2].

ويلاحظ ان الدراسة قد تعطلت في هذه المدرسة لبعض السنين بعد العهد الاتابكي[3] ويبدو ان ذلك حدث خلال فترة الاضطرابات السياسية التي نجمت عن ظروف الاحتلال، وبعد استقرار الأوضاع السياسية أعيد التدريس فيها لفترات متباينة شملت قسم منها عهد الاحتلال المغولي[4].

5- المدرسة البدرية:

شيدت هذه المدرسة على عهد بدر الدين لؤلؤ ونسبت اليه، ولم تحدد المصادر سنة بنائها غير ان هناك ما يشير الى انها بنيت قبل سنة 615هـ/ 1218م[5] وكان موقعها على شاطئ نهر دجلة[6].

---

(1) ابن الأثير: التاريخ الباهر: 154 ويذكر ابو شامة ان بناؤه كان في سنة 566هـ. الروضتين في اخبار الدولتين: 1/ ق2/ 478 ، مطبعة لجنة التاليف والنشر، القاهرة، 1963، تحقيق: محمد حلمي.

(2) ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين: 1/ ق2/ 480. الديوه جي: مدارس الموصل في العهد الاتابكي: 7.

(3) الديوه جي: مدارس الموصل في العهد الاتابكي: 7.

(4) ناقع توفيق: مدارس المدن العراقية خارج بغداد في عهد الاحتلال الايلخاني: 246.

(5) ابن كثير: البداية والنهاية:13/ 82 في الحديث عن ترجمة ابو المظفر محمد بن عنوان الشروطي سنة 615هـ.

(6) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 337.

حظيت هذه المدرسة بأهمية خاصة من لدن بدر الدين لؤلؤ الذي شجع الحركة العلمية فيه، فكانت تدرس فيها العلوم المختلفة وتقام على أرضها المناظرات والندوات العلمية والأدبية وتستقبل بين الحين والآخر العلماء والفقهاء، الذين يحضرون دروس العالم كمال الدين بن محمد بن منعة بن يونس الموصلي[1].

وبعد وفاة بدر الدين لؤلؤ سنة 657هـ/ 1259م ودفنه فيها[2] تنقطع عنا أخبار هذه المدرسة، ويظهر ان الدراسة قد استمرت فيها بعد وفاة بدر الدين لؤلؤ لمدة سنة على الأقل[3].

6- المدرسة الزينية:

قام ببنائها زين الدين ابو الحسن علي بن بكتكين المتوفى سنة 563هـ/ 1167م[4]، وتعرف الآن باسم مدرسة ابن يونس النحوي وتقع على شاطئ دجلة[5].

ويبدو ان الدراسة ظلت مستمرة فيها في العهد الاتابكي[6] ولفترات متباينة من العهد المغولي، اذ الواضح من بعض التعليقات التي ذكرت عنها بانها (من الأبنية التي قاومت العصور، طراز بنائها دال على انه وصلنا كما وضع ان لم يكن كلا فقسماً فانه يظهر ان البناء كان له شرف مطلة على دجلة وعلى جهة السائرة واثار الشرف باقية .... والبناء الأصلي عبارة عن شكل مثمن الأضلاع منتظم قد حوى كل ضلع منها شبه رواق قليل العمق داخل في سمك الجدار ....)[7]

(1) الرويشدي: إمارة الموصل: 214-216، 218.

(2) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: 237. ابن كثير: البداية والنهاية: 13/ 214.

(3) نافع توفيق: مدارس المدن العراقية خارج بغداد في عهد الاحتلال الايلخاني: 246.

(4) ابن خلكان: وفيات الأعيان: 4/ 114. الرويشدي: إمارة الموصل: 223 .

(5) الجلبي: كتاب مخطوطات الموصل: 6، 21.

(6) يذكر العمري ان عدد مدارس الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ 28 مدرس وعلى الأرجح ان المدرسة الزينية كانت من ضمنهم. منية الأدباء: 66.

(7) الجلبي: كتاب مخطوطات الموصل: 21 – 22.

ثانياً: مدارس مدن الجزيرة الأخرى

لم يقتصر بناء المدارس على الموصل وحدها؛ بل شملت مدن الجزيرة الأخرى، ومن تلك المدارس:

1- مدرسة خفتيان[1]:

زخرت اربل بعدد من المدارس في أواخر العصر العباسي منها المدرسة العقلية ومدرسة القلعة والمدرسة الجاهدية والمدرسة المظفرية[2].

ومن خلال تتبعنا لأخبار هذه المدارس وغيرها التي أقيمت خلال العهد المغولي لم نتمكن من العثور على أية أخبار لهذه المدارس سوى ما ذكره ابن الفوطي من ان (.... الخاتون تونداكنيج بنت هولاكو تقدمت بعمارة مدرسة ورباط بخفتيان، وهذا موضع لم يعهد بعمارة مدرسة فيه وذلك سنة سبعمائة....)[3].

2- المدرسة الزاهدية في العمادية:

أسستها الأميرة زاهدة العباسية المتوفاة سنة 729هـ/ 1328م وجعلت فيها خزانة كتب وكانت هذه المدرسة تعرف أولاً بالمدرسة الزاهدية، ولكن الأمير سيدي خان العباسي جددها سنة 1024هـ/ 1615م فعرفت به[4] وذكر داود الجلبي ان خزانة هذه المدرسة، كانت في سنة 1920 تحتوي على نحو الف كتاباً، غير انها أحرقت من قبل فئة تدعى البيارية على اثر فتنة وقعت في المدينة بين سكانها في تلك السنة، ولم يسلم منها سوى (35) كتاباً تقريباً[5].

---

(1) خفتيان: قلعة عظيمة من أعمال اربل تقع على طريق اربل شهرزور. ياقوت: معجم البلدان: م2/ 379-380.

(2) حسين: اربيل في العهد الاتابكي: 247-252.

(3) تلخيص مجمع الآداب: 4/ ق1/ 733.

(4) عواد، كوركيس: خزائن الكتب القديمة في العراق: 174، مطبعة المعارف، بغداد، 1948.

(5) كتاب مخطوطات الموصل: 251.

3- مدارس ماردين:

زخرت ماردين بعدد وافر من المدارس فذكر ابن شداد بأن بها من المدارس:

أ- مدرسة أنشأها نجم الدين ايلغازي صاحب ماردين 500-516هـ/ 1106-1122م.

ب- مدرسة أنشأها نظام الدين اليقش.

ت- مدرسة أنشأها القاضي سديد الدين، وتقع بجوار الجامع.

ث- مدرسة عمارة خاتون ويدرس فيها المذهب الحنفي.

ج- مدرسة أنشأها الملك المنصور ارتق، وأقام بها السعيد نجم الدين غازي المتوفى سنة 659هـ/ 1261م منبراً ويدرس فيه مذهبان[1].

ولاشك في ان الدراسة قد استمرت في هذه المدارس ويرجع ذلك الى ان ابن شداد الذي دون لنا هذه المعلومات كان من المعاصرين والمطلعين على أحداث العهد المغولي، وان المحتل المغولي لم يتعرض للمؤسسات العلمية في ماردين لأن ملكها المظفر بن السعيد نجم الدين غازي كان قد استسلم للمغول، بموجب معاهدة تضمنت عدم التعرض للمدينة بأي اعتداء، وقد نفذ المغول تعهدهم وكان ذلك في سنة 659هـ/ 1261م[2]، إضافة الى ما ذكره ابن بطوطة من ان ماردين فيها عدد من المدارس وان لم يسمها لنا[3]. وورد في ترجمة فخر الدين ابو محمد إبراهيم بن خليل بن خميس المارديني الذي كان حياً سنة 684هـ/ 1825م بأنه كان مدرساً بمدرسة ماردين في هذه السنة[4]. ولابد ان تكون هذه المدرسة قد أنشأت في عهد الاحتلال المغولي، وإلا لكان قد ذكرها ابن شداد الذي انتهى من تأليف كتابه سنة 679هـ/ 1280م.

---

(1) الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 543-544.

(2) الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 567-568.

(3) رحلة ابن بطوطة: 238.

(4) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب: 4/ ق3/ 59.

4- مدارس ميافارقين وتشمل:

أ- مدرسة أنشأها شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين 617-642هـ/ 1220-1244م ويدرس فيها المذهب الحنفي.

ب- مدرسة الحنابلة وتقع بالقرب من جامع المدينة.

ت- مدرسة أنشأها فخر الدين عثمان المعروف بابن الفقاعي ويدرس فيها المذهب الحنفي[1].

5- مدارس سنجار:

يبدو ان المدارس التي كانت قائمة في سنجار لم تتعرض الى التخريب عند احتلال المدينة من قبل المغول سنة 660هـ/ 1262م [2] وقد ذكر ابن شداد أسماء ستة مدارس كانت الدراسة قائمة فيها خلال هذه الفترة، وتقع اثنان منها داخل أسوارها وهي:

أ- مدرسة أنشأها نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي، ويدرس فيها مذهب ابي حنيفة.

ب- مدرسة أنشأها صدر الدين المعروف بابن الشيخ، ويدرس فيها المذهب الشافعي.

---

(1) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 276.

(2) ذكر ابن شداد وهو معاصر للحدث ان المغول لم يتعرضوا لسنجار عند احتلالها سوى انهم اخربوا سور وقلعتها فقط، ويعني ذلك ان باقي مباني المدينة بقيت محافظة على نفسها. الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 155، 212.

وأربع مدارس تقع خارج أسوار المدينة وهي:

أ- مدرسة أنشأها الأمير مجاهد الدين قيماز المتوفي سنة 595هـ/ 1198م ويدرس فيها مذهب ابن حنيفة.

ب- مدرسة أنشأها شمس الدين المعروف بابن الكافي ويدرس فيها المذهبان.

ت- مدرسة أنشأتها أم قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي، ودفن فيها الملك الفائز إبراهيم بن الملك العادل[1].

ث- مدرسة أنشأها عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي صاحب سنجار المتوفي سنة 594هـ/ 1197م[2] وتعرف بالمدرسة العمادية ويستند في معرفة تسميتها على ما جاء في ترجمة علي بن الحسين بن علي بن سعيد بن حامد السخاوي المعروف بابن ديانة الذي قال عنه القرشي بأنه (... روى عن والده شيئاً من نظمه ودرس بالمدرسة العمادية بسنجار وكان فقيهاً فاضلاً وله معرفة بالأدب، توفي في ذي الحجة سنة اثنتين وأربعين وست مائة باربل ...)[3].

ويلاحظ ان الدراسة فيها استمرت في العهد الايلخاني والجلائري وجاء ما يؤيد ذلك في ترجمة ركن الدين عبد الصمد بن محمد بن أبي يزيد بن إبراهيم بن مسعود الدليمي القزويني 738-799هـ/ 1337-1396م الذي ذكر عنه (... انه درس بسمنان بالمدرسة العمادية والخانقاه التي بها ...)[4]

---

(1) الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 156-157.

(2) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 157، الغساني: العسجد المسبوك: 243.

(3) القرشي، محي الدين ابي محمد عبد القادر بن ابي الوفاء محمد: الجواهر المضية: 1/ 361/ ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد – الدكن، 1332هـ.

(4) السلامي: تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار: 98-99.

6- **مدارس جزيرة ابن عمر:**

وفيها خمس مدارس تدرس المذهب الشافعي وهي:

أ- مدرسة البزوي.

ب- مدرسة ظهير الدين قيماز الاتابكي.

ت- مدرسة القاضي جمال الدين عبد الرحيم.

ث- مدرسة شمس الدين سركتين.

ج- المدرسة الرضوية[1]:

وتنسب الى الوزير السلجوقي نظام الملك الذي قال عنه ابو شامة بأن (000 مدارسه في العالم الإسلامي مشهورة، حتى انه لم يغفل بناء مدرسة في جزيرة ابن عمر حيث بنى فيها مدرسة كبيرة حسنة وهي التي تعرف بمدرسة رضي الدين 000) [2].

7- **مدارس آمد :**

وبها مدرستان وهي:

أ- المدرسة التاجية أنشأها تاج الدين، وتقع شرقي جامع آمد.

ب- ومدرسة أخرى لم يحدد ابن شداد اسمها، وتقع في جوار الجامع[3].

8- **مدارس حصن كيفا:**

وبها ثلاث مدارس لم يحدد ابن شداد أسماءها[4].

9- **مدارس نصيبين:**

وردت الإشارة الى وجود مدرستان في مدينة نصيبين دون ان يشار الى أسمائها أو اختصاصاتهما الفكرية والعلمية[5].

---

(1) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 214.

(2) الروضتين في اخبار الدولتين: 1/ ق1/ 62.

(3) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق1/ 258.

(4) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: 3/ ق2/ 531.

(5) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة: 236-237.

ان ما سبق يشير الى اهتمام السكان في الموصل والجزيرة بالحركة الفكرية والعلمية، كما يفصح من دور المنطقة في نشر الثقافة والعلم والمعرفة، فضلاً عما تمثله من توفر الرغبة لدى السكان في الحفاظ على تراث الأمة من خلال اندفاع الناس الى بناء وتجديد المدارس أو مساهمتهم في تأدية مهمة التدريس بالرغم من سياسة القهر والتسلط التي مارسها المغول ضد أهالي الموصل والجزيرة.

الملاحق

ملحق رقم (1)

جدول بأسماء نواب المغول في ديار بكر والجزيرة الفراتية وسنوات حكمهم

ت	نواب المغول	سنوات حكمهم
1.	ارغون	650هـ - ؟ / 1252م - ؟
2.	تودان بن بايجو بن موانوكان بن جغتاي	حكم في أواخر عهد هولاكو 663هـ/ 1265م (سنة وفاة هولاكو)
3.	دور باي نوبان	663هـ - ؟ / 1265م - ؟
4.	بيروراجو بن دورباي	حكم ضمن سنة 680 - 683هـ/ 1281-1284م
5.	حكم مشترك بين جوشكاب وبايدو واروق	؟ - 688هـ/ ؟ - 1289م
6.	أمين الدولة	688هـ - 690هـ/ 1281م - 1291م
7.	سنبغا	؟ - 695هـ/ ؟ 1296م
8.	برلاي	695هـ - ؟ / 1296م - ؟
9.	جنكلي بن محمد بن البابا	698هـ - 703هـ/ 1299م - 1303م
10.	قبرتو	703هـ - ؟ / 1303م - ؟
11.	النوين بك باصميش	؟ - 709هـ/ ؟ - 1309م
12.	سيف الدين سوتاي	709هـ - 732هـ/ 1309م - 1331م
13.	حاجي طرغاي بن سوتاي	732هـ - ؟ / 1331م - ؟
14.	إبراهيم شاه بن بارنباي بن سوتاي (بعد ان اقتطع حسن الكبير جزء من اقليمه)	736هـ - ؟ / 1335م - ؟

ملحق رقم (2)

ت	حكام الموصل	سنوات حكمهم
1.	شمس الدين محمد بن يونس الباعشيقي	660- 661هـ/ 1261 – 1963م
2.	الزكي الاربلي	661-663هـ/ 1263-1365م
3.	رضي الدين بابا بن نصرة الدين محمد الافتخاري القزويني	663 -666هـ/ 1265-1267م
4.	مسعود البرقوطي بن اعلم الدين يعقوب	666 -668هـ/ 1267 – 1269م
5.	رضي الدين بابا (للمرة الثانية)	668 -676هـ/ 1269-1277م
6.	مسعود البرقوطي (للمرة الثانية)	676-680هـ/ 1277-1281م
7.	ابن بدر الدين لؤلؤ (لم يمارس الحكم)	680-683هـ/ 1281-1284م
8.	مسعود البرقوطي (للمرة الثالثة)	683-688هـ/ 1284-1289م
9.	بيتمش القوشجي	688-هـ / 1289م
10.	امين الدولة	688-690هـ/ 1289-1291م
11.	فخر الدولة ابو محمد عيسى بن هبة الله النصراني الموصلي	؟ – 701هـ/؟ – 1301م
12.	الملك المنصور نجم الدين غازي بن ارتق	701هـ – ؟ / 1301م – ؟
13.	إيلبا حبش	؟ – 708هـ/؟ – 1308م
14.	سيف الدين سوتاي	708هـ – ؟ / 1308- ؟
15.	علاء الدين علي بن شمس الدين محمد الملقب بحيدر	ذكره ابن بطوطة أثناء زيارته للموصل سنة 728هـ/ 1327 م واستمر في الحكم الى حدود سنة 731هـ/ 1330م
16.	إبراهيم شاه بن بارنباري بن سوتاي	736هـ – ؟ / 1335م – ؟

ملحق رقم (3)

ت	حكام اربل	سنوات حكمهم
.1	بدر الدين لؤلؤ	657هـ/ 1259م
.2	شرف الدين جلالي	657-658هـ/ 1259-1260م
.3	المختص سليمان	658هـ - ؟ / 1260م - ؟
.4	تاج الدين عيسى بن المختص	660هـ/ 1262م
.5	مجد الدين صالح بن المليل	660هـ - ؟ / 1262م - ؟
.6	مسعود البرقوطي بن اعلم الدين يعقوب	666-668هـ/ 1267-1269م
.7	رضي الدين بابا بن نصرة الدين محمد الاشخاري القزويني	668-676هـ/ 1269-1277م
.8	مسعود البرقوطي (للمرة الثانية)	676-680هـ/ 1277-1281م
.9	بهاء الدين الأمير الكردي	683/ 1284م (ورود ذكره ضمن أحداث هذه السنة)
.10	تاج الدين بن المختص (للمرة الثانية)	؟ - 688هـ/ ؟ - 1289م
.11	مباذر بك الأمير الكردي	688هـ/ 1289م
.12	تاج الدين عيسى بن المختص (للمرة الثالثة)	688-690هـ/ 1289-1291م
.13	ابو الفتح بن الفخر عيسى الاربلي	؟ - 692هـ/ ؟ - 1293م
.14	زين الدين بالو	697-710هـ/ 1298-1310م
	بعد سنة 710هـ/ 1310م توارثت عائلة الدلقندي حكم اربل، ولم تحدد المصادر سنوات حكمهم وهم:	
.15	عماد الدين ناصر بن ركن الدين بن ابي طالب محمد المعروف بالدلقندي	710هـ - ؟ / 1310م - ؟
.16	علي بن عز الدين طالب الدلقندي	؟ - ؟
.17	يحيى بن ناصر الدلقندي	؟ - ؟

ملحق رقم (4)

ت	حكام سنجار	سنوات حكمهم
1.	الملك العادل نور الدين بن الصالح ركن الدين	657-659هـ/ 1259-1261م
2.	القاضي فخر الدين	659-660هـ/ 1261-1262م
3.	شمس الدين اقوش البرلي	660هـ / 1262م
4.	علم الدين قيصر الموصلي	660هـ - ؟ / 1262م ؟
5.	قوام الدين محمد اليزدي	؟ - ؟
6.	ناصر الدين يحيى بن إبراهيم السنجاري	؟ - 711هـ/ ؟ - 1311م ؟

ملحق رقم (5)

ت	حكام العمادية	سنوات حكمهم
1.	عز الدين ابو المظفر ايبك بن عبد الله البدري المعروف بالطويل	661هـ/ 1263م - استمر في الحكم الى حدود سنة 667هـ/ 1268م
2.	الحاج عمر	؟ - ؟ (حكم في اواخر العهد المغولي)

ملحق رقم (6)

ت	حكام جزيرة ابن عمر	سنوات حكمهم
1.	مرحسيا	660-661هـ/ 1262-1293م
2.	جمال الدين جولبغ	661-662هـ/ 1263-1264م
3.	مار حننيشوع	662-667هـ/ 1264-1268م
4.	الصفي القرقوبي	؟ - 679هـ- ؟ - 1280م
5.	هومين	؟ - 681هـ/ ؟ - 1282م

ملحق رقم (7)

ت	حكام آمد	سنوات حكمهم
1.	عز الدين وأخيه ركن الدين قليج ارسلان (بتفويض من المغول)	657هـ - ؟ / 1259م - ؟
2.	نائب عن ركن الدين قليج ارسلان (بتفويض من المغول)	؟ - 666هـ/ ؟ - 1267م
3.	نائب عن غياث الدين بن ركن الدين قليج ارسلان (بتفويض من المغول)	666هـ - ؟ / 1267م - ؟
4.	الأمير علم الدين	؟ - 697هـ/ ؟ - 1298م
5.	بدر الدين جنكلي بن البابا	؟ - 703هـ/ ؟ - 1303م

ملحق رقم (8)

ت	حكام حصن كيفا	سنوات حكمهم
1.	الملك الأوحد تقي الدين عبد الله الأيوبي	658 -679هـ/ 1260-1280م
2.	الملك الكامل ابو بكر	؟ - 726هـ/ ؟ - 1325م
3.	الملك العادل مجير الدين	727هـ - ؟ / 1326م - ؟
4.	الملك العادل غازي	؟ - ؟
5.	الملك الصالح ابي بكر	؟ - ؟
6.	الملك العادل سليمان	؟ - 736هـ/ ؟ - 1335م
7.	الملك محمد بن العادل سليمان	736هـ - ؟ / 1335م - ؟

ملحق رقم (9)

ت	حكام ميافارقين	سنوات حكمهم
1.	شرف الدين عبد الله الاري	658هـ - 679هـ/ 1260-1290م
2.	البيش	؟ - 688هـ/ ؟ - 1289م

ملحق رقم (10)

ت	حكام حرّان	سنوات حكمهم
.1	علي الصوراني	658 -658هـ/ 1260-1260م
.2	شمس الدين اقوش البرلي	658-660هـ/ 1260-1262م

ملحق رقم (11)

ت	شحنة الموصل	سنوات خدمتهم
.1	ياسان	؟ - 660هـ/ ؟ - 1262م
.2	تورين	660هـ- ؟ / 1262 - ؟
.3	اشموط الايغوري	666- 668هـ/ 1267-1290م
.4	الطرقاشي	673هـ/ 1274م (ورد ذكره ضمن أحداث هذه السنة)
.5	اشموط الايغوري (للمرة الثانية)	676-683هـ/ 1277-

ملحق رقم (12)

ت	المشرفون الماليون	سنوات خدمتهم
1.	ايلجكتاي	؟ - ؟ (تولى هذه الوظيفة في عهد كيوك خان)
2.	ارغون	650هـ - ؟ / 1252م - ؟
3.	سليمان بن مؤيد بن عامر زين الدين العقرباني المعروف بالخانقي	660-662هـ/ 1262-1264م
4.	جلال الدين طويل / رضا الدين بابا } اشراف مشترك على ديار بكر الملك مظفر فخر الدين قرا ارسلان (الإشراف على ديار ربيعة)	663هـ - ؟ / 1265م - ؟
5.	بوشايه مجد الملك بن صفي اليزدي	677هـ - ؟ / 1278م - ؟
6.	متي الشجع	689هـ - ؟ / 1290م - ؟

ملحق رقم (13)

ت	قضاة الموصل	سنوات خدمتهم
1.	كمال الدين عمر بن بندار التفليسي	658هـ - ؟ / 1260م - ؟ (عين قاضياً للموصل والجزيرة)
2.	موسى بن محمد بن موسى بن يونس الاربلي المعروف بكمال الدين بن الرضي	كان في هذا المنصب سنة 698هـ/ 1298م وتوفي سنة 715هـ/ 1315م
3.	يوسف بن محمد بن موسى بن يونس بن نعمة الموصلي	كان في هذا المنصب سنة 700هـ/ وتوفي سنة 716هـ/ 1316م
4.	عبد العزيز بن عدي بن عبد العزيز عز الدين البلدي	كان في هذا المنصب في السنوات الأخيرة لحكم غازان. وتوفي سنة 710هـ/ 1310م

ملحق رقم (14)

ت	ناظروا أوقاف الموصل	سنوات خدمتهم
.1	عماد الدين ابو الفتح عبد الرحمن بن بلدجي الموصلي	كان في هذا المنصب سنة 706هـ/ 1306م
.2	السيد ركن الدين الحسن بن محمد بن شرف شاه الاستراباذي	؟ - 715هـ/ ؟ - 1315م

ملحق رقم (15)

ت	نقباء الموصل	سنوات خدمتهم
.1	مجد الدين ابو منصور محمد بن ضياء الدين	؟ - 661هـ/ ؟ - 1263م
.2	كمال الدين حيدر بن النقيب ركن الدين الحسن بن محمد	؟ 674هـ/ ؟ 1275م
.3	نصير الدين محمد بن محمد المرتضى بن عبد المطلب	كان في هذا المنصب سنة 686هـ/ 1287م
.4	مجد الدين ابو المظفر علي بن محمد بن زيد	؟ - ؟
.5	مجد الدين ابو جعفر احمد بن زيد بن عبيد الله الحسيني	؟ - ؟
.6	كمال الدين ابو الحسن علي بن احمد بن زيد	؟ - ؟
.7	احمد ابو العباس محي الدين حيدرة	كان في هذا المنصب سنة 731هـ/ 1330م

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

أ- المخطوطات

1. ابن ابي عذبة، شهاب الدين احمد بن محمد الشافعي، ت 856هـ/ 1452م.
- إنسان العيون في مشاهير سادس القرون، مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب، جامعة بغداد، تحت رقم 248.
- مختصر التاريخ الكبير، مخطوطة في مكتبة أوقاف الموصل تحت رقم 10/ 15 خزانة حسين بك.

2. أبن حبيب، الحسن، بن عمر بن الحسن بن عمر، ت 708هـ/ 1208م.
- حضرة النديم من تاريخ ابن النديم، مخطوطة في مكتبة أوقاف الموصل تحت رقم 5/ 17.

3. الذهبي، ابو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد، ت 748هـ/ 1347م.
- تاريخ الإسلام، مخطوطة ميكروفلم في مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب جامعة بغداد تحت رقم 1803.

4. السمعاني، يوسف لويس، ت 1783م.
- كتاب تواريخ كافة الخلافة، مخطوطة المكتبة العامة في الموصل تحت رقم 8/ 91.

5. مجهول:
- تاريخ الدول الأيوبية وغيرها، مخطوطة في مكتبة أوقاف الموصل تحت رقم 1/ 17 زيواني.

6. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، ت 697هـ/ 1298م.
- تاريخ الواصليين في أخبار الخلفاء والملوك والسلاطين، مخطوطة في دار الكتب المصرية، تحت رقم رح / 1041.

المصادر المطبوعة:

1. ابن ابي الحديد:عز الدين، ابو حامد عبد الحميد، ت656هـ/ 1258م.
- شرح نهج البلاغة، 4 اجزاء، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت.
2. ابن ابي الفضائل، المفضل، ت بعد 759هـ/ 1358م.
- النهج السديد والدرر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، طبعة باريس، 1928.
3. ابن الأثير ابو الحسن ابن ابي الكرم الشيباني الجزري، ت 630هـ/ 1232م.
- الكامل في التاريخ، 9 أجزاء، دار الفكر، بيروت، 1978م.
- التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، دار الكتب الحديثة بالقاهرة ومكتبة المثنى ببغداد، تحقيق عبد القادر احمد طليمات.
- اللباب في تهذيب الأنساب، نشر مكتبة المثنى، بغداد.
4. ابن الأثير، ضياء الدين بن محمد بن عبد الكريم، ت 637هـ/ 1239م.
- رسائل ابن الأثير، بيروت، 1959م، تحقيق أنيس المقدسي.
5. الاربلي، عبد الرحمن بن سبط قنيتو، ت 717هـ/ 1239م.
- خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، منشورات مكتبة المثنى بغداد.
6. الاسنوي، جمال الدين عبد الرحيم، ت 772ـ/ 1370م.
- طبقات الشافعية، جزءان، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1970م، 1971م، تحقيق عبد الله الجبوري.
7. الاصطخري، ابو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي، ت 341هـ/ 952م.
- مسالك الممالك، طبع بريل، ليدن، 1927م.
8. ابن إياس، محمد بن احمد، ت 930هـ/ 1523م.
- بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط1، مطبعة بولاق بمصر، 1311هـ.
9. ابن أيبك، ابو بكر بن عبد الله الدواداري، حوالي عام 736هـ/ 1235م.

- كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء الثامن، طبع القاهرة، 1971م، تحقيق اولرخ هارمان، والجزء التاسع، بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، 1960، تحقيق هانس روبرت رويمر.

10. البدر العيني، بدر الدين ابو محمد بن احمد، ت 855هـ/ 1451م.

- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967، تحقيق فهيم محمد شلتوت.

11. البدليسي، شرف خان، ألفه في أواخر سنة 1005هـ.

- شرفنامة في تاريخ الدول والإمارات الكردية – ترجمة ملا جميل بندي روزبياني، مطبعة النجاح، بغداد 1953م.

12. البريانبوري، محمد بيكك النقشبندي.

- ملحق خلاصة السير، لاهور، 1920، تحقيق ظهور احمد.

13. ابن بطوطة، ابو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي، ت 779هـ/ 1377م.

- رحلة ابن بطوطة، دار صادر، دار بيروت، 1964م.

14. البنداري، الفتح بن علي الأصفهاني، ت 643هـ/ 1245م.

- تاريخ دولة آل سلجوق، مطبعة الموسوعات، القاهرة، 1900م.

15. ابن تغري بردي، جمال الدين ابن المحاسن يوسف، ت 874هـ/ 1469م.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة من طبعة دار الكتب المصرية.

16. الجوهري، إسماعيل بن حماد.

- الصحاح في اللغة والعلوم، تقديم عبد الله العلايلي وإعداد نديم وأسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية، بيروت.

17. ابن حبيب، حسن بن عمر بن حسن، ت 708هـ/ 1208م.

- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976. تحقيق محمد محمد أمين.

18. الحسيني البخاري، ابو الطيب صديق بن حسن بن علي بن لطف الله، ت 1307هـ/ 1890م.
- إتحاج الملك من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، المطبعة الهندية العربية، بمباي، 1963، تحقيق عبد الحكيم شرف الدين.
19. الحموي، ابو الفضائل محمد بن علي، ت 644هـ/ 1246م.
- التاريخ المنصوري، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، عني بنشره بطرز غرباز نيوبيج، موسكو، 1963.
20. الحميري، محمد بن عبد المنعم، ت 900هـ/ 1494م.
- الروض المعطار في خبر الأقطار، مكتبة لبنان، بيروت، 1975، تحقيق إحسان عباس.
21. الحنبلي، احمد بن إبراهيم، ت 876هـ/ 1472م.
- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1978، تحقيق ناظم رشيد.
22. الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، المنسوب خطأ لأبن الفوطي، مطبعة الفرات، بغداد، 1531هـ، تحقيق مصطفى جواد.
23. ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي، ت 367هـ/ 977م.
- صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
24. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ت 808هـ/ 1405م.
- تاريخ ابن خلدون، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، 1971.
25. ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد، ت 681هـ/ 1282م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 8 أجزاء، دار الثقافة، بيروت، 1971 / 1972، تحقيق إحسان عباس.
26. الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن، ت 982هـ/ 1574م.
- تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، جزءان في مجلد واحد، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت.

27. الذهبي، الحافظ شمس الدين، ت 748هـ/ 1347م.
- دول الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم.
- العبر في خبر من غبر، مطبعة حكومة الكويت، 1966، تحقيق صلاح الدين منجد.
- من ذيول العبر، مطبعة حكومة الكويت، تحقيق محمد رشاد عبد المطلب.
28. ابن رجب، زين الدين ابن الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد ت 795هـ/ 1392م.
- الذيل على طبقات الحنابلة، جزءان، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1952/ 1953، تحقيق محمد حامد الفقي.
29. ابن رسته، ابو علي احمد بن عمر، كان حياً سنة 290هـ/ 902م.
- الاعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، 1891م.
30. الرمزي، م.م، ت 1130هـ/ 1717م.
- تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، ط1، المطبعة الكريمية، اورنبورغ، 1908م.
31. الزبيدي، المرتضى، ت 1205هـ/ 1790م.
- ترويج القلوب في ذكر بني ايوب، دمشق، 1971، تحقيق صلاح الدين منجد.

32. سبط بن الجوزي، شمس الدين ابي المظفر يوسف بن قزاوغلي، ت 654هـ/ 1256م.
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، المجلد الثامن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، 1952م.
33. السبكي، تاج الدين ابي نصر عبد الوهاب، ت 771هـ/ 1369م.
- طبقات الشافعية الكبرى، 8 أجزاء، ط1، منشورات عيسى البابي، القاهرة 1971م، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمد محمد الطناحي.

- معيد النعم ومبيد النقم – الناشر مصطفى البابي الحلبي، مصر .
34. سرهنك، المير الاي إسماعيل.
- حقائق الأخبار عن دول النجار، ط1، المطبعة الميرية، بولاق، مصر، 1314هـ.
35. ابن سعيد المغربي، ت 685هـ/ 1286م.
- كتاب بسط الأرض في الطول والعرض، معهد مولاي حسن، المغرب، تطوان، 1958، تحقيق خوان قرنيط .
- كتاب الجغرافيا، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، 1970، تحقيق إسماعيل العربي.
36. السلامي، ابي المعالي محمد بن رافع، ت 774هـ/ 1372م.
- تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار، انتخبه التقي الفاسي المكي، مطبعة الأهالي، بغداد، 1938 ، تحقيق عباس العزاوي.
37. السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، ت 911هـ/ 1505م.
- تاريخ الخلفاء، مكتبة الشرق الجديد، بغداد، 1983، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جزءان، ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1964، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم.
38. سيوفي، نقولا.
- مجموع الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل، مطبعة شفيق، بغداد، 1956، تحقيق سعيد الديوه جي.
39. ابو شامة، شهاب الدين ابي محمد عبد الرحمن، ت 665هـ/ 1266م.
- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج1 ق1، ج1 ق2، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1956-1962م، تحقيق محمد حلمي محمد احمد.
- تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، ط2، دار الجيل، بيروت، 1974م.

40. ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع الأسدي، ت 632هـ/ 1234م.
- سيرة صلاح الدين او النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ط1، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1963، تحقيق جمال الدين الشيال.
41. ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم، ت 684هـ/ 1285م.
- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، قسم الجزيرة، ج3 ق1، ج3 ق2، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1978م، تحقيق يحيى عبارة.
42. الشوكاني، محمد حسين علي، ت 1250هـ/ 1834م.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، جزءان، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1348هـ.
43. ابن الصابوني، جمال الدين ابي حامد محمد بن علي المحمودي، ت 680هـ/ 1281م.
- تكملة إكمال الإكمال، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1957، تحقيق مصطفى جواد.
44. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، ت 764هـ/ 1363م.
- الوافي بالوفيات، الجزء الأول، ط2، دار النشر فرانز شتايز بفيسبادن، 1961، تحقيق هلموت ريتر، ج7، 1969، تحقيق إحسان عباس، ج8، 1971، تحقيق محمد يوسف نجم.
- نكت الهيمان في نكت العميان، مكتبة المثنى، بغداد، 1911م.
45. ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا، ت 709هـ/ 1309م.
- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، 1966.
46. الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين، ت 873هـ/ 1467م.
- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، صححه بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، 1894م.
47. ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن، ت 739هـ/ 1338م.

- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1955م، تحقيق علي محمد البجاوي.

48. ابن عبد الظاهر، محي الدين ابو الفضل عبد الله رشيد الدين بن نشوان المصري، ت 692هـ/ 1293م.

- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، الرياض، تحقيق عبد العزيز الخويطر.
- تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ط1، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1961، تحقيق مراد كامل.

49. ابن العبري، غريغوريوس الملطي، ت 685هـ/ 1286م.

- تاريخ الدول السرياني، نشر على أجزاء في مجلة المشرق اللبنانية بإدارة آباء جامعة القدس، بيروت، 1956، ضمن الأعداد، 48 السنة 1954، العدد 49 السنة 1955، العدد 50 السنة 1956.
- تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1958م.

50. ابن العديم، كمال ابي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله، ت 660هـ/ 1262م.

- زبدة الحلب من تاريخ حلب، 3 أجزاء، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، دمشق، 1951، 1954، 1968، تحقيق سامي الدهان.

51. العسقلاني، شهاب الدين احمد بن حجر، ت 852هـ/ 1448م.

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، 5 أجزاء، دار الكتب الحديثة، القاهرة، تحقيق محمد سيد جاد الحق.

52. العصامي المكي، عبد الملك بن حسين.

- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية، القاهرة، 1380هـ.

53. ابن العماد ن ابو الفلاح عبد الحي الحنبلي، ت 1089هـ / 1678م.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، يطلب من المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

54. العمري، محمد امين بن خير الله الخطيب، ت 1233هـ/ 1816م.

- منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل والحدباء، جزءان، مطبعة الجمهورية، الموصل، 1967، 1968، تحقيق سعيد الديوه جي.

55. العمري، ياسين بن خير الله الخطيب، ت بعد سنة 1232هـ/ 1816م.

- منية الأدباء في تاريخ الموصل، مطبعة الهدف الموصل، 1995م، تحقيق سعيد الديوه جي.

56. ابن عنبة، احمد بن علي بن الحسين، ت 828هـ/ 1424م.

- عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب، بومبي، 1318هـ.

57. الغساني، الملك الاشرف عماد الدين ابو العباس إسماعيل بن العباس، ت 803هـ/ 1400م.

- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، دار البيان، بغداد، 1975، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم.

58. الغياث، عبد الله بن فتح الله البغدادي، كان حياً سنة 883هـ/ 1478م.

- التاريخ الغياثي، الجزء الخامس، مطبعة اسعد، بغداد، 1975م، تحقيق طارق نافع الحمداني.

59. الفارقي، احمد بن يوسف بن علي بن الأزرق، ت 578هـ/ 1182م.

- تاريخ الفارقي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1974، تحقيق بدوي عبد اللطيف عوض.

60. ابو الفداء، عماد الدين إسماعيل، ت 732هـ/ 1331م.

- المختصر في أخبار البشر، ط1، المطبعة الحسينية المصرية، تقويم البلدان، طبعة باريس، 1840م.

61. ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، ت 807هـ/ 1404م.

- تاريخ ابن الفرات، المجلد الخامس، ط1، دار الطباعة الحديثة، بصرة، 1970، تحقيق حسن محمد الشماع، م7، م8، المطبعة الأمريكية، بيروت، 1942، تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين.

62. ابن فضل الله العمري، شهاب الدين احمد، ت 749هـ/ 1348م.
- مسالك الإبصار في ممالك الأمصار، الجزء الأول، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1942، تحقيق احمد زكي.
- التعريف بالمصطلح الشريف، مطبعة مصر، 1332هـ.
63. ابن الفوطي، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين احمد، ت 723هـ/ 1323م.
- تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، الجزء الرابع ويتكون من ق1، ق2، ق3، ق4، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1962، 1963، 1965، 1967، تحقيق مصطفى جواد، الجزء الخامس ويتكون من كتاب اللام والميم وكتاب الكاف، لاهور، 1940، تحقيق الحافظ محمد عبد القدوس.
64. ابن القاضي، ابو العباس احمد بن محمد المكناسي، ت 960هـ/ 1025م.
- ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، جزءان، دار التراث، القاهرة، تحقيق محمد الأحمدي، ابو النور.
65. قدامة بن جعفر، ت 329هـ/ 940م.
- الخراج وصناعة الكتابة، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981، تحقيق محمد حسين الزبيدي.
66. القرشي، محي الدين ابي محمد عبد القادر بن ابي الوفاء محمد، ت 775هـ/ 1373م.
- الجواهر المضية، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الدكن، 1312هـ.
67. القرماني، ابو العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي، ت 1019هـ/ 1610م.
- اخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت.
68. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، ت 682هـ/ 1283م.
- آثار البلاد وأخبار العباد، منشورات دار صادر، بيروت، 1960.
69. ابن قطلوبغا، ابو العدل زين الدين قاسم، ت 879هـ/ 1474م.

- تاج التراجم في طبقات الحنفية، مكتبة المثنى، بغداد، 1962م.
70. القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي، ت 821هـ/ 1418م.
- صبح الأعشى في صناعة الانشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية.
71. ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة، ت 555هـ/ 1159م.
- ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908م.
72. الكتبي، محمد بن شاكر، ت 764هـ/ 1362م.
- عيون التواريخ، ج12، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1977، ج20، دار الرشيد، بغداد، 1980، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم.
- فوات الوفيات والذيل عليها، 4 أجزاء، دار الثقافة، بيروت، تحقيق إحسان عباس.
73. ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء إسماعيل، ت 774هـ/ 1372م.
- البداية والنهاية، مطبعة السعادة بمصر.
74. ماركوبولو، ت 725هـ/ 1324م.
- رحلات ماركوبولو، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977.
75. الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، ت 450هـ/ 1058م.
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978.
76. مرتضى أفندي، نظمي زادة.
- كلشن خلفا، ترجمة موسى كاظم نورس، منشورات المجمع العلمي العراقي.
77. المقدسي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن بكر المعروف بالبشاري، ت 387هـ/ 997م.
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، طبع بريل، ليدن، 1904، تحقيق دي غويه.
78. المقريزي، احمد بن علي، ت 845هـ/ 1441م.

- السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء ق1، ق3، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة: 1956، 1957، 1970، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الجزء الثاني، ق1، ق2، القاهرة، 1941، 1942، الجزء الثالث، ق2: مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1970، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور.
- النقود الإسلامية المسمى بشذور العقود في ذكر النقود، المكتبة الحيدرية: النجف، 1967، تحقيق محمد السيد علي .
79. ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت 711هـ/ 1311م.
- لسان العرب، المجلد الخامس، دار صادر، بيروت، 1956م.
80. مؤلف مجهول.
- نصوص عن المماليك، ليدن، 1919، تحقيق ريتر شتاين.
81. النسوي، محمد بن احمد، ت 639هـ/ 1241م.
- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1953، تحقيق حافظ احمد حمدي.
82. النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب، ت 733هـ/ 1332م.
- نهاية الإرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتاب المصرية، القاهرة.
83. الهمداني، رشيد الدين فضل الله، ت 718هـ/ 1318م.
- جامع التواريخ، تاريخ المغول، م2 ج2، (تاريخ هولاكو)، م2، ج2 (تاريخ أبناء هولاكو)، ترجمة محمد صادق نشأت وفؤاد عبد المعطي الصياد، دار إحياء الكتب العربية، مصر.
- جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد: ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1983.
84. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، ت 697هـ/ 1298م.
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، الجزء الثالث، دار القلم، القاهرة: 1972، تحقيق حسنين محمد ربيع وسعيد عاشور.

85. ابن الوردي، زين الدين عمر، ت749هـ/ 1348م.
- تاريخ ابن الوردي، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، 1969م.
- خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ط2، مطبعة مصطفى البابي وأولاده، مصر، 1939.
86. اليافعي، عبد الله بن اسعد اليمني المكي، ت 768هـ/ 1366.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، 1339هـ.
87. ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله الرومي البغدادي، ت 626هـ/ 1228م.
- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1957.
88. اليونيني، قطب الدين ابو الفتح موسى، ت 726هـ/ 1325م.
- ذيل مرآة الزمان، 4 مجلدات، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، 1954، 1955، 1960، 1961.

ثانياً: المراجع الحديثة

1- أرملة السرياني، القس إسحاق:
- أنباء الزمان في جثالقة الشرق ومطارنته السريان، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1924.
2- ارنولد، توماس. و:
- الدعوة الى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، 1970.
3- إسماعيل، زبير بلال:
- اربل في أدوارها التاريخية، طبعة النعمان، النجف، 1971.
4- الاعظمي، علي ظريف:
- مختصر تاريخ بغداد، مطبعة الفرات، بغداد، 1926.
5- أمين، حسين:
- تاريخ العراق في العصر السلجوقي، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1965.
6- الأمين، حسن:

- الغزو المغولي، دار المعارف للمطبوعات، بيروت، 1967.

7- بارتولد، فاسيلي:

- تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان، ط1، الكويت، 1981.
- تاريخ الترك في آسيا، ترجمة احمد سعيد سليمان، مكتبة الانجلو المصرية.

8- باشا، حسن:

- الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1965.

9- باشا، محمد مختار:

- كتاب التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية، ط1: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980.

10- باركر، ارنست:

- الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، ط2، دار النهضة العربية، بيروت.

11- بدر، شاكر احمد:

- الحروب الصليبية والأسرة الزنكية، منشورات كلية الآداب الجامعة اللبنانية.

12- بدر، مصطفى طه:

- محنة الإسلام الكبرى او زوال الخلافة العباسية من بغداد، مطبعة المكتب الثقافي الدولي، الجيزة.
- مغول إيران بين المسيحية والإسلام، دار الفكر، مصر.

13- براون، ادوارد جرانفيل:

- تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي الى السعدي، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي، مطبعة السعادة بمصر، 1954.

14- بروكلمان، كارل:

- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة، نبيل حبيب فارس ومنير البعلبكي، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1977.

15- بروي، ادوار:
- تاريخ الحضارات العام، منشورات عويدات، بيروت لبنان.
16- التكريتي، محمود ياسين:
- الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981.
17- جب، هاملتون. م.ر:
- صلاح الدين الأيوبي، ترجمة يوسف ايبض، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1973.
18- الجلبي، داؤد:
- كتاب مخطوطات الموصل، مطبعة الفرات، بغداد، 1937.
19- جنكيزخان، عبد العزيز:
- تركستان قلب آسيا، طبع ونشر الجمعية الخيرية التركستانية، 1945.
20- حسن، زكي محمد:
- فنون الإسلام، دار الرائد العربية، بيروت، 1981.
21- حسين، محسن محمد:
- اربيل في العهد الاتابكي، مطبعة اسعد، بغداد، 1976.
22- الحسيني، محمد باقر:
- العملة الإسلامية في عهد الاتابكة، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، 1966.
23- الحصني، محمد أديب آل تقي:
- منتخبات التواريخ لدمشق، دار الأرياف الجديدة، بيروت، 1979.
24- حمدي، حافظ احمد:
- الدولة الخوارزمية والمغول، القاهرة، 1949.
- الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، دار الفكر العربي، مصر، 1950.
25- الخربوطلي، علي حسن:
- غروب الخلافة الإسلامية، مؤسسة المطبوعات الحديثة، مطبعة التقدم.

26- الدجيلي، عبد الصاحب عران:
- اعلام العرب في العلوم والفنون، ط2، 1966.
27- الدوري، عبد العزيز:
- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط2، دار المشرق، بيروت، 1974.
- مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ط2، دار الطليعة.
28- دوزي، رينهارت:
- تكملة المعاجم العربية، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982.
29- الديوه جي، سعيد:
- أعلام الصناع المواصلة، مطبعة الجمهورية، الموصل، 1970.
- تاريخ الموصل، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1982.
- مدارس الموصل في العهد الاتابكي، مطبعة الرابطة، بغداد، 1957.
- قلعة الموصل في مختلف العصور، مطبعة الرابطة، بغداد، 1954.
30- رانسيمان، ستيفن:
- تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1968.
31- الرويشدي، سوادي عبد محمد:
- إمارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ، ط1، مطبعة الإرشاد، 1971.
32- زامباور:
- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه زكي محمد حسن وآخرون، مطبعة جامعة فؤاد الأول، 1951.
33- الزركلي، خير الدين:
- الأعلام، ط4، دار العلم للملايين، 1979.
34- زكي بك، محمد أمين:
- خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ترجمة محمد علي عوني، مطبعة السعادة، مصر، 1931.

35- سرور، محمد جمال الدين:
- دولة الظاهر بيبرس في مصر، دار الفكر العربي، 1960.
36- سعداوي، نظير إحسان:
- الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي، منشورات مكتبة النهضة المصرية، 1961.
37- شريف، إبراهيم:
- الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الإسلامي، مطبعة شفيق، بغداد.
38- شريف، احمد إبراهيم وحسن احمد محمود:
- العالم الإسلامي في العصر العباسي، ط1، دار الفكر العربي.
39- الشهابي، حيدر احمد:
- الغرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان، المطبعة السلفية بمصر، 1900.
40- الصائغ، سليمان:
- تاريخ الموصل، المطبعة السلفية بمصر 1923.
41- الصدقي، رزق الله منقريوس:
- تاريخ دول الإسلام، مطبعة الهلال بمصر، 1907.
42- الصياد، فؤاد عبد المعطي:
- المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1980.
- مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمداني، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة 1967.
43- طلس، محمد اسعد:
- عصر الحدار، ط1، دار الأندلس، بيروت، 1963.
44- طليمات، عبد القادر احمد:
- مظفر الدين كوكبري، سلسلة أعلام العرب، طبعة مصر.
45- عاشور، سعيد عبد الفتاح:

- الحركة الصليبية، ط2، مكتبة الانجلو المصرية، 1971.
46- العبادي، احمد مختار:
- قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، 1969.
47- عبد الرزاق، ناهض:
- المسكوكات: الناشر جامعة بغداد، طبع في مطابع دار السياسة، الكويت.
48- العبود، نافع توفيق:
- الدولة الخوارزمية، مطبعة الجامعة، بغداد، 1978.
49- العبيدي، صلاح حسين:
- الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980.
- التحف المعدنية الموصلية في العصر العباسي، مطبعة المعارف، بغداد، 1970.
50- العدوي، إبراهيم احمد:
- التاريخ الإسلامي، مكتبة الانجلو المصرية.
- العرب والتتار، دار القلم، القاهرة، 1963.
51- العريني، السيد الباز:
- المغول، دار النهضة العربية، بيروت، 1967.
- المماليك، دار النهضة العربية، 1967.
52- العزاوي، عباس:
- تاريخ العراق بين احتلالين، مطبعة بغداد، 1935.
- تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية، طبع شركة التجارة والطباعة، بغداد، 1958.
- تاريخ الضرائب العراقية، طبع شركة التجارة والطباعة، بغداد، 1959.
53- علي، محمد كرد:
- خطط الشام، المطبعة الحديثة بدمشق، 1925.
54- عواد، كوركيس:

- خزائن الكتب القديمة في العراق، مطبعة المعارف، بغداد، 1948.
55- ابو العينين، حسن سيد احمد:
- جغرافية العالم الإقليمية (آسيا الموسمية وعالم المحيط المادي)، ط3، دار النهضة العربية، بيروت، 1979.
56- غنيمة، يوسف رزق الله:
- نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ط1، بغداد، 1924.
57- فامبري، رمينيوس:
- تاريخ بخارى، ترجمة احمد محمود الساداتي، مطابع شركة الإعلان الشرقية.
58- فهد، بدري محمد:
- تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1973.
59- فوزي، فاروق عمر:
- الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة، دار الخليج للطباعة والصحافة والنشر، الشارقة، 1983.
60- القزاز، محمد صالح داود:
- الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، مطبعة القضاء، النجف، 1971.
- الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، النجف، 1970.
61- كاهن، كلود:
- تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ترجمة بدر الدين القاسم، ط2، دار الحقيقة، بيروت، 1977.
62- كحالة، عمر رضا:
- التاريخ والجغرافية في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية، دمشق، 1972.
63- لسترنج، كي:
- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وآخرون، مطبعة العاني، بغداد، 1954.
64- لامب، هارولد:

- جنكيزخان (إمبراطور الناس كلهم)، ترجمة بهاء الدين نوري، مطبعة السكك الحديدية، بغداد.

65- ماجد، عبد المنعم:

- تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط4، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1978.

66- نصري الكلداني، بطريس:

- ذخيرة الاذهن في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان، مطبعة دير الآباء الدومنيكان في الموصل.

67- واكيم، سليم:

- إمبراطورية على صهوات الجياد، دار الكتاب العربي.

68- يوسف، جوزيف نسيم:

- لويس التاسع في الشرق الأوسط، ط2، مؤسسة المطبوعات الحديثة، 1959.

69- اليوسف، عبد القادر احمد:

- علاقات بين الشرق والغرب، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1969.

ثالثاً: الكتب الفارسية

1- إقبال، عباس:

- تاريخ مفصل إيران، مؤسسة جاب انتشارات، طهران، 1347هـ.

- وزارة در عهد سلاطين بزرك سلجوقي، مطبعة سيكون محمد هويبي، طهران، 1338هـ. ش.

2- الجويني، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد، ت 681هـ/ 1282م.

- تاريخ جهاكنشاري، مطبعة بريل، ليدن، 1912م.

3- حافظ ابرو، شهاب الدين عبد الله بن لطف الله بن عبد الرشيد، ت 838هـ/ 1434م.

- ذيل جامع التواريخ، شركة تضامني علي طهراني، 1317هـ تحقيق خانبا بابياني.

4- خواندمير، غياث بن همام الدين الحسيني، ت 942هـ/ 1535م.

- حبيب السير في أخبار أفراد البشر، كتابخانة خيان، طهران، 1333ش.

5- الرازي، عبد الله:

- تاريخ مفصل ايران، طهران 1335هـ.

6- الشيرازي، فضل الله بن عبد الله:

- تاريخ وصاف الحضرة وأحوال سلاطين مغول، طهران، 1338، هـ. ش.

7- المستوفي القزويني، حمد الله بن ابي بكر، ت 750هـ/ 1349م.

- تاريخ كزيدة، طبعة سنة 1910م.

8- ميرخواند، محمد حميد الدين بن سيد برهان الدين، ت 603هـ/ 1497م.

- تاريخ روضة الصفا، طهران، 1331هـ.

رابعاً: الرسائل الجامعية المكتوبة على الآلة الكاتبة:

1- الجمعة: احمد قاسم عبد الله:

- الآثار الرخامية في الموصل خلال العهدين الاتابكي والايلخاني، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1975.

2- عمر، عماد الدين خليل:

- إمارة بني ارتق، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، 1968.

3- محمد، سوادي عبد:

- التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في اتابكات الجزيرة الفراتية وعلاقتها السياسية في القرن السادس الهجري، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1975م.

خامساً: مقالات عربت عن دائرة المعارف الإسلامية:

1- ارندك: مادة شريف، مجلد 13.

2- بارتولد: مادة ابو سعيد، مجلد 1.

3- بارتولد: مادة جنكيز، مجلد 7.

4- ستراك: مادة اربل، مجلد 1.

5- مينورسكي: مادة شهرزور، مجلد 13.

سادساً: البحوث والمقالات:

1- جعفر خصباك:

- الإدارة الايلخانية في العراق، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد الأول، 1959م.

2- حسين أمين:

- نظام الحكم في العصر السلجوي، مجلة سومر، مجلد 20، 1964.

3- داود الجلبي:

- ألفاظ مغولية في اللغة العربية، مجلة المجمع العلمي العراقي سنة 1950.

- الملك بدر الدين لؤلؤ والآثار القديمة الإسلامية في الموصل، مجلة سومر، الجزء الأول، مجلد 2، كانون الثاني، 1946.

- مكانة الموصل في الاقتصاد العام، مجلة غرفة تجارة بغداد، الجزء الثامن، تشرين الأول، 1941، السنة الرابعة.

4- ساجدة الشكري وناصر النقشبندي:

- الدينار الإسلامي، مجلة سومر، الجزء الأول، مجلد 11، 1955.

5- عبد المنعم رشاد:

- احتلال المغول لبغداد، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد الأول، 1971.
- الرعب الذي أحدثه الغزو المغولي، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد الثاني، تشرين الثاني، 1971.

6- عماد عبد السلام رؤوف:

- حكام العراق وموظفوه في عهد المغول الايلخانيين، مجلة المؤرخ العدد 11، بغداد، 1979.

7- محمد رشيد الفيل:

- الحالة الاقتصادية في مدينة بغداد أثناء الحكم الايلخاني، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد السادس، 1963.

8- محمد سعيد رضا:

- ابن شداد في كتابة الاعلاق الخطيرة، مجلة المؤرخ العربي، العدد الرابع عشر، 1980.

9- مهاب درويش البكري:

- العملة الإسلامية في العهد الايلخاني، مجلة سومر، الجزء الأول والثاني، مجلد 22، 1966.
- دراسة تحليلية للعملة الإسلامية في العهد الايلخاني، مجلة سومر، الجزء الأول والثاني، مجلد 23، 1967.

10- ناجي توفيق عبود:

- مدارس المدن العراقية خارج بغداد في أواخر العصر العباسي، مجلة المورد، العدد الثاني، 1980.
- مدارس المدن العراقية خارج بغداد في عهد الاحتلال الايلخاني، مجلة دراسات في التاريخ والآثار تصدر عن جمعية المؤرخين والآثاريين في العراق، العدد الأول، 1981.

11- يوسف غنيمة:

- صناعات العراق في عهد العباسيين، مجلة غرفة التجارة، بغداد، الجزء الثامن، تشرين الأول، 1941.

12- يوسف ذنون:

- دراسة جديدة لكتابات الموصل الأثرية، مجلة سومر، مجلد، 23، 1967.

سابعاً: المصادر والمراجع الأجنبية:

1- Alfeel , Muhammad Rashid:

The Historical Geography of Iraq between the Mongolian and Ottoman conquests. Al-Adab press Negef , 1965.

Bosworth , Cliffoed Edmund:

The Islamic dynasties. Edinburgh at , 1967.

2- Cbem ,

Mcole Mapko Mockba , 1968.

3- Chubb , J:

The lost Centeries , London , 1967.

4- J.J., Saunders:

The History of the Mongol.

5- lane – Pool , S:

- A History of Egypt. London , 1968.

- Mohammedan dynasties. Beirut , 1966.

6- Mustaefi of Qazwin , Hamd – Allal:

Nuzhat – Al – Qulub. Translated by – G- le – Strange , Leyden – Bril , London , 1919.

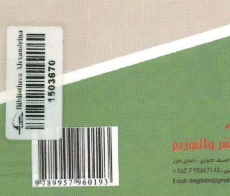
7- Rachid Elsin:

Histoire Des Mongels delaperse. Amsterdam , 1968.

8- Cl , Cahen:

- Artukids. Enc. Isl.

- Ay[illegible] Enc. Isl.



9 789957 960193



دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
تلفاكس: 5353402 6 962+
ص.ب: 520946 عمان 11152 الأردن
مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
خلوي: 95667143 7 962+
E-mail: darghidaa@gmail.com